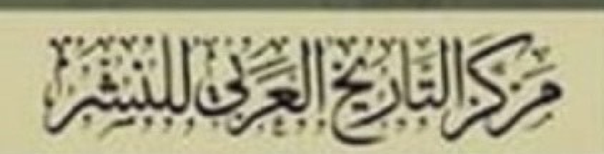


الدور الحضاري

للقبائل العربية في مصر

من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري

د. محمود محمد خلف



الجزء الأول

الدَّوْرُ الحَضَارِيُ لِلْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مِصْرَ

مِنَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِي

الجزء الأول



الطبعة الأولى

1440هـ / 2019 م

أسـم الكتـاب : الدور الحضاري للقبائل العربية في مصر

أسـم المؤلف : محمود محمد خلف

الموضوع : تاريخ

الطبعة : الأولى

رقم الإيداع الدولي : 978-605-69742-6-7 ISBN

التـوزيع والنـشر



6/11 شارع وحيد أفندي – حي توفيق بك – كوجوك

جكمجه – أسطنبول – تركيا ت 00905454886870

هاتف: 00201555566139 - 00201027013326

E-mail: info@arabhistorypublishing.com

Websit: www.arabhistorypublishing.com



د/ محمود محمد خلف

الدَّوْرُ الْحَضَارِيُ لِلْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مِصْرَ

مِنَ الْفَتْحِ الْإِسْلامِيِّ حَتَّى الْقَرْنِ الرّابِعِ الْهِجْرِي

الجزء الأول





إهداء

إلى الأستاذ الدكتور/ محمد جبر أبو سعده

رائد المدرسة التاريخية المصرية في عصورها الإسلامية

وعميد المؤرخين العرب

إيمانًا وعرفانًا واعترافًا بفضل الأستاذ على تلميذه.

المؤلف



المقدمة

بِسۡمِ اللَّهِ الرَّحۡمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وبعد: فإن الإسلام قد جاء لهداية البشرية، قال تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [آل عمران: 110]، وجعل المسلمين أمة واحدة على مَنْ سواهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:51، 52]، ودعانا إلى الأخوة والاعتصام بحبل الله، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 102 – 103]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : 10] .

وقد ربّى النبي (ﷺ) أصحابه على تحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: 44] . وقد أحس الصحابة بثقل الأمانة الملقاة على عاتقهم، فانساحوا في مشارق الأرض ومغاربها ينشرون دين الله تعالى، وما أن تطأ أقدامهم أرضًا من الأراضي إلا ويصيرون رُسلاً لله تعالى، يدعون الناس للدخول في هذا الدين، يحببون إليهم الطاعة، ويكرهون إليهم المعصية، قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر : 49 – 50]، بل إن بعضهم قد يغادر أرض مولده ونشأته طواعية لنشر دين الله تعالى في ربوع الأرض.

وكانت مصر من أهم البلاد التي شهدت موجات عربية كبيرة وكثيرة في أعقاب الفتح الإسلامي لها، فأحب العرب أرض مصر، ونزلوا على ضفاف نهر النيل، وطابت لهم

الحياة في جوارها، ثم انسحوا في هذه الأرض ينشرون الدين الإسلامي والعلم الشرعي بين سكانها. وبمرور الوقت ظهر جديد من أبناء هذه القبائل يحمل لقب» المصري».

وفي الحقيقة، إنني أُومن إيمانًا مطلقًا بدور مصر الحضاري والقيادي تجاه عالمها العربي والإسلامي. عرفتُ ذلك منذ صغري، وكبر ذلك في نفسي، وزدتُ يقينًا وتسليمًا به مذ اشتغلت في حقل الدراسات التاريخية . فقد كانت أطروحتي لرسالة التخصص «الماجستير» بعنوان: «الثورات وأثرها على الحياة في العصر الفاطمي»[1]، فكانت هذه الدراسة – والتي قضيتُ فيها ثلاث سنوات – أكبر عون لي في معرفة تاريخ هذا الشعب العريق. فقد وقفت خلالها على طبيعة هذا الشعب العظيم والذي يضرب بجذوره في عمق وعبق التاريخ، مسجلاً صفحات العزة والكرامة والفخر، متحديًا كل مَن يقف أمامه، أو تسول له نفسه الحط منه، أو التقليل من كرامته وعزته . فمهما واجه الشعب المصري من تحديات – قد تبدو جسيمة ولا يستطيع مواجهتها – فسرعان ما ينتصر على كل هذه الصعاب، ليخرج في النهاية قوي الجسم، متماسك البنيان، أصلب عودًا، أقوى شكيمة، منتصرًا لإرادته . ويذهب أعداؤه – وإن ادعوا أنهم أحد أبنائه – إلى مزبلة التاريخ.

هذه هي إذن طبيعة هذا الشعب العظيم. مَن عرف هذه الحقيقة هانت عليه كل الصعاب التي يلاقيها. ومَن لا يعرفها فإنه حتمًا سوف يتخبط خبط عشواء حتي يعي هذا الدرس بنفسه. ويكون النصر في النهاية لإرادة هذا الشعب الأبي، الثابت ثبات الجبال الرواسي. لا أقول ذلك فخرًا، ولا افتخارًا، ولا عزة لكرامة. ولكننا مذكِرون بحقيقية تاريخية أصبحت واضحة وضوح الشمس في ريعان النهار.

هذا، وقد تمتعت مصر بمكانة عظيمة ساعدت على ربطها بالعالم الإسلامي ؛ فكانت – و ما زالت – قِبلة العلم والعلماء ؛ وذلك لأنها كانت مقرًا للعلماء قديمًا وحديثًا . وقد أقامت جسور الثقافة بينها وبين دول العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، فكان يهاجر إليها العلماء ليتعلموا فيها، ثم يعودوا إلى أوطانهم ليعلموا الناس ما تعلمونه في هذا الوطن العريق. وربما فضل بعضهم سُكنى وادي النيل فيتخذه مقرًا له، ويفضل العيش فيه عما سواه.

---

(1) طُبعت تحت عنوان : «ثورات المصريين في العصر الفاطمي»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (293). وقدم لها د. محمد صابر عرب، وزير الثقافة الأسبق.

ولا غرابة في ذلك ؛ فمصر لها مكانة خاصة في قلوب من زارها، أو وطئت أقدامه تراب أرضها، فينعم بالعيش في كنفها، ويشعر بالراحة مع أهلها، فيأنس بهم ويقيم معهم وينشر علمه – الذى ربما تعلمه من علمائه – بين سكانها، فتطير شهرته في الآفاق، فتقبل الدنيا عليه. فهذه هي عبقرية المكان، أو هو الوسط الذهبي الذي تمتعت به مصر كما يقول الدكتور جمال حمدان.

ويأتي الغرض الرئيس من هذا السلسلة، في الرد على دعاوى غريبة عن فكرنا وحضارتنا، دعاوى قديمة تلبس ثياب الحداثة، وتحاول أن تضفي على نفسها سمت العلم والمعرفة، دعاوى فحواها محو كل ما هو عربي، أو بمعنى أوضح، قطع كل صلة تربط مصر بعالمها العربي والإسلامي . ووجدنا من يدعي كذبًا وزورًا ؛ أن الفتح الإسلامي لمصر لا يعدو أن يكون حلقة من سلسلة الغزوات التي تعرضت لها مصر طول تاريخها السياسي والحضاري، والعرب ما قدموا لمصر شيئًا، ناهيك عن السلب والنهب، بالإضافة لأخذ الجزية من المصريين وإرسالها إلى مقر الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة مرة، ودمشق أخرى، وبغداد ثالثة. فمصر – على قول أحدهم – فرعونية النشأة، قبطية النزعة، أوربية الفكر والثقافة.

ولا يخفى على الدارسين والباحثين ما وراء هذه الدعوى من خبث ومكر وخديعة، مع ما تنطوي عليه من فكر مغلوط، ومعلومات مبتورة مكذوبة مدسوسة، مع جهل بتاريخ مصر الحضاري، ودورها الثقافي تجاه عالمها العربي والإسلامي . وهي – كما قلتُ – دعاوى قديمة، دعت إليها فئة من المفكرين المصريين في مطلع القرن الماضي، أضفت عليهم وسائل الإعلام المختلفة، لونًا من العظمة والنباهة . فهذا أحدهم يحمل لقب «أستاذ الجيل»، فمصر في نظره للمصريين فقط، لا تتحمل مسؤولية أحد، ولا تقدم يد المساعدة لأي أحد كائنًا مَن كان. وهذا آخر يدعي أن مصر جزء من البحر المتوسط، وأن ثقافتها ومستقبلها تدور مع هذا البحر، ولا تمت بصلة إلى شبه الجزيرة العربية من قريب أو بعيد . والغريب أن صاحب هذا الفكر يُطلق عليه « عميد الأدب العربي»، فمن يتجرأ على معارضته، فضلاً في الرد عليه.

هؤلاء وأمثالهم تُفتّح لهم الأبواب، وتُمنح لهم الألقاب، ويظهرون على الناس ليل نهار، وما يقال صباحًا في صفحات الجرائد، يعاد ليلاً على شاشات التلفاز، ظانون بالمصريين ظن السوء، معتقدون أن ما يقولونه حقٌ وصدقٌ، وما عداه كذبٌ وافتراءٌ.

ولكنني أقول: كبرت كلمة تخرج من أفواههم وأقلامهم، فمصر كانت وستظل

عربية إسلامية، وستظل جزءًا أصيلاً من عالمها العربي والإسلامي، بل هي في الحقيقة درع العروبة والإسلام . وإنها احتوت – قديمًا وحديثًا – جميع الهجرات العربية التي جاءت إليها، وسكنت أرضها، واستظلت بسمائها. وإن جميع أهلها قد ساهموا في صنع وبناء هذه الحضارة. أما هذه الدعاوى الخبيثة، فلا تنطوي على المصريين، ولن تجد لها آذان مصغية بينهم . يقول ربنا جل وعلا :﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾[سورة الرعد: آية17] . فللقبائل العربية دورٌ حضاريٌ كبيرٌ في مصر خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة. وهذا لا يعني الانقطاع عن الماضي، فمصر بتاريخها الطويل الممتد عبر آلاف السنين، استطاعت أن تصهر جميع الحضارات التي ظهرت على أرضها في بوتقة واحدة، لتخرج لنا في النهاية حضارةٍ مصريةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ تجمع بين أصالة الماضي، وروعة الحاضر، وأمل متجدد في المستقبل.

وهذا الكتاب هو محاولة لإلقاء الضوء على: «**الدور الحضاري للقبائل العربية في مصر من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري**»، وهو الكتاب الأول في سلسلة «الدور الحضاري للقبائل العربية في مصر الإسلامية» . وترجع أهمية هذه الدراسة لعدة اعتبارات مهمة، وهي:

أولاً: إلقاء الضوء على جهود الفاتحين الأوائل، وتحملهم الصعاب والمشاق في إتمام عملية الفتح الإسلامي لمصر، والتذكير بدورهم البارز في هذا المجال، فقد استطاعوا أن يتركوا بصماتهم في تاريخ هذا البلد، وفي حياته العلمية حتى وقت قريب[1] .

---

(1) ومن أشهر علماء الصدف في العصر الحديث : العلامة المحدث الفقيه بكري محمد عاشور الصدفي: مفتى الديار المصرية الأسبق. تولى المنصب في الفترة من18 مضان سنة 1323 هـ (10 نوفمبر 1905م) إلى 4 صفر سنة 1333 هـ (21 ديسمبر1914م).

مولده ونشأته :ولد بقرية «صدفا» بمحافظة أسيوط، وشب في أسرة كريمة مشهورة بالتقوى والصلاح والعلم، فكان أبوه الشيخ «محمد عاشور الصدفي» من خيرة رجال العلم المشهود لهم بسعة العلم والاطلاع، فتأثر فضيلة الشيخ بكري بأبيه، وأخذ عنه الكثير من علمه وفضله، وبعد أن حفظ القرآن الكريم وأتقن تجويده التحق بالأزهر الشريف، واستمر يدرس حتى نال الشهادة العالمية من الدرجة الأولى سنة 1389 هـ(1969م).

المناصب التي شغلها :كُلف فضيلته بالتدريس في الأزهر من فضيلة الشيخ "محمد المهدي العباسي» شيخ الأزهر وقتها، بالإضافة إلى حلقات الدروس التي كان يلقيها على تلاميذه في منزله المجاور للجامع الأزهر، ثم عُين موظفاً بالقضاء، وأخذ يتدرج في المناصب القضائية حتى شغل معظمها. وفي 18 رمضان سنة 1323 هـ (1905م) عُين فضيلته مفتياً للديار المصرية بعد فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده، واستمر يشغل هذا المنصب حتى 4 صفر سنة 1333 هـ(1915م)، أصدر خلالها 1180 فتوى مسجلة بسجلات دار الإفتاء .

مؤلفاته: نظراً لانشغاله بالتدريس والقضاء لم يترك إلا عددا من الأبحاث التي لم تُنشر حتى الآن.

وفاته: انتقل إلى رحمة الله تعالى في شهر ربيع الثاني سنة1337هـ (مارس 1919م).

ثانيًا: الرغبة في ربط الماضي بالحاضر، وتذكير الشعوب العربية بدور مصر الحضاري والريادي تجاه عالمها العربي والإسلامي. فما قصرت مصر قط في حق أحدٍ منهم، فكانت دائمًا تفتح ذراعيها لكل مَن وطئت أقدامه تراب أرضها، فينعم بالعيش في ظلالها، وتتلاقى الضربات الموجعة والقاصمة من أجل أن يحيا - الجميع - رافعًا رأسه، منتصرًا لإرادته. وقد آن الأوان أن يعي الجميع هذه الحقيقة التاريخية الحضارية . فيقدر لمصر قدرها، ويقيم معها علاقات قوية في كافة المجالات؛ السياسية، والاقتصادية، والثقافية. فمصر هي الحصن الحصين للعالم العربي والإسلامي، رغم أنف الحاقدين والمتكبرين والجاهلين بحقيقة التاريخ.

ثالثًا: تذكير الباحثين بالدراسة المتأنية والعميقة في تاريخ مصر الثقافي والحضاري، وعلاقاتها بمختلف دول العالم العربي والإسلامي، كي تتبوأ مكانتها اللائقة بها عالميًا. فمصر هي الجسر الحقيقي بين المشرق والمغرب.

رابعًا: تسليط الضوء على الجهود المبذولة من قِبل أبناء القبائل العربية في بناء حضارة الشعب المصري الفكرية والعلمية. وأدعي أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه الكامل في الدراسة. اعلم أن هناك دراسات علمية جادة كُتبت عن هذا الشعب العظيم، ولكن معظمها يركز على الجانب السياسي، وخاصة حياة الملوك والرؤساء.

وفي الحقيقة؛ إن نظرة المؤرخين المُحَدَثين للتاريخ تختلف عمن سبقهم من قدامى المؤرخين، فالتاريخ في نظرهم ليس مجرد سرد للحوادث السياسية، أو تصوير للوقائع الحربية، أو ذكر لسير الخلفاء والملوك، وإنما هي نظرة تتجه إلي دراسة الأسباب والنتائج حتي يكون للتاريخ فائدة يمكن الاستفادة منها في الحاضر والمستقبل « فالتاريخ شعاع من الماضي يضيء لنا الحاضر والمستقبل». ومن هذا المنطلق آثرت دراسة الدور الحضاري للقبائل العربية -ـ التي انصهرت داخل هذا الشعب العظيم، وكان لها دور فاعل في بناء حضارته - دراسة مستقلة تكشف عن أثرها علي مختلف جوانب الحياة العلمية في مصر الإسلامية إِبّان القرون الأربعة الأُولى للهجرة.

خامسًا : - **وأخيرًا –** هذا هو الجزء الأول في سلسلة» الدور الحضاري للقبائل العربية في مصر الإسلامية»، وهو مجرد دراسة لتاريخ أربعة قبائل عربية(الصدف - تجيب - المعافر - غافق) شاركت في فتح مصر، وكانا لها دورٌ بارزٌ في تاريخها الحضاري. ويتلوه

الجزء الثاني - بإذن الله تعالى - والذي يعالج الدور الحضاري لقبائل (خولان - بَلِى - مراد - هُذْيل)، ويأتي الجزء الثالث - والأخير من هذه السلسلة - ليعالج الدور الحضاري للقبائل العربية في المغرب والأندلس.

تقسيم الكتاب:

قسمتُ هذا الكتاب إلى مقدمة وخاتمة وتسعة فصول، تحدثتُ في الفصل الأول عن: القبائل العربية بين الجاهلية والإسلام، وفي الفصل الثاني: القراء والمفسرون، وفي الفصل الثالث: عن الحديث والمُحَدِّثون، ثم تحدثتُ في الفصل الرابع: عن الفقه والفقهاء، والأدب وعلوم اللغة في الفصل الخامس. ثم فصلتُ القول في الفصل السادس عن التاريخ والمؤرخون. وجاء الفصل السابع ليتحدث عن القضاء والشرطة. والفصل الثامن - والأخير - تحدثتُ فيه عن علم الفلك. ثم خاتمة ذكرتُ فيها أهم نتائج البحث، ومجموعة من الملاحق التي تخدم هذه الدراسة. وأقول ما قاله العلامة ابن منظور صاحب لسان العرب : «وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أَمُتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في كتب السابقين» .

وفي الختام، لا أدعي الكمال في هذا الكتاب، ولكنها مجرد محاولة لدراسة تاريخ مصر الثقافي، موضحًا دور بعض علماء القبائل العربية(الصدف وتُجيب والمعافر وغافق) في إثراء الحياة العلمية بمصر الإسلامية، دراسة تليق بمصر وبمكانتها العالمية. وأعترف - في النهاية - بأنني لم أصل فيه إلى مرتبة الكمال، فهو عمل بشري قابل للصواب والخطأ، وحسبي أني اجتهدت. والله تعالى من وراء القصد. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

د/ محمود محمد خلف

الفصل الأول
القبائل العربية بين الجاهلية والإسلام

- التمهيد:
- المبحث الأول: الصدفيون بين الجاهلية والإسلام.
- المبحث الثاني: التجيبيون بين الجاهلية والإسلام.
- المبحث الثالث: المعافريون بين الجاهلية والإسلام.
- المبحث الرابع: الغافقيون بين الجاهلية والإسلام.



التمهيد:

قبل الحديث عن تاريخ القبائل العربية التي استقرت في مصر، أُلقي نظرة سريعة على البيئة الجغرافية التي نشأت فيها هذه القبائل. إذ لا يخفي علينا أن أثر البيئة الجغرافية كبير علي الإنسان، أو كما يقول الأستاذ « هنري بر Henry berr» المشرف علي صدور الموسوعة التاريخية الكبرى « تطور الإنسانية Evolutionde l'humonite» في تقديمه للمجلد الرابع منها، وعنوانه «الأرض والتطور البشري» يقول: لا ريب أن أثر البيئة قوي جدًا علي الإنسان، فالجفاف والرطوبة، والرياح، والضوء، والحرارة، بل وكهرباء الجو تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلاً دائمًا أو مؤقتًا سواء كان هذا الكائن حيوانًا أو نباتيًا، كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في نموه .. إن البيئة بلا شك- تركت أثرها القوي في تكوين الإنسان خلقًا وتفننًا»[1].

وإذا كانت البيئة تؤثر في الإنسان بصفة عامة، فالإنسان العربي أكثر تأثرًا من غيره ببيئته، وذلك للارتباط الشديد بينهما، فلا يخفى علينا أثر الموقع الطبيعي، والسطح في تكوين الإنسان العربي.

الموقع الجغرافي والمناخ:

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية، وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، تحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب. فتحدها بادية الشام شمالًا، والخليج العربي وبحر عمان شرقًا، والمحيط الهندي جنوبًا، والبحر الأحمر غربًا، وهكذا يبدو واضحًا أن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط، ومن ثم فقد أخطأ مؤرخو العرب وجغرافيوهم حين أطلقوا عليها اسم «جزيرة العرب»[2].

---

(1) د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012م، ص 25.

(2) الهمداني: صفة جزيرة العرب، الطبعة الأولى، ليدن، بريل، 1884م، ص: 159، ابن الفقيه: البلدان، الطبعة الأولى، دولة لبنان، عالم الكتب، 1996م، ص 176، ياقوت الحموي: معجم البلدان، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار إحياء التراث العربي،1997م، ص 137.

تقع شبه الجزيرة العربية فيما بين دائرتي عرض °30، °40 شمالًا، وخطي طول °35، °60 شرقًا، وهي أشبه ما تكون بشبه جزيرة تنتهي إليها آسيا في طرفها الغربي. وهي بهذا تأخذ شكلا مستطيلًا، وتبلغ مساحتها أكثر من مليون ميل مربع بقليل، ومن ثم فهي أكبر شبه جزيرة في العالم. وهي أبعد ما تكون عن وحدة التضاريس؛ إذ تشمل وحدات إقليمية تفصلها حدود طبيعية؛ مما جعلها تنقسم في العصور القديمة إلى وحدات سياسية، كان لكل منها كيان مستقل في أغلب الأحوال، ولم تنشأ بها وحدة سياسية شاملة ذات تاريخ مشترك إلا بعد انتشار الإسلام[1].

أما عن مناخ شبه الجزيرة العربية فإنه يميل بشكل ملحوظ إلى الجفاف، والذي يسيطر على أغلب أقسام المنطقة بشكل عام. كما توجد بعض الاستثناءات في المناطق المرتفعة كما هو الحال في صنعاء «باليمن» التي ترتفع إلى 7000 قدم فوق سطح البحر، وتعتدل فيها الحرارة بصورة تجعل جوها من أحسن أجواء شبه الجزيرة العربية على الإطلاق[2].

أما المطر فإنه، إلى جانب قلته، لا يصيب المناطق التي ينزل فيها بمعدل واحد من الوفرة أو الانتظام. ففي اليمن ومنطقة عسير ينزل منه قدر منتظم يسمح بالزراعة الدائمة في بعض الوديان التي تمتد إلى مسافة 200 ميل من الشاطئ إلى الداخل، وفي مساحات أخرى على الشاطئ ولكنها ليست بهذا الامتداد. بل إن المطر قد ينزل على بعض المناطق الجبلية فيحولها السكان إلى مناطق زراعية، كما يفعل سكان «الجبل الأخضر» في اليمن حيث تصطدم السحب المثقلة بالبخار بقمم هذا الجبل فتفرغ ما بها من أمطار على جوانبه ويعمد سكان المنطقة إلى تسوية جوانب الجبل على هيئة مدرجات تستقبل مسطحاتها مياه المطر وتحتفظ بها، ومن ثم يمكن زراعتها، بدلًا من أن تنزل الأمطار جميعها إلى أسفل الجبل[3].

بلاد اليمن:

اختلف العلماء في أصل تسمية اليمن، ومن المرجح أن اسمها مشتق من كلمة «يمنات» الواردة في نصوص سبئية قديمة كاسم لهذه البلاد وربما يكنى بها عن اليُمن والخير؛ لأن بلاد اليمن قديمًا كانت وفيرة الخيرات حتى عرفت باسم «اليمن الخضراء»

(1) د. محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار النهضة العربية، 1968م، ص 238.
(2) د. يوسف عبد المجيد فايد : جغرافية المناخ والنبات، الطبعة الأولى، مصر، دار النهضة العربية، (بدون – تاريخ)، ص 220.
(3) د. جودة حسنين جودة: قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، الطبعة الأولى، مصر، دار المعرفة الجامعية،[بدون – تاريخ]، ص291.

لكثرة ما بها من أشجار ونباتات، ومما يؤيد ذلك أن اليونانيين قديمًا سموها بلاد العرب السعيدة «Arabia felix» على احتمال أنهم ترجموا كلمة «يمنت أو يمنات» بالبلاد السعيدة[1].

أما الجغرافيون العرب في العصر الإسلامي فقد رد بعضهم تسمية اليمن إلى تيامن العرب بها على أساس أنها تقع إلى يمين الأرض «بالنسبة للشخص الذي يقف وظهره إلى البحر ونظره إلى امتداد شبه الجزيرة العربية، بينما تقع الشام ناحية الشِمال أي إلى اليسار»[2].

واليمن – في رأي القلقشندي– قطعة من جزيرة العرب، يحدها من الغرب بحر القُلزم[الأحمر حاليًا]، ومن الجنوب بحر الهند[المحيط الهندي حاليًا]، ومن الشرق بحر فارس[الخليج العربي حاليًا]، ومن الشمال حدود مكة. وهكذا كان اليمن لا يقتصر على الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب فحسب، ولكنه يشمل كل دويلات جنوب شبه الجزيرة العربية[3].

---

(1) د. لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، الطبعة الثانية، مصر، دار المعرفة الجامعية،[بدون – تاريخ]، ص 89.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مصر، مكتبة مدبولي،1991م، ص 67، الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، الطبعة الثانية، دولة لبنان، مؤسسة ناصر الثقافية،1980م، ص 163.

(3) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأولى، جـ5، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،[بدون – تاريخ]، ص 3.

المبحث الأول
الصدفيون بين الجاهلية والإسلام

أولًا: أصل قبيلة الصدف:

قامت في بلاد اليمن كثير من الحضارات القديمة، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ. ومن أشهر هذه الحضارات ؛ حضارة سبأ (950 - 115 ق.م) التي ظهرت في الركن الجنوبي الغربي لبلاد اليمن، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم؛ قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1] ويؤكد علماء الآثار والتاريخ على أن سبب شهرة هذه الحضارة يعود في المقام الأول إلى ازدهار الزراعة بالمملكة، وذلك لخصوبة أرضها، ولوجود سد مأرب[2]، والذي ساعد على تخزين الماء للاستفادة منه في وقت الجفاف.

ولكن يبدو أن السد الذي كان أساس قيام هذه الحضارة، كان هو السبب المباشر في انهيارها. حيث أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، الذي هدم السد فانهارت على إثره مملكة سبأ، وهاجر كثير من سكان اليمن إلى يثرب وشمال شبه الجزيرة العربية. قال تعالى:﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[3]. ومن هذه القبائل التي هاجرت من سبأ إلى حضرموت على إثر سيل العرم، قبيلة الصدف. يقول ابن خلكان: «وإنما سمي الصدف لأنه(عمرو بن مالك) صدف بوجهه عن قومه

---

(1) سورة سبأ : آية 15.

(2) يصل الارتفاع الحالي – لما بقي – من السد، من جهة الجدار نحو11 مترًا، ويبلغ امتداده العرضي 12.40 من الأمتار. ويبلغ عرض البوابة اليمنى 4.55 من الأمتار. وامتداد ضلع الحوض الواقع خلفها 78.80 من الأمتار. أما في الناحية اليسرى وهي الأكبر فيمتد المجرى المائي الأساسي فيها نحو1160 مترًا، وتتفرع من الحوض الذي ينتهي إليه 14 ترعة يبلغ عرض الواحدة منه نحو ثلاثة أمتار.
د. عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية،[بدون – تاريخ]، ص 56 – 57.

(3) سورة سبأ : آيات 16 – 17.

حين أتاهم سيل العرم، فأجمعوا على ردمه، فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت»[1].

على كل حال، نزلت قبيلة الصدف في حضرموت، واستقرت بها فترة طويلة . فقد نشبت حروب كثيرة بينها وبين جيرانها كان على إثرها كثرة هجرتهم وعدم استقرارهم في منطقة بعينها. وقيل: إنهم لحقوا بقبيلة كندة، فنزلوا بينهم حتى ظهور الإسلام[2]. وقيل: نزلوا في حمير.

هذه الرحلة الطويلة لقبيلة الصدف، جعلت علماء الأنساب يختلفون اختلافًا كبيرًا في نسبهم. فبعضهم نسبهم إلى كندة، وبعضهم نسبهم إلى حضرموت، وبعض المؤرخين نسبهم إلى حمير. وأستطيع أن أوجز هذا النسب كالتالي:

1. من نسبهم إلى كندة، قال: الصدف هو: عمرو بن مالك بن أشرس بن شبيب بن السكون ابن أشرس بن ثورة وهو كندة[3].

2. ومن نسبهم إلى حضرموت، قال: الصدف هو: الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر[4].

3. ومن نسبهم إلى حمير، قال: الصدف هو: الصدف بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن هميسع بن حمير[5].

صفوة القول: أن اختلاف علماء الأنساب في نسب قبيلة الصدف، دليل على اختلاط

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الطبعة الأولى، جـ 4، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1998م، ص 253، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دولة لبنان، دار الكتاب اللبناني،1980م، ص 62.

(2) الهمداني: عجالة المبتدي وفضالة المنتهى في النسب، الطبعة الأولى، مصر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1965م، ص 24.

(3) الهمداني: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الأولى، جـ11، دولة لبنان، دار صادر،[بدون – تاريخ]، ص 90، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، جـ2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1992، ص 304، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانية، جـ2، دولة لبنان، دار العلم للملايين، 1968م، ص 637، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الرابعة، جـ8، دولة لبنان، دار الساقي،2001م، ص56.

(4) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة الثالثة، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،2003م، ص 461، ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، الطبعة الأولى، جـ 1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1990م، ص 252، الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، دولة الكويت: سلسلة التراث العربي بوزارة الأعلام، 1410هـ – 1990م، الطبعة الثانية، جـ24، ص10.

(5) السمعاني: الأنساب، الطبعة الأولى، جـ3، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1988م، ص528، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 7، ص 253، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ 2، ص 637.

هذه القبيلة ببطون كندة وحضرموت وحمير. ودخول بطونها فيها، وانتسابها إلى البطون التي دخلت فيها، ويؤدي ذلك عادة إلى اختلاط الأنساب. وإن كنتُ أميل إلى الرأي الثاني، القائل بنسبهم إلى حضرموت، وذلك لأنها أُولى الأماكن التي نزلت بها قبيلة الصدف بعد هجرتهم إثر انهيار سد مأرب، وقد ظلوا بها فترة طويلة، ومن ثم فقد نسبوا إليها.

ثانيًا: مِن بطون قبيلة الصدف:

أما عن بطون قبيلة الصدف فهي كثيرة ومتنوعة ومتشعبة، ويطول بي القول لو ذكرتها بالتفصيل، لذا سأكتفي بذكر أشهرها، وهم: بنو الأحروم (حريم)، وبنو الأجذوم (جذام)، وبنو ذهبان، وبنو نباته، وبنو أيدعان بن غسان بن رعيل ابن ذخير بن موصل بن جمان. وبنو الحارث ومن بطونها: آل أبي ناعمة (مالك بن ناعمة الصدفي)، آل مرشد، آل نافع، آل النمر، آل أبي ثور[1]، وغيرهم.

ثالثًا: الوضع السياسي لقبيلة الصدف قبل الإسلام:

كان التكوين القبلي أحد الأشكال السياسية في شبه الجزيرة العربية، ولا أعني هنا التكوين القبلي بمفهومه الاجتماعي، فقد وجدت القبائل كوحدات اجتماعية في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية، ولكني أعني التكوين أو الشكل القبلي الذي تصبح فيه القبيلة إلى جانب وظيفتها الاجتماعية وحدة سياسية كذلك، تتصرف بوصفها كيانًا سياسيًا قائمًا بذاته سواء في أمورها الداخلية أو في علاقاتها الخارجية بما يدخل في ذلك من حرب وسلام واتفاقات وتحالفات ومناورات وغير ذلك من أشكال هذه العلاقات.

وفي هذا الصدد فقد كانت الوحدة السياسية القبلية هي الشكل المنتشر في البادية؛ أدت إلى ذلك طبيعة هذه البادية بقسوتها التي كانت تدفع كل قبيلة إلى التنقل وراء الكلأ حيثما وجد انتجاعًا للمرعى وهو وضع كان الشكل السياسي الوحيد الذي يتواءم معه هو الوحدة السياسية الصغيرة، وهي القبيلة.

وقد كانت الأسرة هي الخلية التي تتألف القبيلة من تكرارها وتكويناتها، تعيش الأسرة في خيمة أو ربما في عدد صغير من الخيام، وكل مجموعة من الأُسر تشكل حيًّا أو قومًا يعتقدون، – حقيقة أو تصورًا – أنهم ينحدرون من أصل واحد ومن ثم تربط بينهم

(1) السمعاني: المصدر السابق، جـ6، ص19.

آصرة الدم أو القرابة، ومن مجموع هذه الأحياء أو الأقوام تتكون القبيلة. وقد عبر أبناء الحي أو القوم الواحد عن آصرة القرابة التي تربط بينهم بانتسابهم إلى اسم هو الجد الأول لهم فيما كانوا يعتقدون، فهم بنوه الذين يعرفون ويتعاملون ويتفاخرون باسمه.

أما عن نظم الحكم الذي عرفته التكوينات القبلية، فيمكن أن نصفه بأنه نظام رئاسي يقوم على قاعدة شعبية قوامها كل أفراد القبيلة. وحاكم القبيلة أو التجمع القبلي هنا هو الشيخ أو السيد. والأساس الذي يقوم عليه حكمه ليس هو الوراثة وإنما هو الاختيار الذي قد يكون انتخابًا أو إجماعًا من القبيلة أو التجمع القبلي، لنا أن نتصور أنه يتم في حدود رؤساء الأسر والأقوام «الأحياء» التي يتكون منها هذا الكيان القبلي إذا أدخلنا في اعتبارنا حرص العرب على النقاء الأسري في العصر السابق للإسلام حين لم تعرف القبائل العربية في البداية نظام الدولة بما لها من مؤسسات، ومن ثم كان التماسك الأسري «داخل التماسك القبلي» هو البديل الأساسي إن لم يكن البديل الوحيد لحفظ كيان القبيلة من التميع ومن ثم الاندثار[1].

والصفات التي تؤهل السيد لمنصبه في السيادة أو الرئاسة هي صفات مستوحاة من حاجة القبيلة ومن ظروفها أساسًا. فالسن عليها معول كبير دون شك، إذ إنها مؤشر إلى التجربة والحكمة في مجتمع كانت العلاقات القبلية فيه تتعرض للغارات المتبادلة لأوهى الأسباب، وإن كان لنا أن نتصور وجود سادة أو رؤساء للقبائل دون اشتراط تقدم السن إذا كانت التجربة أو الحكمة في التصرف متوفرة في الشخص المرشح للرئاسة. كذلك كانت الشجاعة والحلم والكرم والثروة والحرص على مصالح القبيلة من المؤهلات الرئيسة للسيد. فالشجاعة مؤهل أساسي في مجتمع الغارات المتبادلة، والكرم لا يقل عنه ضرورة في مجتمع معرض للظروف الجغرافية القاسية التي قد تودي بالزرع والضرع، أو تؤدي إلى ندرة العشب إذ حلت بالمنطقة فترة جفاف طويلة[2].

رابعًا: الوضع الاقتصادي لقبيلة الصدف قبل الإسلام:

أما عن الوضع الاقتصادي لقبيلة الصدف في العصور السابقة لظهور الإسلام، فقد مارس أبناؤها العديد من الأنشطة الاقتصادية، ومنها:

---

(1) د. لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، ص 358.

(2) د. لطفي عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 359.

أ- الرعي:

كان الرعي يمثل المورد الاقتصادي الرئيسي في جنوب شبه الجزيرة العربية بحكم الطبيعة الجغرافية للمنطقة. وفي هذا الصدد كان رعي الإبل هو النوع الأساسي من الرعي في الأماكن التي يقل فيها العشب في المناطق الموغلة في الصحراء حيث يندر الماء. أما الأماكن الغنية بالعشب القريبة من الماء والواقعة على حواف السهول الزراعية، فكان يكثر فيها رعي الغنم أساسًا، والخيول والماشية في بعض الأحيان.

وقد كانت أرض المراعي مشاعًا بين القبيلة حيثما تستقر في مناطق العشب لفترة تطول أو تقصر، وهو أمر أملته ظروف الطبيعة والتعايش معها، وهكذا أصبح قانونًا ملازما لرعاة البادية[1].

ب- الزراعة والمحاصيل الطبيعية :

تشتهر بلاد اليمن بغنى محاصيلها وتنوعها، واعتدال مناخها، حتى لقد سميت - كما يقول الهمداني- باليمن الخضراء، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها[2]. ومن أهم هذه المحاصيل الزراعية: النخيل والأعناب والحبوب؛ والتي يأتي في مقدمتها الشعير الذي كانت زراعته منتشرة بعض الشيء في هذه المناطق، ثم الحنطة أو البر [القمح] الذي يبدو أن زراعته كانت على مستوى ضيق، ربما بسبب عدم ملاءمة المناخ أو التربة إلا في بعض المناطق القليلة.

ت- التجارة:

كانت التجارة من أهم الموارد التي لعبت دورًا أساسيًّا في تشكيل الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية.

أما المقومان الرئيسيان لهذا المورد فقد كان أحدهما هو الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي شبه الجزيرة العربية لتجد طريقها برًّا وبحرًا إلى مصر وسورية، ثم من الشواطئ السورية عبر البحر المتوسط إلى الشواطئ الأوروبية في بلاد اليونان والرومان. وأما المقوم الثاني فهو الموقع الجغرافي على المحيط الهندي.

---

(1) د. محمد محمود محمدين: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، الطبعة الرابعة، مصر، دار المريخ،(بدون - تاريخ)، ص 358.

(2) صفة جزيرة العرب، ص51.

طرق التجارة البرية:

لقد كان هناك مركزان تخرج منهما هذه الطرق، الأول: مدينة جرها على الخليج العربي، والثاني: مدن الساحل الجنوبي الغربي، وقد سارت هذه الطرق كالآتي:

1. الطريق الجنوبي الشمالي:

يبدأ من عدن وقنا في بلاد اليمن وحضرموت، ثم مأرب – على بُعد 80 ميلًا إلى الشرق من صنعاء – ثم يتجه إلى نجران فالطائف، ثم مكة ويثرب وخيبر والعلاء ومدائن صالح، ثم ينفصل الطريق هنا ليتجه فرع منه إلى تيماء صوب العراق، ويستمر الفرع الآخر في نفس الاتجاه حتى البتراء فغزة ثم الشام ومصر.

2. طريق مأرب:

ويتجه من مأرب ثم نجران، حيث يتجه إلى الشمال الشرقي في وادي الدواسر، ويمر بقرية «الفاو» ومن هناك يتجه إلى الأفلاج فاليمامة، أو عن طريق واحة يبرين – على مبعدة 300 كيلو متر جنوب غرب الهفوف– ثم واحة الهفوف، فمدينة جرها «الجرعاء»، على ساحل الخليج العرب.

3. الطريق البحري:

يمر بالبحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت ومنطقة عمان، ويبدأ من الخليج متجهًا شمالًا بغرب مارًّا بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد، فمنها بعدئذ، إما إلى الشمال في اتجاه العراق، وإما إلى بادية الشام.

4. الطريق الخامس:

فقد كان عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي، ويبدأ من منطقة حضرموت وعمان متجهًا إلى منطقة اليمامة، صاعدًا إلى بلاد الشام أو العراق، حيث يلتقي بالطريق الشرقي وبفرع الطريق الغربي[1].

(1) ابن خرداذبة : المسالك والممالك، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار صادر، 1889م، ص 134، الاصطخري: المسالك والممالك، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة،2004م، ص 27.

هذه هي الطريق البرية الطولية التي كانت تصل بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها، اتجاهًا إلى بلاد الشام.

أما أهم مواد تجار النقل في الصحراء، فكان كل ما خف حمله وغلا ثمنه، فمن الجنوب إلى الشمال يتحرك تبر الذهب والصمغ والعاج وريش النعام والبخور من اللبان والمر، ومن الشمال إلى الجنوب تتحرك الأقمشة والآلات والأدوات والمعادن والملح، أي الخامات من الجنوب والمصنوعات من الشمال[1].

ث- التعدين والصناعة:

أما عن المورد الرابع والأخير، فهو التعدين والصناعة. فقد عرف عرب جنوب شبه الجزيرة في تلك الفترة معادن كثيرة، مثل: الملح والعقيق والزمرد وغيرها، كما عرفوا قدرًا متقدمًا من صناعة النسيج والحياكة.

خامسًا: الوضع الديني لقبيلة الصدف قبل الإسلام:

وأنقل الحديث الآن إلى الوضع الديني أو الحياة الدينية التي عرفتها قبيلة الصدف في العصور السابقة للإسلام. والظاهرة التي نلاحظها على تطور العقائد الدينية في جنوب شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، هي أن المنطقة عرفت عددًا من مراحل التطور الديني في العصور السابقة للإسلام، ويشمل هذا التطور في عمومه مراحل أربعة، وهي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة عبادة أو تقديس أشياء مادية محددة مثل: الأحجار والأشجار والكهوف وينابيع المياه، وهي أشياء يرى البدوي أنها تفيده في حياته اليومية. حتى حين انتقل البدوي إلى مرحلة دينية أكثر تطورًا حين بدأ يعتقد في قوى إلهية أكثر شمولا وأكثر تجريدًا، كما حدث عندما ظهرت في منطقة الحجاز أو انتقلت إليها عبادات اللات والعزى ومناة وبعل[2].

أما المرحلة التالية: فهي عبادة الكواكب التي عرفتها بوجه خاص اليمن، وكان أهم هذه الكواكب هو الثالوث الذي يمثله القمر والشمس والزهراء، وكان الأول بين أركان هذا الثالوث هو القمر. وكانت زوجته الإلهية هي الشمس، ثم ابنهما الإلهي وهو

---

(1) د. محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الطبعة الثانية، مصر، دار المعرفة الجامعية، [بدون - تاريخ]، ص 120.

(2) ابن الكلبي: الأصنام، الطبعة الرابعة، مصر، دار الكتب المصرية، 2000م، ص 16.

كوكب الزهراء[1].

والمرحلة الثالثة: في هذا التطور الديني تمثلها عبادة الشمس «شمش» التي تشير إلى مجتمع مستقر يقوم أساسًا على الزراعة.

ثم نأتي بعد ذلك إلى المرحلة الرابعة، وهذه المرحلة تمثلها عقائد التوحيد، وهي: المسيحية واليهودية ثم الإسلام. أما عن اليهودية في اليمن، فأرجح أنها انتشرت هناك بسبب ما وصل إليه رجال الدين في اليمن من سطوة تحولوا معها إلى طبقة لها امتيازاتها الواسعة التي كانت تزحف على سلطات الملك ذاته في بعض الأحيان.

أما المسيحية فقد دخلت تأثيراتها من خارج شبه الجزيرة العربية. وقد بدأت تتسرب إلى اليمن في فترة مبكرة عن طريق بعض رجال الدين المسيحيين الذين فروا أمام الاضطهادات الدينية في سورية[2].

سادسًا: دخول الصدف في الإسلام:

بعد أن أعز الله الإسلام بفتح مكة (8 هـ/ 629م)، وانتصر المسلمون في غزوة تبوك (9هـ/ 630م)، أقبلت الوفود قاصدة المدينة المنورة في العام التاسع والعاشر الهجريين، يعلنون دخولهم في دين الله تعالى، حتى سمي العام التاسع للهجرة بعام الوفود[3]، والتي زاد عددها عن سبعين وفدًا.

وقد استقصى ابن سعد في جمع المعلومات عن هذه الوفود، وقدم ترجمات وافية عن رجالها، ومَنْ كانت له صحبة منهم، وما ورد عن طريقهم من آثار[4]. ومن هذه الوفود: وفد قبيلة تميم، وعبد القيس، وبني حنيفة، ووفد نجران، ووفد الأشعريين، ووفد دوس، وبني عامر بن قيس، وبني أسد، وبهراء، وخولان، ومحارب، وبني الحارث بن كعب، وغامد، وبني المنتفق، وسلامان، وبني عبس، ومزينة، ومراد، وزبيد، وكندة، وذي مرة،

---

(1) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ11، ص50.

(2) د. محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، الطبعة الرابعة، مصر، دار الفكر العربي، 1994م، ص 108- 109.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الأولى، جـ4، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،2012م، ص205، السهيلي: الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الأولى، جـ7، دولة لبنان، دار إحياء التراث العربي، 2000م، ص 443، المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1999م، ص 98.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبير، تحقيق: د. علي محمد عمر، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2002م ص 39 وما بعدها.

وغسان، وبني عيش، ونخع، وغيرها.

وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول التام، وبسط السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة المنورة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصًا عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة المنورة عاصمة لجزيرة العرب، لا يمكن صرف النظر عنها.

قال البلاذري: « لما بلغ أهل اليمن ظهور رَسُول اللهَّ ﷺ» وعلو حقه أتته وفودهم. فكتب لهم كتابا بإقرارهم عَلَى ما أسلموا عَلَيْهِ من أموالهم، وَأرضيهم، وركازهم، فأسلموا ووجه إليهم رسله وعماله، لتعريفهم شرائع الإسلام وسننه، وقبض صدقاتهم»[1].

ومن الجدير بالذكر، أن النبي(ﷺ) كان يمدح أهل اليمن ويثني عليهم خيرًا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ(ﷺ) قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»[2].

كما كَتَبَ رَسُولُ اللهِ(ﷺ) إلى أهل الْيَمَنِ: «مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكُمُ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللهَّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ(ﷺ)، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ»[3].

إن أخبار الوفود وكيفية تعامل رسول الله ﷺ معها من الأهمية بالمكان الكبير. فلقد تركت لنا تلك الأخبار منهجًا نبويًا كريمًا في تعامله ﷺ مع الوفود يمكننا الاستفادة من هديه(ﷺ) في تعامله مع النفسية البشرية وتربيته ودقته وتنظيمه، ففيها ثروة هائلة من الفقه الذي يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبُعد النظر.

يتضح ذلك من خلال، استقبال النبي(ﷺ) لوفد قبيلة الصدف. فقد ذكر المؤرخون من طريق شرحبيل بن عبد العزيز الصدفي، عن آبائه : أنهم وفدوا على النبي(ﷺ)، في بضعة عشر رجلاً في أُزر وأردية، فصادفوا رسول الله (ﷺ) يخطب على المنبر، فجلسوا ولم يسلموا، فقال: « أمسلمون أنتم؟»، قالوا : نعم. فقال: «فهلا سلمتم ؟». فقاموا قيامًا، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فقال : «وعليكم السلام، اجلسوا». فجلسوا وسألوا رسول الله (ﷺ)عن أوقات الصلاة فأخبرهم بها[4].

---

(1) فتوح البلدان، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار اقرأ، 1992م، ص 75.

(2) البخاري: صحيح البخاري، جـ5، ص 173، حديث رقم(4388)، مسلم: صحيح مسلم، جـ1، ص 72، حديث رقم(84).

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، جـ7، دولة لبنان، دار إحياء التراث العربي،1988م، ص 303.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ1، ص 39، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، جـ 1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1998م، ص 349.

وهذا يعكس لنا مدى حرص الرسول (ﷺ)على تعليم هذه الوفود وتربيتها، ويثبت لنا أن تلك الوفود كانت حريصة هي الأخرى على فهم الإسلام وتعلم شرائعه وأحكامه، وآدابه، ونظمه في الحياة، وتطبيق ما علموه تطبيقًا عمليًا، جعلهم نماذج حياة لفضائله.

هذا، وقد كان لكثير من تلك الوفود تساؤلات عن أشياء كانت شائعة بينهم ابتغاء معرفة حلالها وحرامها، وكان النبي ﷺ حريصًا أشد الحرص على تفقيههم في الدين، وبيان ما سألوه عنه، وكان(ﷺ) يدني منهم مَنْ يعلم منه زيادة حرص على القرآن الكريم وحفظ آياته تفقهًا فيه[1]. كما كان(ﷺ) يسأل عمن يعرف من شرفائهم، فإذا رغبوا في الرحيل إلى بلادهم أوصاهم بلزوم الحق، وحثهم على الاعتصام بالصبر، ثم يجزيهم بالجوائز الحسان، ويسوي بينهم، فإذا رجعوا إلى أقوامهم رجعوا هداة دعاة مشرقة قلوبهم بنور الإيمان، يعلمونهم مما علموا، ويحدثونهم بما سمعوا، ويذكرون لهم مكارم النبي ﷺ وبره وبشره واستنارة وجهه سرورًا بمقدمهم عليه، ويذكرون لهم ما شاهدوه من حال أصحابه في تآخيهم وتحاببهم، ومواساة بعضهم بعضًا ليثيروا في أنفسهم الشوق إلى لقاء رسول الله(ﷺ) ولقاء أصحابه، ويحببوا إليهم التأسي بهم في سلوكهم ومكارم أخلاقهم.

صفوة القول، أن قبيلة الصدف قد دخلت في الإسلام، فحسُن إسلامهم، وصار لهم دورٌ كبيرٌ في تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ مصر الحضاري خاصة.

سابعًا: دور الصدفيين في فتح مصر:

في خلافة عمر بن الخطاب (13 – 23هـ / 634 – 644 م) توجه الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص (50 ق هـ – 43 هـ / 574 – 664 م) لفتح مصر، وقد شاركت قبيلة الصدف ضمن القبائل العربية الأخرى في هذا الفتح، وكان للصدفيين دور بارز في هذا النصر العظيم .

يأتي في مقدمتهم القائد جُعشم الخير بن خليبة الصدفي[2]، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه شارك في فتح حصن بابليون، وكان له دور بارز في اقتحام هذا الحصن[3].

---

(1) د. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: السِّيرةُ النّبوية، عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، الطبعة السابعة، دولة لبنان، دار المعرفة، 2008م، ص861.

(2) ابن الأثير: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1994م، ص 180، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: على محمد البجاوي، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية1994م، ص159.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 528، السيوطي: حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي،1418هـ – 1988م، جـ1، ص 186 ويذكره:(جعشم).

ومنهم : شُرَحبيل بن حُجَيَّة بن عمرو الصدفي[1]، أحد الأبطال الذين شاركوا في فتح حصن بابليون في سنة (19هـ/ 640م). فقد حاصر المسلمون هذا الحصن لمدة سبعة أشهر، وعندما رأى الزبير بن العوام رضي الله عنه خللاً في إحدى جوانب الحصن نصب سُلمًا وأسنده إلى الحصن، وقال: «إني واهب نفسي لله عز وجلّ فمن شاء أن يتبعني فليفعل»[2]، فتبعه جماعة من المسلمين حتى صعد أعلى الحصن فكبر وكبر المسلمون معه. فنصب شُرَحبيل سُلمًا آخر في الجانب المقابل كي يشغل مقاتِلة الروم عن الزبير وأعوانه، فكانت شجاعة الزبير وشُرَحبيل سببًا من أسباب النصر على الروم، وفي فتح حصن بابليون بصورة نهائية، وهذا ما عبر به عمرو بن العاص بقوله:

يـوم لهمدان ويـوم للصدف   والمنجنيق في بلى مختلف[3].

بعد أن انتهى عمرو بن العاص من فتح حصن بابليون، وأحكم سيطرته على هذه المنطقة الحيوية من البلاد، أرسل جنده لاستكمال عملية الفتح، وبسط سيطرته على باقي أقاليم مصر، فأرسل جيشًا لفتح الفيوم بقيادة ربيعة بن حُبيش بن عرفصة الصدفي[4]، والذي نجح في فرض سيطرته على المنطقة الواقعة بين إقليم الشرقية وحتى إقليم الفيوم[5].

ومن أشهر القادة الصدفيين الذين شاركوا بفاعلية في إتمام الفتح، القائد مالك بن ناعمة الصدفي[6]، والذي عده الكندي من مفاخر أهل مصر، حيث قال: «وفارسهم مالك بن ناعمة، فارس الشقر»[7]، والذي كان يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام[8].

هذا، وقد شارك مالك بن ناعمة في معركة نقيوس[9] تحت إمرة عمرو بن العاص[10]، وكتب الله تعالى النصر للمسلمين على أعدائهم، وفر قائد الروم « دوميتانوس»

---

(1) ابن حجر: الإصابة، جـ 2، ص26.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 3، ص 331.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1999م، ص 93.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 184، ابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1967م، ص127، الزبيدي: تاج العروس، جـ1، 233.

(5) ((ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 227، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 143. وقد ذكر البلاذري رواية أخرى في فتح إقليم الفيوم. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص 315.

(6) ابن حجر: الإصابة، جـ 3، ص 140.

(7) الكندي: فضائل مصر المحروسة، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص5.

(8) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، جـ 56، دولة سوريا، دار الفكر، 1998م، ص505.

(9) موضع نقيوس القديمة هو القرية الحديثة المسماة « شبشير»، وهي في الشمال الغربي من منوف على نهر النيل. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الطبعة الأولى، جـ 3، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م، ص 219.

(10) ألفرد بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، الطبعة الثانية، مصر، مكتبة مدبولي، 1996م، ص 309 وما بعدها.

إلى الإسكندرية، فبعث عمرو شريك بن سّمي مقدمة لجيشه ليتعقب الفارين من الروم.

هؤلاء أشهر الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر من قبيلة الصدف، والذين سوف يكون لهم دور هام في إثراء الحركة العلمية في مصر.

ثامنًا: خِطط الصدف بمدينة الفسطاط:

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية[1]، عاد مرة ثانية إلى القرب من حصن بابليون[2]، فأقام فسطاطه[3] ونزل به، ثم نزل الناس حوله، وابتنى داره الصغرى التي هي بالقرب من جامعه[الجامع العتيق[4]]، وتسارع الناس في الاختطاط حوله، وتنافست القبائل في ذلك، فولى عمرو على الخطط معاوية بن حديج التجيبي، وشريك بن سمي العطيفي، وعمرو بن قحزم الخولاني، ففصلوا بين القبائل، وأنزلوا الناس منازلهم، فاختطوا الخطط ثم بنوا الدور والمساجد، ومن ثم فقد عرفت كل خِطة بالقبيلة أو الجماعة التي اختطتها، أو بصاحبها الذي اختطها[5]. ومن تلك الخطط: خطة مهرة، وخطة تجيب، وخطة لخم، وخطة جذام، وخطة الصدف التي كانت تقع بين خطة غافق، وخطة خولان.

إذًا، قسمت مدينة الفسطاط إلى خِطط، كل خِطة تسكنها قبيلة. كانت الأكثرية العظمى من عرب الجنوب أو اليمنية. وبمرور الوقت اندمج العرب الفاتحون مع الشعب المصري، وامتزجوا به امتزاجًا قويًا، كان له أكبر الأثر في نشر الدين الإسلامي، واللغة العربية بين سكان مصر[6].

ومن المُسَّلم به أن الموجه العربية الإسلامية، بدأت هجرة بأعداد محدودة، وكانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب تقوم على الحفاظ على التقليد العسكري للجند بعيدًا عن

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 182، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م، ص: 143، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 76.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 311، بتلر: فتح العرب لمصر، ص 269 وما بعدها.

(3) الفُسطاط: بَيْتٌ مِنْ شعَر، وضْرب مِنَ الَأبنية. ومجتَمع أَهل الكُورة حَوالَيْ مَسْجِدِ جَمَاعَتِهِمْ. ابن منظور: لسان العرب، جـ7، ص 371.

(4) المقريزي: الخطط، جـ4، ص 4-20، السيوطي: حُسن المحاضرة جـ2، ص209، د. كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، القاهرة، دار المعارف، 1977م، ص4، د. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة وهبة، 1996م، ص 242-243.

(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 168، المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مكتبة الآداب، 1996م، جـ1، ص 373، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 3، ص 331، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007م، ص 65.

(6) د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 240.

الزراعة والأرض، بينما كان عمرو بن العاص هو واضع نظام « الارتباع»[1]، فكان ينقل العرب كل ربيع إلى الصحراء ومراعيها حفاظًا على تقاليد البدو والبداوة[2]. ولما كان نظام الارتباع يتكرر في كل عام، فكان أفضل وسيلة لمعرفة العرب بعادات وتقاليد المصريين، وفرصة للتفاعل الاجتماعي والاقتصادي بين العرب والأقباط، ومن ثم فقد نقل العرب للأقباط المؤثرات العربية؛ مثل اللغة العربية والدين الإسلامي. وقد ظلت هذه السياسة سارية ونافذة عقب الفتح، ثم بدأ التحول إلى الزراعة والاستقرار بالتدريج. والجدير بالذكر، أن قبيلة الصدف قد ارتبعت في الفيوم[3].

وأُؤكد على أن كثيرًا من المصريين قد تقبلوا العرب الوافدين، وهذا قد سهل التقريب بين العنصرين وشجع الامتزاج الكامل بينهما. فانساح العرب الفاتحون في طول البلاد وعرضها، ينشرون الإسلام، ويندمجون مع سكان البلاد الأصليين. ولم نقرأ عن هجرات عربية تاركة مصر عائدة إلى أوطانها الأصلية.

إن من أهم الظواهر الاجتماعية – ليس فقط في حياة القبائل العربية، بل في حياة المجتمع المصري كله – ظاهرة انتشار القبائل العربية وتمركزها في قرى ونواحي مصر.

حيث كانت القبائل العربية تتمركز في البداية في الخطط، وكان ذلك له أثره الكبير في المجتمع القبلي والمصري، فقد هجرت القبائل العربية حياتها الأولى التي كانت تعتمد فيها على العطاء الذي تمنحه الدولة، وأخذت تسعى إلى كسب عيشها بمخالطة المصريين ومشاركتهم أعمالهم. وقد بلغ هذا الانتشار ذروته في القرنين الثالث والرابع الهجريين، نتيجة لإسقاط العرب من ديوان العطاء، ثم سيطرة العناصر الفارسية والتركية على المناصب في عاصمة الخلافة والولايات مما دفع بالقبائل العربية إلى النوح إلى الريف ومخالطة المصريين والتزواج معهم ومشاركتهم اعمالهم. ولقد كان هذا تحولًا كبيرًا في حياة القبائل العربية، فقد نزلت من عليائها وخالطت المصريين، ثم أخذ ارتباط القبائل بالأرض المصرية يزداد،

(1) الارتباع : هو ما يسمى بالربيع، وهو نظام مرسوم منذ اللحظة الأولى لدخول العرب مصر. أي عندما يأتي فصل الربيع يذهب العرب قبيلة قبيلة نحو أرياف مصر، ويطلقون خيولهم ترعى في حقول البرسيم حتى تسمن، ويتعاملون مع المصريين، في نطاق منظم طيلة ثلاثة شهور، ثم يرجعون إلى الفسطاط. د. ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة مدبولي، [بدون – تاريخ]، ص 62.

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 141.

(3) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م ص 248، د. ممدوح عبد الرحمن الريطي: المرجع السابق، ص98.

فقد أصبح العربي ينتسب إلى قرى ومدن مصر، كما كان ينتسب إلى القبيلة.

ثم كانت لهذه الحركة آثار هامة أخرى؛ فقد صحب تلك الحركة انتشار الإسلام وازدياد إقبال المصريين عليه ودخولهم فيه، ثم زاد كذلك انتشار اللغة العربية، وأصبحت – ليس فقط – لغة للعلم، بل أيضًا لغة الحديث والتخاطب.

ومن ناحية أخرى، كان انتشار القبائل العربية عاملًا ساعد على انتشار بعض العادات العربية. ولقد كان طبيعيًا أن تزداد وتنتشر تلك العادات التي تشابهت مع بعض عادات المصريين[1].

وهكذا، كانت حركة الانتشار تلك بداية تكوين الشعب المصري بدمه العربي، ودينه الإسلامي، ولغته العربية.

صفوة القول، أن الهجرة العربية هي أول وآخر وأخطر هجرة استيطان موجبة فاعلة وناجحة في تاريخ مصر، ومن ثم فهي أهم وأخطر إضافة إلى تكوين الدم المصري، ولكن – والحق يقال – إذا كان العرب قد عربوا مصر ثقافيًا، فإن مصر قد مصرتهم جنسيًا، وأن التعريب(تعريب المصريين) تحول في النهاية إلى تمصير(تمصير العرب)[2].

ولاشك أن هذ القول ينطبق علي قبيلة الصدف، التي ترك بعض أهلها مكانهم الأول بالفسطاط ورحلوا في طول البلاد وعرضها، فبعضهم نزل الدلتا والبعض الآخر استقر في الصعيد، وخاصة في محافظة أسيوط التي مازالت بعض مدنها يحمل اسم «صدفا» المحرفة عن الاسم القديم «صدفة»[3] نسبة إلى قبيلة الصدف التي استقرت هناك.

تاسعًا: دور الصدفيين في الدعوة لبني الحسن:

في أعقاب الفتح الإسلامي لمصر(21هـ/ 641م) قام المصريون بالثورات ضد بعض الولاة عندما كان يمسهم الأمر. وقد تتابعت ثورات المصريين حتى شملت الوجه البحري والقبلي[4] – ومنها على سبيل المثال – ثورة الشعب المصري في سنة(121هـ/

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأثرها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1976م، ص 155.

(2) د . جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الطبعة الأولى، جـ2، مصر، دار الهلال، [بدون – تاريخ]، ص 306.

(3) محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، جـ5، ص 19.

(4) د. ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص 128 وما بعدها.

738م) ضد الوالي حنظلة بن صفوان[1]. وثورة المصريين في سنة(132هـ/ 749م) في ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى[2]. وثورة أهل رشيد في نفس العام، وغيرها من الثورات. ولكني لم أعثر على مشاركة لأحد من الصدفيين في أية ثورة قامت على أرض مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى أصبحت مصر ولاية عباسية.

هذا، ولم يكن زوال الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، إيذانًا بانتهاء مقاومة العلويين للخلافة؛ لأن العباسيين في نظرهم مغتصبين للخلافة كما كان الأمويون من قبلهم؛ لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسي، قام علوي يدعو إلى نفسه بالخلافة.

وعندما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة العباسية(136 – 158ه/ 754 – 775م) جعل حميد بن قحطبة واليًا على مصر، وفي إمارته قدم علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى مصر في سنة (145هـ/ 762م)، داعية لأبيه محمد النفس الزكية، وعمه إبراهيم[3].

فكان علي بن محمد – كما يقول الكندي – : «أول علوي قدم مصر» [4] فالتف الناس حوله، وكان قائد دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حُبيش الصدفي[5]، الذي نجح في نشر الدعوة العلوية بين سكان مصر ؛ مستغلاً محبة المصريين لآل البيت، فبايع كثير منهم على بن محمد بالخلافة، معلنين الثورة ضد الخلافة العباسية.

وعندما رأى أبو جعفر المنصور تواني حميد بن قحطبة في القبض على علي بن محمد عزله في ذي القعدة (144هـ / 761م) وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة[6] (ت 170 ه/ 787 م)،الذي حاول تدارك الأمر فجعل على شرطته عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج(ت 155 ه/ 772 م) والذي أرصد تحركات علي بن محمد.

أما خالد بن سعيد الصدفي فقد جمع أنصاره وأعوانه للقيام بثورة عارمة يقضي بها نهائيًا على يزيد بن حاتم، ويجعل مصر مقرًا للخلافة العلوية. وبالفعل، دارت المباحثات

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 281.

(2) المقريزي: الخطط، جـ1، ص 395.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ5، ص 171، رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 33.

(4) الكندي: ولاة مصر، تحقيق: د. حسين نصار، الطبعة الأولى، مصر، دار الكتب والوثائق القومية، 2005م، ص 134.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1996م، جـ3، ص 731.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 2، ص 3.

بين الزعماء مساء يوم الخميس العاشر من شهر شوال سنة (145ه/ 762م) فبعضهم رأى ضرورة اقتحام دار الإمارة، والقبض على يزيد بن حاتم، والاستيلاء على السلطة بالقوة. بينما رأى الآخرون أن الأفضل الاستيلاء على بيت المال ؛ لأنهم في حاجة شديدة للأموال لشراء الأسلحة اللازمة للثورة. وبعد مباحثات طويلة أسفر الاجتماع على الرأي الثاني ؛ وهو ضرورة اقتحام بيت المال و الاستيلاء عليه فجرًا.

ولكن يبدو أن تحركات خالد بن سعيد الصدفي كانت مرصودة من قِبل قائد الشرطة عبد الله ابن عبد الرحمن، والذي أرسل على الفور أنباء هذا الاجتماع إلى الوالي يزيد بن حاتم .

اجتمع يزيد بكبار قادة جنده، وبعد مباحثات ليست بالطويلة، استقر الأمر على مداهمة خالد بن سعيد الصدفي وأنصاره قبل أذان الفجر. وبالفعل، نجحت قوات يزيد في مداهمة خالد بن سعيد، وتم القبض على كثير من أنصاره، وابنيه إبراهيم وهُدْبة، أما هو فقد نجح في الهرب، وتوارى عن الأنظار زمنًا طويلاً، حتى مات في الإسكندرية سنة(160هـ/ 776م) [1]، في خلافة المهدي العباسي(158 - 169هـ/ 775 - 785م).

أما بخصوص علي بن محمد فقد اختلفت الروايات التاريخية حول مصيره، فبعضها ذكر أنه حُمل إلى أبي جعفر المنصور بالعراق. وقيل: إنه اختفى بمصر عند رجل من أنصاره يسمى عسامة بن عمرو حتى مرض ومات عنده. ثم تم القبض على عسامة بعد ذلك، و حُمل الى العراق وحُبس زمانًا حتى آلت الخلافة الى المهدي فأمنَّه على أن يصدقه القول في مصير علي ابن محمد، فأقسم له أنه مات في بيته[2].

وهكذا انتهت تلك الحركة بالفشل، والذي يرجع في المقام الأول لسوء تخطيط خالد بن سعيد الصدفي. ويثبت نجاح قائد الشرطة عبد الله بن عبد الرحمن، والذي كافأه المنصور بولاية مصر سنة (152هـ/ 769م).

كانت هذه الثورة آخر مشاركة للصدفيين في الحياة السياسية في مصر، ويبدو أنهم قد استوعبوا هذا الدرس جيدًا، فلم نقرأ أن أحدهم شارك في غمار السياسة بعد ذلك. ويبدو أنهم غيروا وجهتهم إلى طلب العلم والنبوغ فيه .

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير، نفس الجزء، ص 722، وكتابه: المواعظ والاعتبار، جـ 3، ص 76.

(2) الكندي: ولاة مصر، ص 135 - 136، د . سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص152.

المبحث الثاني
قبيلة تجيب بين الجاهلية والإسلام

تقع شبه الجزيرة العربية في الطرف الجنوبي الغربي لقارة آسيا، وقد اصطلح جغرافيو العرب على تقسيم الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام رئيسة، وهي: تهامة، ونجد، واليمن، والعروض الواقعة بين اليمامة وعمان، البحرين. وسميت بذلك لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق[1]. والذي يهمنا هنا هو حدود بلاد اليمن عند مجيء الإسلام فكانت تمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوبًا والبحر الأحمر غربًا. وقد يتصل بها من الشرق حضرموت والشحر وعمان، وكانت هذه البلاد تعرف بالأرض الخضراء، أو بلاد اليمن السعيد، حيث كانت أرضها صالحة للزراعة.

وتعد اليمن أقدم موطن للعرب على الإطلاق، فالعرب الذين أقاموا فيها وخرجوا منها قد عرفوا عند علماء الأنساب بالعرب العاربة، وذلك لأنهم أصل العرب وأول الذين تكلموا العربية، إذ أنهم ينتمون إلى قحطان بن هود من بني عاد، من نسل سام بن نوح[2].

ويقسم علماء الأنساب أولاد قحطان إلى قسمين رئيسيين هما: كهلان، وحمير، وتنقسم كهلان إلى فرعين رئيسيين : مالك، وعريب. و الذي يهمنا هنا هو فرع عريب، والذي انقسم بدوره إلى أربعة أفرع : مرة، ومذحج، وطيئ، والأشعر، وتفرعت مرة إلى فرعين : عدي، ومالك. وتنقسم عدي إلى قبائل كبيرة ؛ أهمها على الإطلاق قبيلة كندة[3].

---

(1) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1411هـ/ 1991م، جـ1، ص 10.

(2) د. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي(قبل البعثة)، بيروت: المكتب الإسلامي، 1421هـ/ 2000م، جـ1، ص 87. هذا، ونسب قحطان مختلف فيه بين النسابين، ونسبته إلى عدنان أرجح وأصوب. انظر: ابن حجر: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407هـ- 1987م، جـ6، ص 537، حديث رقم(2743)، كتاب المناقب، باب نسبة إسماعيل إلى اليمن.

(3) قبيلة كندة، قبيلة قحطانية تنسب إلى ثوْر بن عفير بن الحارث، من ولد زيد بن كهلان . وسمي كندة ؛ لأنه كند أباه أي كفر نعمته، وقد عرفت باسم» كندة الملوك«، لأنهم ملكوا أولادهم على القبائل. فهي إذًا قبيلة كبيرة العدد، كان موطنهم بلاد حضرموت الواقعة بين الجنوب الشرقي لبلاد اليمن، وقد ملكوا جهات مختلفة من هذه البلاد، كما كان لهم السلطان والقوة والنفوذ. ومن الجدير بالذكر، أن قبيلة كندة كانت إحدى القبائل العربية التي ظلت في أرض اليمن بعد انهيار سد مأرب. ولم تخرج منها إلا بعد ظهور الإسلام، حيث

تنتُسب قبيلة تجيب إلى كندة [1]، ومن بطونها: بنو صمادح[2]، وبنو سوم[3]، وزميلة(زميل)[4]، وخلاوة : نسبة إلى معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن تجيب[5]، وعباد : نسبة إلى عباد بن ربيعة[6]، وفردم[7]، وقتيرة[8]، وبنو القرناء[9]، وأبذا : نسبة إلى أبذى بن عدي بن تجيب[10]، وأندا بن عدي[11]، وإيدعان : نسبة إلى إيدعان بن سعد بن تجيب[12]، وأواب، بنو عامر: نسبة إلى عامر بن عدي بن تجيب[13]، والسعدي: نسبة إلى سعد بن تجيب[14].

أولًا: دخول قبيلة تجيب في الإسلام:

كان من الوفود القاصدة للمدينة المنورة في العام التاسع والعاشر الهجريين، يعلنون دخولهم في دين الله تعالى أهل اليمن ؛ وخاصة قبيلة كندة، وقبيلة حضرموت، وقبيلة تجيب

شغلوا أرفع المناصب في الدولة الإسلامية، وكان لأبنائها الصدارة في كل بلد انتقلوا إليه حتى صرخ الخليفة هشام بن عبد الملك (105 – 125 هـ/ 724 – 743 م) قائلاً : «يالكندة» عندما لاحظ أن سادة فلسطين وحمص والجزيرة، كلهم من كندة. ولا يخفى علينا أن قبيلة كندة قد شاركت بقوة في فتح مصر، وطاب لها المقام فيها . يتضح ذلك من شواهد القبور التي تؤيد ذلك والتي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين. د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ 6، ص 5، جـ 8، ص 55، د. عبد الله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص 173.

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر العربي،1417هـ – 1996م، جـ 1، ص 353، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ 1، ص 228، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 176، السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 448، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 2، ص 65، د. جواد علي: المفصل، جـ 8، ص 55.

(2) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 106، الزَّبيدي: تاج العروس،جـ 2، ص 402، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ 2، ص 650.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 338، السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب، بيروت، دار صادر، د.ت، ص46، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 23، الزبيدي، تاج العروس، جـ32، ص 439.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 165، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص 65، السيوطي: لب اللباب، ص 41، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ2، ص 480.

(5) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 423، الهمداني: عجالة المبتدي، ص17، الزبيدي: تاج العروس، جـ10، ص 119، كحالة : معجم قبائل العرب، جـ 1، ص 353.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص 125، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ2، ص 719.

(7) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص 363، السيوطي: لب اللباب، ص 62، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ3، ص 914.

(8) السمعاني : الأنساب، جـ 4، ص 452، كحالة: معجم قبائل العرب ، جـ 3، ص 970.

(9) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص 480، السيوطي: لب اللباب، ص 66.

(10) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 71، الهمداني : عجالة المبتدي، ص 3.

(11) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص215، السيوطي: لب اللباب، ص 6.

(12) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 235، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ 1، ص 56.

(13) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص225، الهمداني: عجالة المبتدي، ص25.

(14) السمعاني: الأنساب ، جـ3، ص 255.

كلاً على حدا. وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن وفد قبيلة تجيب كان يتكون من ثلاثة عشر رجلاً، قدموا على الرسول(ﷺ) وقد ساقوا صدقاتهم بين أيديهم، فأكرم الرسول(ﷺ) وفادتهم.

قال المؤرخون : «فصل في قدوم وفد تجيب» ثم قال: «وَقَدِمَ عَلَيْهِ (ﷺ) وَفْدُ تُجِيبَ وَهُمْ مِنْ السّكُونِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدْ سَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ الّتِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَسُرّ رَسُولُ اللهّ (ﷺ) بِهِمْ وَأَكْرَمَ مَنْزِلَهُمْ وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهّ سُقْنَا إلَيْك حَقّ اللهّ فِي أَمْوَالِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهّ (ﷺ) رُدّوهَا فَاقْسِمُوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهّ مَا قَدِمْنَا عَلَيْك إلّا بِمَا فَضَلَ عَنْ فُقَرَائِنَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللهّ مَا وَفَدَ مِنْ الْعَرَبِ بِمِثْلِ مَا وَفَدَ بِهِ هَذَا الْحَيّ مَنْ تُجِيبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهّ (ﷺ) «إنّ الْهُدَى بِيَدِ اللهّ فَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ» وَسَأَلُوا رَسُولَ اللهّ (ﷺ) أَشْيَاءَ فَكَتَبَ لَهُمْ بِهَا وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ الْقُرْآنِ وَالسّنَنِ فَازْدَادَ رَسُولُ اللهّ (ﷺ) بِهِمْ رَغْبَةً وَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُحْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ فَأَقَامُوا أَيّامًا وَلَمْ يُطِيلُوا اللّبْثَ فَقِيلَ لَهُمْ مَا يُعْجِبُكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَرْجِعُ إلَى مَنْ وَرَاءَنَا فَنُخْبِرُهُمْ بِرُؤْيَتِنَا رَسُولَ اللهّ (ﷺ) وَكَلَامِنَا إيّاهُ وَمَا رَدّ عَلَيْنَا ثُمّ جَاءُوا إلَى رَسُولِ اللهّ (ﷺ) يُوَدّعُونَهُ فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ بِلَالًا فَأَجَازَهُمْ بِأَرْفَعَ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوُفُودَ[1] .

نلمح من هذا النص، أن قبيلة تجيب كانت قد أسلمت قبل قدومها على الرسول (ﷺ)، و كانت على علم بأركان الإسلام فقد ساقوا معهم صدقات أموالهم، مما جعل الرسول (ﷺ) يُسر بهم. ونلمح أيضًا الاهتمام المبكر منهم على تعلم شرائع الإسلام من قرآن وسُنَّة (وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ الْقُرْآنِ وَالسّنَنِ)، وهذا ما سوف يكون له أكبر الأثر في الحركة العلمية فيما بعد.

هكذا دخلت قبيلة تجيب في الإسلام، فحسُن إسلامهم، وصار لهم دورٌ كبيرٌ في تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ مصر الحضاري خاصة.

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ 1، ص 323، ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م، جـ 3، ص 564، ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة،1971م،جـ 4، ص 179، القلقشندي: نهاية الأرب، جـ 5، ص 56.

ثانيًا: خِطط قبيلة تجيب بمدينة الفسطاط[1]:

كانت قبيلة تجيب إحدى القبائل العربية التي صحبت القائد عمرو بن العاص(50 ق هـ - 43 هـ/ 574 - 664 م) في فتح مصر، وكان لها نصيب كبير في الاستيلاء على حصن بابليون، مما دعا شاعرها إلى الفخر بقوله:

وبابليون قد سعدنا بفتحها وحزنا لعمرو الله فيئا و مغنما[٢]

وكان من أشهر الخطط في الفسطاط: خطة لخم، وجذام، والصدف التي كانت تقع بين خطط غافق، وخطط خولان، وخزاعة، وأسلم، وغِفْار، وثقيف، ودروس، وأهل الراية ؛ وهم جماعة من قريش والأنصار لم ينتسبوا إلى قبيلة، فانفردوا بخطة وحدهم، وكانت من أعظم الخطط وأوسعها، كما يقول القلقشندي[3]. وخطة مهرة، وخطة تجيب: والتي حدد المقريزي موضعها بأنها كانت تقع

بالقرب من خطة مهرة، وكانت تشغل المنطقة الواقعة مكان جامع أحمد بن طولون[4] الحالي، والتي كانت تعرف بدرب الممصوصة[5].

والجدير بالذكر، أن قبيلة تجيب - نظرًا لكبرها، وتعدد بطونها - كان لها مربعان، الأول: في تمي الأمديد[6]، مركز السنبلاوين من محافظة الدقهلية حاليًا، وتل بسطة[7] بمحافظة الشرقية، و أوسيم[8] بمحافظة الجيزة. والثاني: في البدقون[9]، الواقعة - حاليًا - في محافظة البحيرة، وتشغل الجزء الشمالي من مركز إيتاي البارود، والجزء الجنوبي من مركز شبرا خيت. وبهذا أستطيع القول: أن أماكن ارتباع قبيلة تجيب كانت متناثرة في محافظات

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 171، ياقوت: معجم البلدان، جـ4، ص 262، المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ1، ص373، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ1، ص65، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ3، ص331.

(2) المقريزي: الخطط، جـ 2، ص 453.

(3) صبح الأعشى ، جـ 1، ص 447.

(4) المقريزي: الخطط، جـ 2، ص 103، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 3، ص 14 وما بعدها، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 2، ص 215، د. سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1430هـ - 2009م، جـ 1، ص 144 - 145.

(5) الخطط، جـ1، ص 373، ولم أعثر على ترجمة وافية لهذا الدرب فيما تحت يدي من مصادر.

(6) رمزي: القاموس الجغرافي، جـ 2، ص 188.

(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ1، ص 242. رمزي: القاموس الجغرافي، جـ2، ص 85.

(8) رمزي: القاموس الجغرافي، جـ4، ص 57.

(9) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 1، ص 287. مادة (البذقون)، رمزي: القاموس الجغرافي، جـ 1، ص 28.

الدقهلية، والشرقية، والجيزة، والبحيرة[1].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن كثيرًا من المصريين قد تقبلوا العرب الوافدين، وذلك يرجع إلى إحساسهم وإدراكهم بأنهم بعض أقاربهم وأصولهم وليسوا بغرباء عنهم، إنهم من الناحية الشكلية يشبهونهم، وهذا قد سهل التقريب بين العنصرين وشجع الامتزاج الكامل بينهما. يضاف إلى ذلك، أن مصر منذ الفتح الإسلامي لها ازدهرت أحوالها وعمها الرخاء، وأمن أهلها، ولم يعد يشكون من ثقل الضرائب الملقاة على أكتافهم. ومن هذا المنطلق اعتبرت مصر عمرًا بن العاص رضي الله عنه منقذًا وفاتحًا. وما لبث عمرو أن غرس بذور الحضارة الإسلامية في مصر وبسط جناح الإسلام في أرجائها. فأسس عاصمة جديدة للبلاد هي الفسطاط. وشيد أول جامع بمصر، والذي أصبح منارًا ساطعًا للعلم والثقافة. لذا فقد انساح العرب الفاتحون في طول البلاد وعرضها، ينشرون الإسلام، ويندمجون مع سكان البلاد الأصليين. ولم نقرأ عن هجرات عربية تاركة مصر عادت إلى أوطانها الأصلية، التي ربما لا يعرفها بعضهم أحيانًا.

ولاشك أن هذه النظرية تنطبق علي قبيلة تجيب، التي ترك بعض أهلها مكانهم الأول بالفسطاط ورحلوا في طول البلاد وعرضها، فبعضهم نزل الصعيد[2] والبعض الآخر استقر في الدلتا[3]. وبمرور الوقت، عبر بعضهم الحدود المصرية واتجهوا غربًا ليستقروا في برقة[4]، و واصل الآخرون سيرهم حتى نزلوا في بلاد الأندلس. وكان لهم دور كبير هناك، ومعظمهم يحمل لقب «التجيبي»[5].

ثالثًا: المنشآت الحضارية للتجيبيين في مصر:

هذا، وقد تركت قبيلة تجيب بصماتها الحضارية في مصر الإسلامية. فقد ساهمت في تشييد بعض المنشآت الحضارية، ومن أهمها:

أ- **جامع عمرو بن العاص**: الذي خصصت أرضه في البداية إلى الصحابي قيسبة بن

(1) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، ألمانيا، جوتنجن، 1847 م، ص 28، البري: القبائل العربية في مصر، ص 179.

(2) أمين واصف: معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد زكي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1998 م، ص 10- 11.

(3) دلُتا النَّهر: رواسب نهريّة، على شكل حرف (الدَّال) بين أفرع النَّهر. د. أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت، عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م، جـ1، ص 788.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 388.

(5) من الصعب الحديث - هنا - عن دور التجيبيين في بلاد المغرب والأندلس، فهذا يستحق بحثًا مفردًا.

كلثوم بن حباشة التجيبي، الذي رحل بأسرته من بلاد الشام إلى مصر مع جيش عمرو بن العاص . وقد بلغت أسرته نحو مائة رجل، وخمسين عبدًا، وثلاثين فرسًا، واقتطع المنطقة المواجهة إلى حصن بابليون، واتخذها مقرًا له . وبعد أن أتم الله تعالى فتحه على المسلمين، وقع اختيار عمرو بن العاص على هذا الموضع ليكون مسجدًا جامعًا لهم. وبالفعل، تنازل عنه قيسبة قائلاً: « لقد علمتم يا معشر المسلمين أني حزت هذا المنزل وملكته، وإني أتصدق به على المسلمين»[1]، ثم ارتحل هو وأسرته فنزل على قومه من بني سوم . فكانت الشعراء تتغنى به، حتى قال أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبي:

وقيسبة الخير بن كلثوم داره أبـاح حماها للصلاة و سلما

فكل مصل في فنانا صلاته تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما[٢]

وقال قيس بن سلمة الشاعر في قصيدته التي امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة بن كلثوم:

وأبـوك سلم داره و أباحها لجباه قوم ركع و سجود[٣]

وبتنازل قيسبة عن هذا المكان، أقيم أول مسجد جامع في مصر بل في إفريقيا كلها. ثم صار هذا الجامع العتيق أو « تاج الجوامع »[4] - كما يقول المقريزي - منارة للعلم والعلماء، وما زال يؤدي رسالته في مصر والعالم الإسلامي.

ب- **جب عميرة:** من الأماكن المشهورة في مصر الإسلامية . وهو منسوب إلى عميرة بن تميم بن حيى القرنائي التجيبي[5]. وكان أول من نزل في هذا الموضع، فنسب إليه. ثم عرف بعد ذلك بـ» بركة الحاج» ؛ وذلك لنزول الحجاج به عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة، ونزولهم به عند الرجوع[6] . وقد ظل هذا الموضع متنزهًا للمصريين حتى عصر الدولة الفاطمية[7].

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ 2، ص 453.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 1، ص 451، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 3، ص 334، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 1، ص 26.

(3) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، دمشق: دار الفكر، 1404هـ - 1984م، جـ 5، ص 21.

(4) الخطط، جـ 2، ص 454.

(5) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص 480، ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ 1، ص 256.

(6) ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ 1، ص 466.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1416هـ-1996م، جـ1، ص103 . د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، ص 49.

هكذا، كان لتجيب دور هام في الفتح الإسلامي لمصر، وفي نشر الإسلام واللغة العربية بين سكانها، كما سيمر بنا، كما كان لهم دور هام في المساهمة في بعض المنشآت الحضارية، والأماكن الأثرية في مصر الإسلامية، التي ما زالت ماثلة إلى العيان حتى الآن.

رابعًا: الصحابة التجيبيون في مصر:

شارك كثير من الصحابة ﭫ في فتح مصر عام (21 هـ/ 641 م)، وبعد أن تمت عملية الفتح وجاء الاستقرار، بدأ هؤلاء ينشرون العلم بين الناس. فقد جلس كثير منهم في المساجد التي أخذت في الانتشار عقب الفتح مباشرة، لتعليم الناس أمور الدين الإسلامي.

هذا، و قد عُرف عن التجيبيين حرصهم على العلم منذ دخولهم في الإسلام. فقد سبقت الإشارة إلى أنهم سألوا الرسول(ﷺ)عن القرآن الكريم والسنن. فإذا عرفنا أنه كان يوجد منهم سبعة عشر بطنًا[1] في مصر، علمنا مقدار الدور الذي قاموا به في نشر العلم بين المصريين.

من أقدم الصحابة الذين دخلوا مصر مشاركين في عملية الفتح الإسلامي؛ الصحابي الأرقم بن جُفينة التجيبي. قال ابن حجر: «شهد فتح مصر، عداده في الصحابة»[2]. أقام الأرقم بمصر وتزوج من أهلها، ورُزق بأربعة من الأولاد.

حدث الأرقم بمصر وسمع منه ابنه عبد الله[3]، كما وصلتنا روايته حول الفتح الإسلامي لمصر عن طريق أشهر تلامذته يزيد بن أبي حبيب[4]، والتي رواها عنه تلميذه عبد الله بن أبي لهيعة. ولكن مما يؤسف له أن المصادر التاريخية صمتت عن تاريخ وفاته.

أما أشهرهم على الإطلاق، فهو: معاوية بن حديج بن جفنة التجيبي، له صحبة، ورواية عن النبي(ﷺ). كما روى عن عمر بن الخطاب، وأبي ذر الغِفْاري (المتوفى عام: 32 هـ/ 652 م)، وغيرهم من الصحابة ﭫ. روى عنه: ابنه عبد الرحمن (المتوفى عام: 95 ه/ 714 م)، وسويد بن قيس التجيبي، وعلى بن رباح، وآخرين.

---

(1) من أهم هذه البطون: بنو صمادح، وبنو سوم، وزميلة، وخلاوة، وعباد، وفردم، وقتيرة، وبنو القرناء، وأبذا، وأندا بن عدي، وإيدعان، وأواب، بنو عامر، والسعدي.

(2) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ1، ص 12.

(3) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ 1، ص 37.

(4) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 169، د. فتحي عبد الفتاح: تاريخ ابن يونس الصدفي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، جـ 1، ص 36.

شارك معاوية في الأحداث السياسية في مصر، فقد شهد فتح الإسكندرية، وبشر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتحها، كما شارك عبد الله بن سعد بن أبي سرح (المتوفى عام:37 ه/ 657 م) في فتح النوبة في جنوب مصر. كما شارك في غزو بلاد المغرب[1]، و ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان(41 ـ60 هـ/ 660 – 680 م) إمارة مصر. قال الذهبي: «كان ابن حديج ملكًا مطاعًا من أشراف كنده»[2]. توفي سنة (52هـ/ 672 م). وسوف يأتي الحديث عن أسرته في فصل القضاء والشرطة.

ومنهم: حيوة بن مرثد التجيبي، من ولد ندى بن عدي بن تجيب، قال ابن يونس: «شهد فتح مصر، ولا أعلم له رواية»[3].

وأخوه: خيار بن مرثد التجيبي، قال السيوطي: «شهد فتح مصر، وكان رئيسًا فيهم»[4].

ومنهم: عامر بن عمرو بن حذافة، المعروف بأبي بلال التجيبي، من أصحاب الرسول(ﷺ)، شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية. قال ابن يونس : «وهو معروف في أهل مصر، ذكروه في كتبهم»[5]. وهذه إشارة لها دلالتها من المؤرخ المصري ابن يونس، وإن فاتنا العثور على ترجمة وافية له.

ومنهم: عقبة بن بُجرة التجيبي المصري، أسلم بين يدي النبي(ﷺ)، وصحب أبا بكر الصديق (11 – 13 هـ/ 632 – 634 م) رضي الله عنه، وشارك في فتح مصر[6]. ولم تمدنا المصادر بمعلومات وافية عنه.

أما أخوه : مُقِسْم بن بُجرة ؛ فإنه أسلم – أيضًا – في حياة النبي(ﷺ)، وبايع معاذ بن جبل (المتوفى عام: 18 ه/ 639 م) في اليمن، وشارك في حروب الردة في خلافة أبي بكر

---

(1) الحُميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص 128.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام، بيروت، دار الكتاب الإسلامي،1413هـ ـ1993م، جـ 4، ص 305، وكتابه: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة،1405هـ – 1985م، جـ 5، ص 33.

(3) ابن حجر: الإصابة، جـ 1، ص 263، السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 71، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص67، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص143.

(4) ابن حجر: الإصابة، جـ 1، ص323، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص67، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص158.

(5) ابن حجر: الإصابة، جـ 1، ص86، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ2، ص 62، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص72، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص254.

(6) ابن حجر: الإصابة، جـ2، ص 371، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 219 ويسميه (بحرة)، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص344.

الصديق، وكان من طليعة الجيش الإسلامي الذي شارك في فتح مصر[1].

وكما شارك مُقِسْم في حركة الفتح الإسلامي لمصر، فقد ساهم - أيضًا - بنشاط علمي ملحوظ في إثراء الحركة العلمية، فقد سمع من عبد الله بن عباس(3 ق ه - 68 ه / 619 - 687 م)ﷺ، وكان ملازمًا له حتى عُرف بـ«مولى ابن عباس»[2]، كما سمع من أمهات المؤمنين، من أمثال: السيدة عائشة (المتوفاة عام: 58 ه/ 678 م)، وأم سلمة(المتوفاة عام: 62 ه/ 681 م)، وميمونة (المتوفاة عام: 51 ه/ 671 م). كما سمع من معاوية بن أبي سفيان (المتوفى عام: 60 ه/ 680 م)، وعبد الله بن الحارث بن نوفل(المتوفى عام: 84 هـ/ 703 م)، وغيرهم.

روى عنه كثير من أهل العلم، وعلى رأسهم: إسحاق بن يسار، والد محمد بن إسحاق (المتوفى عام: 151 ه / 768 م) صاحب السير، والحكم بن عتيبة(المتوفى عام :114هـ/ 732 م)، وعبد الكريم ابن مالك بن الجزري[3]، وآخرون. كان مُقِسم ثقة، قال أبو حاتم الرازي: «صالح الحديث، لا بأس به»[4]. روى له الجماعة سوى الإمام مسلم[5]، توفي سنة (101 هـ/ 719م) ودفن بالفسطاط.

ومن التجيبيين ؛ قيس بن سُمَيّ بن الأزهر، له صحبة، وشهد فتح مصر[6]. روى عن عمرو بن العاص، وسمع منه سويد بن قيس التجيبي[7]. كان له عقب بإفريقية.

ومنهم : كنانة بن بشر بن غياث التجيبي، قال ابن يونس : «شهد فتح مصر»، توفي سنة (36هـ/ 656 م)[8].

---

(1) ابن حجر: الإصابة، جـ3، ص 119.

(2) عبد المجيد الشيخ عبد الباري: الروايات التفسيرية في فتح الباري، الرياض، وقف السلام الخيري، 1426هـ - 2006م، جـ1، ص 199.

(3) العيني: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، 1427 هـ - 2006 م، جـ5، ص 84.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1952م، جـ 11، ص 415، الباجي: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد لبزار، المغرب، ب - ت، ب. ن، جـ2، ص 117.

(5) الذهبي: الكاشف في مَن له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1413هـ - 1992م، جـ 2، ص 290.

(6) ابن حجر: الإصابة، جـ 2، ص 487، وكتابه: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، بيروت، دار الكتاب العربي، ب.ت، جـ 1، ص 346.

(7) الذهبي: الكاشف، جـ1، ص 354.

(8) ابن حجر: الإصابة، جـ 5، ص 654، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 414.

ومنهم: مالك بن هدم بن بداء التجيبي، كان ممن شارك في أحداث الفتح الإسلامي لمصر[1]. روى عن عمر بن الخطاب حديثًا واحدًا[2]، كما روى عن عبد الله بن حوالة، وعوف بن مالك، وغيرهم. روى عنه : ربيعة بن لقيط التجيبي، وآخرين. وثقة بعض أهل العلم[3].

ومنهم: مالك بن الأغر التجيبي، شهد فتح مصر[4]، وشارك في فتح إفريقية سنة(57هـ / 676 م)، وقد توفي بعد هذا التاريخ بقليل، ودفن هناك.

ومن الصحابة المغمورين الذين شاركوا في عملية الفتح الإسلامي لمصر، ولم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنهم، ولذا فقد رتبتهم على حروف المعجم، وهم:

1. أشعر بن شهاب بن عمرو التجيبي[5].
2. حارثة بن كلثوم بن حباشة التجيبي[6].
3. حسان بن عتاهية التجيبي، صحب عمر بن الخطاب ﵁، روى عنه ابنه عبد الرحمن[7].
4. خيثمة بن خيوان التجيبي، كان من عِلية القوم، كما يقول السمعاني[8].
5. ربية بن عمرو التجيبي[9].
6. رومان بن سودان التجيبي، قيل: إنه شارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان ﵁[10].
7. شريك بن سويد التجيبي، من بني قرناء[11].

---

(1) ابن حجر: الإصابة، جـ 5، ص 757، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ 2، ص 470، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 78.
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ25، ص 54، حديث رقم(24024).
(3) ابن حبان: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، بيروت، دار الفكر، 1395هـ – 1975م، جـ2، ص 54، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 11، ص 218.
(4) ابن حجر: الإصابة، جـ 6، ص 268، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 422.
(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 23، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 46.
(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 263، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 207.
(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص209.
(8) الأنساب، جـ 3، ص 338، وانظر: الزبيدي: تاج العروس، جـ32، ص 439.
(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص277، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 175.
(10) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص281، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 6، وعن دوره في هذه الأحداث انظر، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 7، ص 207.
(11) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص480، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ1، ص 256، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ 3، ص

8. شعثم بن حيان التجيبي[1].

9. قيسبة بن كلثوم التجيبي – سبق ذكر أخيه، وفد على النبي(ﷺ)، وقد سبقت الإشارة إلى أنه تنازل عن أرضه لبناء جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، ولم تعرف له رواية[2].

10. لبيد بن عُقبة التجيبي، استقر في مصر عقب الفتح، ولم تعرف له رواية[3].

11. نعيم بن حيان التجيبي، وفد على النبي(ﷺ)، ولم تعرف له رواية[4].

12. يزيد بن السجوح التجيبي، بنى له مسجدًا في خِطة تجيب[5].

13. يزيد بن نُعيم بن شجرة التجيبي، قيل: كان من الفرسان الشجعان[6].

خامسًا: التابعون من التجيبيين في مصر:

إلى جانب الصحابة الذين دخلوا مصر – من قبيلة تجيب – واستقروا بها عقب الفتح، ظهر جيل جديد سمع من هؤلاء الصحابة وهو ما يعرف بالتابعين، وربما شارك بعضهم في بعض الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد، وكان لهم دور كبير في حمل ونقل العلم إلى جيل جديد لم ير الصحابة ولكنه سمع عنه.

ومن أبرز هؤلاء، سُليم بن عُتر التجيبي(المتوفى عام: 75هـ / 694 م)، شهد خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مؤتمر الجابية، وشارك في أحداث فتح مصر، وسمي الناسك لكثرة عبادته[7]. روى عن جمع من الصحابة، منهم: عمر بن الخطاب (40 ق ه – 23 ه/ 584 – 644 م)، وعلي بن أبي طالب (23 ق ه – 40 ه/ 600 – 661 م)، وأبي الدرداء (المتوفى عام: 32 ه/ 652 م)، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر[8](18 ق ه – 45 ه

14، الزبيدي: تاج العروس، جـ 35، ص 554.

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 395، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 235.

(2) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ 2، ص 428، الزبيدي: تاج العروس، جـ 17، ص 123.

(3) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ 2، ص449، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 77.

(4) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ3، ص71، ابن حجر: الإصابة، جـ 6، ص 268.

(5) ابن حجر: الإصابة، جـ 6، ص 700، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 510.

(6) ابن حجر: الإصابة، جـ 6، ص 706، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص512.

(7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 4، 132، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 94.

(8) الصفدي: الوافي بالوافيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ -- 2000م، جـ 5، ص 107.

/ 604 – 665 م)، وغيرهم. كان سُليم من خيار التابعين[1]، روى عنه: علي بن رباح، وعقبة بن مسلم، والحسن بن ثوبان[2]، وآخرين.

ومنهم: ربيعة بن لقيط التجيبي، كان من سادات التابعين، روى عن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن حوالة (المتوفى عام:80هـ/ 699م) ومالك بن هدم، وعبد الله بن سندر[3]، وغيرهم. سكن ربيعة مصر، وحدث بها. روى عنه :ابنه إسحاق، ويزيد بن أبي حبيب[4](53 – 128 ه/ 673 – 745 م)، وغيرهما. كان ثقة، فاضلًا[5]، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده. توفي بمصر سنة (90هـ/ 708م) ودفن بجبل المقطم[6]. روى عن عمرو بن العاص(المتوفى عام: 43 هـ/ 664 م)، وأبي الدرداء، وعمر بن الخطاب[7]، وعقبة بن نافع[8](1 ق ه – 63 ه/ 621 – 683 م)، وغيرهم. روى عنه :الضحاك بن شرحبيل، وعطاء بن دينار(المتوفى عام: 126 ه/ 744 م)، وحيوة بن شريح التجيبي(المتوفى عام:158 ه/ 775 م)، وابن لهيعة[9](97 – 174 ه/ 715 – 790 م)، وغيرهم. كان ثقة، فاضلًا[10].

---

(1) ابن حبان: الثقات، جـ1، ص 48، الرازي : الجرح والتعديل، جـ6، ص 212.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، بيروت، دار الفكر، ب.ت، جـ4، ص 125.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ6، ص 61، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ8، ص 72، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ4، ص 445.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 283، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ب – ت، جـ3، ص 487.

(5) ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 230، الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص 475، ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص 128.

(6) الحسن بن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق: د. علي محمد عمر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 94 95–، المقريزي: الخطط، جـ1، ص –199 200، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 175.

(7) جاءت رواية عمار بن سعد عن عمر بن الخطاب ﷺ في موضعين، الأول: في كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري ص142، بسنده عن عمار بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب : «من ملأ عينيه من قاعة بيت، قبل أن يؤذن له فقد فسق» انظر: الرافعي: التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ – 1987م، جـ1، ص 53. الثاني: أسند ابن يونس إلى عمار بن سعد التجيبي « أن عمر(بن الخطاب) كتب إلى عمرو (بن العاص) أن يجعل كعب بن ضنة على القضاء. فأرسل إلى عمرو، فأقراه الكتاب، فقال كعب: ولا والله لا يُنجيه الله من الجاهلية، وما كان فيه من الهلكة ثم يعود فيه أبدًا بعد إذ نجاه الله . وأبى أن يقبل القضاء، فتركه عمرو». انظر: ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د. على محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418هـ – 1998م، ص 136، وكيع بن الجراح: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1366هـ ـ1947م، جـ1، ص 327.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص 182، ابن حجر: تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، 1404 ه – 1984 م، جـ7، ص 351. أبو داود، السنن، جـ2، ص 82، حديث رقم (414).

(9) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 283، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ – 1992م، جـ3، ص 16، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 85.

(10) الرازي: الجرح والتعديل، جـ9، ص 389، ابن حجر: لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1406هـ – 1986م، جـ2، ص 221.

توفي سنة(105هـ / 723م) ودفن بالمقطم[1].

ومن التابعين: حبيب بن الشهيد القتيري، المعروف بأبي مرزوق التجيبي. كان من أساطين أهل العلم في زمانه، ولا غرابة فقد سمع من فضالة بن عبيد(المتوفى عام: 53 ه / 673 م)، وحنش الصنعاني(المتوفى عام:100 ه/ 718 م)، وسهل بن عُلية، والمغيرة بن أبي بردة[2] (المتوفى عام:105 ه/ 723 م تقريبًا)، وغيرهم.

كانت له رحلة طويلة في طلب العلم، فدخل دمشق وافدًا على الخليفة عمر بن عبد العزيز (61 – 101 ه/ 781 – 720 م)، وسمع منه، ودارت بينهما مناظرة طويلة فيما يقع من ألفاظ الطلاق[4]. عاد بعد هذه الرحلة إلى مصر، فعمت شهرته الآفاق، فالتف كثير من طلاب العلم حوله للأخذ عنه من أمثال: يزيد بن أبي حبيب(53 – 128 ه / 673 – 745 م)، وجعفر بن ربيعة، وسالم بن غيلان، وسليمان بن أبي زينب[4]، وقائمة يطول الحديث بذكرها.

لم تطل إقامة حبيب بمصر كثيرًا، ثم خرج إلى برقة ليعلم أبناءها العلم الشرعي، فالتف الناس حوله – أيضًا – للأخذ عنه، حتى عُرف بـ: «فقيه أهل المغرب»[5]. قال أحدهم: «كان أبو مرزوق يفتي ببرقة كما يفتِي يزيد بن أبي حبيب بمصر»[6].

كان حبيب ثقة، ثبتًا، ورعًـا[7]. روى له أبو داود، وابن ماجة، وأبو جعفر الطحاوي[8]. توفى ببرقة سنة (109هـ/ 727م)، وكان له بها عقب[9].

ومنهم: أسلم بن يزيد التجيبي، روى عن جمع من الصحابة، منهم: أبو أيوب الأنصاري

---

(1) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 362.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 452، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 268، الزبيدي: تاج العروس، جـ 13، ص 367.

(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ 12، ص 36.

(4) ابن حجر : تهذيب التهذيب، جـ 12، ص 205، و كتابه : لسان الميزان، جـ 3، ص 277.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 399، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 7، ص 47.

(6) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 95.

(7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 13، ص 70، النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ب – ت، جـ 3، ص 162.

(8) العيني: مغاني الأخيار، جـ 5، ص 354.

(9) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 106.

(المتوفى عام: 52 ه/ 672 م)، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومسلمة بن مخلد(1 – 62 ه/ 622 – 682 م)، وأم سلمة(المتوفاة عام: 30 ه/ 650 م تقريبًا)، والسيدة صفية (المتوفاة عام: 50 ه/ 670 م)، زوجا رسول الله (ﷺ)[1]، وغيرهم. سمع منه جمع من أهل العلم، على رأسهم: يزيد بن أبي حبيب، وسعيد بن أبي هلال، وعبد الله بن عياض[2]، وآخرين. كان أسلم ثقة، صدوقًا، خرج له ابن حبان، و الحاكم في صحيحيهما[3]. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته.

ومنهم: سلمة بن مخرمة التجيبي، شهد فتح مصر، وحدث عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان[4] رضي الله عنهما . روى عنه : ابنه سعيد، وربيعة بن لقيط التجيبي[5]، وغيرهما. لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئًا عن وفاته.

ومن صغار التابعين المغمورين ؛ عبيد بن وردان التجيبي، أدرك معاوية بن أبي سفيان(المتوفى عام 60 ه/ 680 م)، وروى عنه حرملة بن عمران (166 – 243 ه/ 782 – 858 م). كان تابعيًا، ثقة[6].

ومنهم: علي بن عمران التجيبي، روى عن عمر بن عبد العزيز(61 – 101 ه/ 781 – 720 م)، وروى عنه حرملة بن عمران[7].

ومن التابعين – أيضًا – القاسم بن عبد الله بن ثعلبة التجيبي، أدرك عبد الله بن عمرو بن العاص(7 ق ه – 65 ه / 616 – 684 م)رضي الله عنهما وروى عنه[8]. سمع منه بعض أهل العلم، مثل: جعفر بن ربيعة، وسلمة بن أكسوم[9]، وغيرهما. ولم أقف على تاريخ وفاته.

وأخيرًا، قيصر بن أبي غزية التجيبي، روى عن عبد الله بن عمر(10 ق ه – 73 ه/

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 136، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 1، ص 232، وكتابه: تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دمشق، دار الرشيد، 1985م، جـ 1، ص 88.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 2، ص 234، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 84.

(3) الذهبي: الكاشف، جـ1، ص 242.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 165، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 151، الزبيدي: تاج العروس، جـ29، ص 140.

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 3، ص 479، الرازي : الجرح والتعديل، جـ4، ص 29.

(6) ابن حبان : الثقات، جـ 5، ص 138، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 6، ص 4.

(7) ابن حجر: لسان الميزان، جـ 2، ص 210، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 6، ص 198، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(8) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 91، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 8.

(9) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 311، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص34.

613 – 692 م) ﵁ عاش ومات بمصر[1].

⏮ **ولي في النهاية ملاحظتين هامتين، هما:**

أولاً: أن عدد الصحابة التجيبيين الذين دخلوا مصر واستقروا فيها وصل عددهم نحو(ثلاثة وعشرين) صحابيًا، وهو عدد ليس بالقليل مقارنة بباقي أعداد القبائل العربية الأخرى . بعضهم كان مشهورًا اشتغل بالسياسة والعلم، والكثرة منهم كان مغمورًا، لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنهم. وعلى كلٍ، فقد كان لهؤلاء دورٌ بارزٌ في إثراء الحركة العلمية في مصر، وهذا ما سوف تظهر ثماره فيما بعد.

ثانيًا: أن عدد التابعين التجيبيين في مصر، قد وصل إلى نحو (عشرة) فقط. وهو عدد قليل إلى حد كبير، الكثير منهم كان مغمورًا . ولكنهم – والحق يقال – قد حملوا رسالة العلم من الصحابة الذين سمعوا منهم، إلى جيل جديد لم ير الصحابة، ولكنه سمع عنهم . وبذلك أستطيع القول : إن هؤلاء التابعين يعدون – بحق – همزة وصل حقيقية، في نشر العلم في مصر خاصة، وفي أمصار العالم الإسلامي عامة. وهو ما سيأتي الحديث عنه في الفصول الآتية.

---

(1) ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ 1، ص 347، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ 49، ص 332، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 6، ص 332.

المبحث الثالث:
المعافر بين الجاهلية والإسلام

المعافر[1] قبيلة كبيرة وقوية؛ تضرب بجذورها في أعماق التاريخ . كانوا يقيمون في أرض اليمن، جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانوا أهل جد ونجدة، أقوياء مناضلين[2] .

يرجع علماء الأنساب أصول هذه القبيلة إلى قحطان، وينتهي نسبهم إلى قبيلة كهلان، والتي انقسمت إلى فرعين رئيسين، هما: مالك وعُريب. وانقسمت عُريب إلى ثلاث قبائل، هي: مرة، ومذحج، وطي. والذي يهمنا هنا هي قبيلة مرة ؛ والتي انقسمت بدورها إلى عَدي، ومالك. ثم انقسمت الأخيرة إلى قبيلتين كبيرتين، هما: المعافر، وخولان. وحديثنا في هذا المبحث عن القبيلة الأولى، أعني المعافر. أما القبيلة الأخرى [خولان] فسوف يأتي الحديث عنها – إن شاء الله – في بحث مستقل.

وعلى ذلك، فإن المعافر نسبة إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن كهلان[3]. وأمه هند بنت اليهه بن النخع[4].

ومن الجدير بالذكر، أن مملكة حِمير، آخر الممالك الثلاث التي ظهرت في جنوب اليمن – بعد معين، وسبأ – اتخذت من منطقة المعافر مقرًا رئيسًا لها، وذلك في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، واستمرت إلى ما بعد الميلاد[5]. ونظرًا للموقع الجغرافي المتميز لمملكة

---

(1) المَعَافِرُ : بالفتح، بلدة باليمن نزل فيها معافر بن أد. والمُعَافِرُ : بالضم، هو الذي يمشي مع الرفاق ينال من فضلهم، ومنه قول العرب: «لابد للمسافر من معونة المُعَافِرِ». الزَّبيدي: تاج العروس، جـ13، ص 92. والمعافر ليسوا هم الجَعَافِرَ: لأن الأخيرة بطن من بني الحسين السبط من بني هاشم من العدنانية، وهم: بنو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، وجعفر هذا من الأئمة الاثني عشر . القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، الطبعة الثانية، دولة لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1982م، ص: 158 – 163، وكتابه: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص: 123 .

(2) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ4، ص 73، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ3، ص177، د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص 200.

(3) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 171 – 196، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 26، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ2، ص 318.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ5، ص 333، السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب، ص 79.

(5) د. جواد على : المفصل في تاريخ العرب، جـ3، ص 135.

حِمير على ساحل البحر الأحمر، وتوسعها الاستعماري فقد ضمت مملكتي سبأ وريدان، واتخذت من مدينة ظَفّار عاصمة لها وذلك بعد سنة 115 ق.م. وورث الحميريون المعينيين والسبئيين في الثقافة والتجارة، وكانت لغتهم هي السائدة في المنطقة.

هذا، وقد اهتمت مملكة حمير بالفتوح، وقد ظهر من ملوكها وقوادها مَنْ عمل على اتساع رقعة دولتهم، فتغلبوا على بعض المدن المجاورة، وهذا ساعد على تقدم النشاط البحري لها، وخاصة بعد استيلائها على ميناء « قَنَا»، والذي يعد الميناء الوحيد لحضرموت الصالح للاتجار بحرًا مع الهند وإفريقيا . وبناء عليه أصبحت تتحكم بطول الساحل بين «عدن» و«قنا»، ولها أسطول من السفن للاتجار مع الساحل الإفريقي الذي ربما كان خاضعًا لها في ذلك الزمن[1].

يقول ياقوت : «وملوك المعافر «آل الكرندي» من سبأ الأصغر، ومنازلهم بالجبال من قاع جُبْأ»[2]. ويضيف كحالة : «وهم وهمدان حتى القرن الثامن الهجري أعظم قبائل اليمن، ولهم الغلب على أهله، والكثير من حصونه»[3].

أولًا: من بطون قبيلة المعافر:

ونظرًا لاتساع وكبر قبيلة المعافر، فقد تعددت بطونها، ومنها: الأُخْمُور[4] . وثوجم ويقال لهم «الثَّواجِمَةُ»[5]. الجَنَدي ؛ نسبة إلى جَنَد بن شَهْرَان[6]. وفَوة، والنسبة إليه الفَّوي[7]. وقَرَافة؛ وهم بنو عض بن سيف بن وائل بن الحرب بن المعافر[8]، وقرافة أمهم وإليها

(1) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ1، ص38.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص58.

(3) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ3، ص 1115 .

(4) السمعاني: الأنساب:(1 / 96)، (2 / 313)، السيوطي: لب اللباب:(ص 28)، الزبيدي: تاج العروس: (11 / 222)، عمر كحالة: المرجع السابق:(1 / 11).

(5) السمعاني: المصدر السابق:(1 / 516)، السيوطي: المصدر السابق:(ص 19)، الزبيدي: المصدر السابق:(31 / 352).

(6) السمعاني: المصدر السابق:(2 / 96)، ياقوت الحموي: معجم البلدان:(2 / 18)، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 13، السيوطي: المصدر السابق:(ص22)، الزبيدي: المصدر السابق:(7 / 524)، عمر كحالة: معجم قبائل العرب:(1 / 210).

(7) السمعاني: المصدر السابق :(4 / 409)، السيوطي: المصدر السابق:(ص 64)، عمر كحالة: المرجع السابق:(3 / 933).

(8) السمعاني: المصدر السابق:(4 / 465)، ياقوت الحموي: معجم البلدان:(3 / 373)، الهمداني: عجالة المبتدي:(ص 30)، الزبيدي: تاج العروس:(24 / 252)، عمر كحالة: المرجع السابق :(3 / 943).

تُنسب القرافة بمصر. ولبَوْان ؛ نسبة إلى لبوان بن مالك بن الحارث[1]. وبنو سرَيع[2]. وبنو صَنَم[3]. وبنو مَوْهب ؛ والنسبة إليه الموهبي[4]. وبنو كَمُونة[5]. بنو ناشرة ؛ نسبة إلى ناشرة ابن أسامة بن والبة بن الحارث[6]. وخُلَيْفة ؛ والنسبة إليه الخُلَيْفِي[7]. والأُعْمُوق[8]. والأُهْجُور[9]. وخُنَاجِن[10]. وشهران[11] ؛ ولعله بطن من الجَنَد السابق ذكره. وخَبَش[12].

ثانيًا: دخول المعافر في الإسلام:

في العام التاسع للهجرة، جاء وفد حِمير إلى المدينة المنورة، وكان على رأسهم مالك بن مرارة الرّهاوي، والمعافر. وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن الرسول(ﷺ) أكرم وفادتهم، وكتب لهم كتابًا[13] أوضح فيه كيفية أداء الزكاة من المسلمين، والجزية من أهل الكتاب. وبعث معهم وفدًا

أصحابه، يضم عبد الله بن زيد[14]، ومالك بن عبادة[15]، وعقبة بن نمر[16]، ومالك بن مرة[17]، وأمَّر عليهم معاذ بن جبل[18] رضي الله عنهم.

---

(1) السمعاني: المصدر السابق:(5 / 127)، السيوطي: المصدر السابق:(ص 72)، الزبيدي: المصدر السابق:(39 / 434)، عمر كحالة: المرجع السابق:(3 / 1008).

(2) السمعاني: المصدر السابق:(3/ 252)، السيوطي: المصدر السابق :(ص 43)، د. عبد الله البري: القبائل العربية في مصر،(ص206).

(3) السمعاني: المصدر السابق:(3 / 559)، السيوطي: المصدر السابق:(ص 52)، الزبيدي: المصدر السابق: (32 / 526)، عمر كحالة: المرجع السابق :(2 / 652).

(4) السمعاني: المصدر السابق:(5 / 410)، السيوطي: المصدر السابق:(ص 81).

(5) السمعاني: المصدر السابق:(5 / 95).

(6) تاج العروس:(14 / 222).

(7) الهمداني: عجالة المبتدي:(ص 17)، د. عبد الله البري: القبائل العربية في مصر:(ص205).

(8) السمعاني: المصدر السابق:(1 / 191)، د. عبد الله البري: المرجع السابق:(ص206).

(9) السمعاني: المصدر السابق:(1 / 231)، د. عبد الله البري:المرجع السابق:(ص207).

(10) السمعاني: المصدر السابق:(2 / 401).

(11) عمر كحالة: معجم قبائل العرب:(2 / 617).

(12) السمعاني: المصدر السابق:(17 / 170).

(13) انظر الملحق رقم (1).

(14) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الطبعة الأولى، جـ3، دولة لبنان، دار الجيل، 1992م، ص 912، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ2، ص 348، ابن حجر: الإصابة، جـ4، ص 84.

(15) ابن عبد البر: المصدر السابق، جـ3،ص 1353، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ5، ص 27، ابن حجر: المصدر السابق، جـ5، ص 544.

(16) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ4، ص 59، ابن حجر: المصدر السابق، جـ4، ص 435.

(17) ابن عبد البر: المصدر السابق، جـ3، ص 1359، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ5، ص 45، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ2، ص690.

(18) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ1، ص 39 وما بعدها، ابن هشام : السيرة النبوية:(2/ 588)، النويري: نهاية الأرب في فنون

كما وفد على النبي(ﷺ) وفد من جيشان برئاسة أبو وهب الجيشاني ونفر من قومه، وسألوا النبي(ﷺ) عن حكم أشربة أهل اليمن؟ وحكم المسكر منها؟ فأجابهم(ﷺ) بقوله: «كلّ مسكرٍ حرام»[1].

أما عن حال معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد نزل على قبيلة الجَنَد، ونجح في نشر الإسلام بينهم، وبنى هناك مسجدًا. ثم كتب إلي النبي(ﷺ) : «إني قاتلت حتى أجابني أهل اليمن». ولا يُحمل قول معاذ على غير معناه، فإن المراد بقوله « قاتلت» أي جاهدت في دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس بحمل السلاح كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان، فمن المعروف تاريخيًا أن معاذًا ومن معه من أصحاب النبي(ﷺ) لم يحملوا سلاحًا ضد أهل اليمن.

وعلى كل، فقد دعا رسول الله(ﷺ) لأهل المعافر، الذين أحسنوا استقبال وفد النبي(ﷺ) بقوله: «اللهم اغفر لهم»[2].

هكذا دخلت قبيلة المعافر في الإسلام، وحسُن إسلامهم، وصار لهم دورٌ كبيرٌ في تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ مصر الحضاري خاصة.

ثالثًا: خِطط المعافر وأماكن ارتباعهم:

كانت قبيلة المعافر إحدى القبائل العربية التي صحبت القائد عمرو بن العاص في فتح مصر، ولكن يبدو أنها لم يكن لها دورٌ بارزٌ في عملية الفتح، حيث لم أعثر - مع قلة علمي - على فارس شجاع، أو مقاتل ضاري، يكون له دور بارز في معارك الفتح الإسلامي لمصر. ولعلهم اكتفوا بتقديم المساعدة الحقيقية لباقي الجنود المسلمين.

هذا، وقد نزل المعافر إلى جنب عمرو بن العاص رضي الله عنه حول الجامع، فأذاهم البعوض زمن الفيضان، فنقلهم عمرو إلى الجبل المشرف على البركة التي أطلق اسمهم عليها، وبذلك أصبحوا في موقع ممتاز يشبه في ارتفاعه مسكنهم القديم باليمن. كما أصبحوا يشرفون على قبائل مصر - وفيها قريش - التي كانت تسكن تحت أقدامهم حول الجامع، وقد شاركهم

الأدب:(18/ 76).

(1) ابن سعد: المصدر السابق:(1/ 359)، النويري: المصدر السابق:(18/ 77)، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام:(1/ 122).

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، (ص 173 - 174)، د. عبد الله البري: القبائل العربية في مصر:(ص 207).

بعض قبائل من حِمير في سكنى هذا المكان[1]. وشواهد القبور وأوراق البردي العربية تسجل وجودهم في مصر خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين[2].

والجدير بالذكر، أن قبيلة المعافر - نظرًا لكبرها، وتعدد بطونها - كانوا يتحركون سنويًا إلى مرتبعهم في أتريب[3] بمحافظة سوهاج حاليًا، وسخا[4] بمحافظة كفر الشيخ حاليًا، ومنوف[5] بمحافظة المنوفية حاليًا، وكان الجانب الأكبر منهم بالإسكندرية[6]؛ والتي لم يكن بها خطط، وإنما كانت «أخائذ» أي مَنْ أخذ منزلاً نزل فيه. وقيل إن الصحابي الزبير بن العوام [28 ق هـ - 36 هـ / 594 - 656 م] اختط بالإسكندرية[7].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الإسكندرية في هذه الفترة المبكرة للفتح الإسلامي كانت مرتبطة برباط المسلمين، فقد أقطع القائد عمرو بن العاص من أصحابه لربط الإسكندرية ربع الناس، وربعًا في السواحل، والنصف الأخر كانوا مقيمين معه، وكانت مدة رباطهم ستة أشهر في الصيف، يعقبها ستة أشهر في الشتاء، وهكذا[8].

وعن سكنى الإسكندرية يقول ابن عبد الحكم: «إن المسلمين لما سكنوها في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا، ابتدروا، فكان الرجل يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه، فلما غزوا قال عمرو: إني أخاف أن تخربوا المنازل إذا كنتم تتعاورونها[9]، فلما كان عند الكريون[10] قال لهم: سيروا على بركة الله، فمن ركز منكم رمحه في دار فهي له ولبني أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها، ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار، فكانت الدار تكون لقبيلتين، أو ثلاث، وكانوا يسكنونها، حتى إذا قفلوا سكنها الروم وعليهم مرمّتها. فكان يزيد بن أبى حبيب، يقول: لا يحلّ من كرائها

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر:(ص173)، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب:(ص26).

(2) د. عبد الله البري: القبائل العربية في مصر:(ص204).

(3) اليعقوبي: البلدان، الطبعة الأولى، ليدن، 1891م، ص 41، ياقوت الحموي: معجم البلدان:(2/ 226)، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ4، ص5.

(4) اليعقوبي: المصدر السابق:(ص42)، ياقوت الحموي: المصدر السابق:(2/ 436)، محمد رمزي: المرجع السابق:(3/ 141).

(5) اليعقوبي: المصدر السابق:(ص42)، ياقوت الحموي: المصدر السابق:(4/ 176)،، محمد رمزي: المرجع السابق:(3/ 233).

(6) الإصطخري: المسالك والممالك، (ص40)، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، (ص56)، ياقوت الحموي: المصدر السابق:(1/ 121).

(7) د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام:(ص 248).

(8) د. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى العصر الفاطمي، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص11.

(9) تعاور واعتور القوم الشيء : تعاطوه و تداولوه، ابن منظور: لسان العرب، جـ4، ص612.

(10) ياقوت الحموي: معجم البلدان:(3 / 481)، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية:(3/ 318).

شيء ولا بيعها. ولا يورّث ولا يورث منها شيء، إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم»[1].

فإذا أضفنا إلى ذلك، ما ذكره المؤرخون عن كثرة عدد المعافر في مصر، تأكد لنا كثرة خططهم وأماكن ارتباعهم في طول البلاد وعرضها. يقول القضاعي: «إنهم أكثر قبائل أهل مصر عددًا، كانوا عشرين ألفًا»[2]، ويضيف ابن خلكان :«المعافر قبيلٌ كبيرٌ ينسب إليه بشرٌ كثيرٌ عامتهم بمصر»[3]، وأخيرًا، يقول السخاوي:«وخطة المعافر معروفة بمصر»[4]. كل هذه النصوص تعكس لنا كثرة وضخامة هذه القبيلة وانتشارها في ربوع مصر المختلفة.

صفوة القول: أن أماكن ارتباع قبيلة المعافر كانت متناثرة في محافظات سوهاج في الوجه القبلي، والإسكندرية، وكفر الشيخ، والمنوفية بالوجه البحري[5].

ومن الجدير بالذكر، أن قبيلة المعافر، قد ترك بعض أهلها مكانهم الأول بالفسطاط ورحلوا في طول البلاد وعرضها، فبعضهم نزل الصعيد والبعض الآخر استقر في الدلتا وساحل البحر المتوسط. وبمرور الوقت، عبر بعضهم الحدود المصرية واتجه غربًا ليستقر في برقة، وواصل الآخرون سيرهم حتى نزلوا في بلاد الأندلس. وكان لهم دور كبير هناك، ومعظمهم يحمل لقب «المعافري»[6].

رابعًا: المنشآت الحضارية للمعافريين في مصر:

هذا، وقد تركت قبيلة المعافر بصماتها الحضارية في مصر الإسلامية. فقد أسهمت في بعض المنشآت الحضارية، ومن أهمها:

أ- **قرافة(مقابر) المعافر**: اتخذ عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر، سفح جبل المقطم ليدفن فيه المسلمين، وقد حدث ذلك - كما قال ابن عبد الحكم - عندما سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك، وقال:

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر:(ص 158).

(2) المقريزي: الخطط:(4/ 340).

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ3، ص 177.

(4) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، الطبعة الثانية، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، 1986م، ص 294.

(5) المقريزي: البيان والإعراب،(ص 28).

(6) من الصعب الحديث - هنا - عن دور المعافريين في بلاد المغرب والأندلس، فهذا يستحق بحثًا مفردًا.

أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تَزدرع ولا يُستنبط بها ماء، ولا يُنتفع بها فسأله . فقال: إنّا لنجد صفتها في الكتب؛ أنّ فيها غراس الجنّة. فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنّا لا نعلم غراس الجنّة إلا للمؤمنين، فأقبر فيها من مات قِبَلكَ من المسلمين، ولا تبعه بشيء»[1].

ويقول المقريزي: «والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها، ولا أعجب تربة منها، كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب، وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها»[2].

وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن مقبرة القرافة قد أخذت اسمها منذ الفتح الإسلامي وحتى يومنا هذا نسبة إلى قبيلة قرافة، إحدى بطون المعافر التي مر ذكرها منذ قليل. وإن أوّل من دفن فيها رجل من قبيلة المعافر، يقال له «عامر»، فقيل: «عُمِرتّ». وقبره الأن – كما يقول المقريزي – تحت حائط مسجد الفتح الشرقي[3].

وقد دفن في هذه المقبرة كثير من أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين استقروا بمصر عقب الفتح الإسلامي لها، ومنهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن حذافة السهمي، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، وأبو بصرة الغِفاري، وعقبة بن عامر الجهني، وغيرهم. ثم صارت مقبرة للمصريين فيما بعد، حتى قال عنها ياقوت الحموي: «وبها أبنية جليلة، ومحاذ واسعة، وسوق قائمة، وماهد للصالحين، وترب المحابر يدل على عظمة وجلال المكان»[4].

ونظرًا لاتساع هذه الخطة فقد اتخذ المعافريون لهم بخطة مسجدًا القرافة، سُمي بمسجد» الرحمة»، قيل عنه : «إنه واسع، مجاب فيه الدعاء، بني وقت الفتح»[5]. كما كان لهم مسجد أخر سُمى بمسجد» الأندلس»، قال عنه ياقوت : «ومسجد الأندلس؛ هو مصلى المعافر على الجنائز، وهو ما بين النقعة والرباط، وكان دكة وعليه محاريب»[6]. ولعله سُمي بذلك لكثرة الأندلسيين الذين سكنوا في هذه المنطقة، مما يعكس لنا مدى الترابط

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر:(ص 183 – 184).

(2) الكندي: فضائل مصر المحروسة، ص11، المقريزي: الخطط:(3 / 212).

(3) المقريزي: المصدر السابق:(3/ 213).

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان:(3/ 73) مادة « القرافة».

(5) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب:(2/ 318)، الزبيدي: تاج العروس:(24/ 252).

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق:(1/ 180) مادة «الأندلس».

الشديد بين أبناء الأندلس والمعافريين. بالإضافة إلى مسجدي «الأقدام» و «القبة»، وكانا بخطة المعافر، وقد بُنيا عقب الفتح الإسلامي لمصر[1].

ب- **فِسْقيَّة المعافر:** ونظرًا لارتفاع جبل المقطم، مقر سكن المعافر، فإن الماء لم يصل إليهم إلا قليلاً، لذا فقد قام الوالي يزيد بن حاتم [ت 150هـ/ 767م] في خلافة أبي جعفر المنصور[144ـ 152هـ/ 761 - 769م] أثناء ولايته على مصر فسقية للماء باسمهم، وأجرى إليها الماء، وأنفق فيها مالاً عظيمًا حتى عاتبه الخليفة أبو جعفر المنصور بقوله: لِمَ أنفقت مالي على قومك؟![2].

ثم حفر أحمد بن طولون [220 - 270 هـ/ 835 - 884 م] عينًا كانت تمر بأرضهم، وهي التي ذكرها الشاعر سعيد بن العاص وهو يبكي الدولة الطولونية، بقوله:

يَمُرّ عَلَى أرْضِ المَعَافِرِ كُلّهَا ... وَشَعبانَ وَالأُحْمورِ وَالحيّ من بِشر

قَبائِلُ لا نَوْءُ السَّحَّابِ يَمدُّهَا ... وَلاالنّيلُ يَرْوِيهاوَلاجَدْوَلٌ يجرِيُّ[3].

ويذكر المقريزي أن أحمد بن طولون أنفق على هذه العين ما يقرب من مائة ألف وأربعين ألف دينار، وكانت مفتوحة طول النهار للأخذ منها، لمن كان له غلام أو جارية، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات . فهي لهم حياة ومعونة[4].

ت- **قناطر المعافر:** وفد أحمد بن طولون إلى مصر نائبًا عن «باكباك» التركي الذي ولي إقطاعها من قِبل الخلافة العباسية، واستغل ابن طولون ضعف الخلافة في بغداد، وأعلن استقلاله بمصر، مؤسسًا بذلك «الدولة الطولونية» [254 - 292 هـ/ 868 - 905 م] والتي حكمت ما يقرب من ثمانية وثلاثين عامًا .

ولست في حاجة إلى أن أذكر تفاصيل قيام الدولة الطولونية، ولا أحداثها، إنما يشغلنا في المقام الأول شخصية بارزة في عصر هذه الدولة، قدمت كثيرًا من الأعمال الجليلة لهذا الوطن، بيد أنها لم تأخذ حقها في الذكر والانتشار، إنه سعيد ابن كاتب الفرغاني، المنسوب إلى بلاد فرغانة، إحدى بلاد ما وراء النهر. وللأسف الشديد لم تمدنا المصادر التاريخية

---

(1) د. هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية:(1/ 285 - 286).

(2) الكندي: ولاة مصر، ص 137.

(3) الكندي: المصدر السابق:(ص 276).

(4) المقريزي: الخطط: (1 / 416).

بشيء عن حياته، غير أنني أُرجح نسبه إلى محمد بن كثير الفرغاني، الذي استوطن مصر حتى وفاته. ومن ثم فقد عرفت أسرته بأبناء الفرغاني والذي كان منهم سعيد المذكور.

كان سعيد يعمل مهندسًا، وكان معاصرًا لأحمد بن طولون . وقدم لمصر أعمالاً معمارية رائعة تدل على عبقرية فذة وعلم لا يستهان به، ما زالت آثارها ماثلة للعيان، ومن أشهر هذه الأعمال؛ قناطر المياه [عين الماء] التي أقامها أحمد بن طولون عام [259 هـ / 872 م] بمنطقة المعافر جنوب شرق الفسطاط[1]، والتي لم يكن لها نظيرًا في ذلك الوقت. وكانت «عبارة عن برج للمأخذ مشيد من الأجر بداخله بئر مفرغ مفتوح إلى السماء، وعلى جانبيه غرفتان يغطيهما قبوان، وينقسم البئر إلى قسمين ويسحب الماء منها بواسطة ساقيتين ترفعانه إلى المجرى فوق ظهر البرج، ثم يسير منه في مجرى فوق القناطر التي تخرج من البرج في انحراف يبلغ أربع عشرة درجة على جانب البرج الشمالي، وبعد نحو سبعة عشر مترًا ينحرف اتجاه القناطر من الشمال الغربي إلى الشمال بميل قليل نحو الغرب، ثم ينحرف مرة أخرى بعد [122] مترًا نحو الشمال بميل إلى الشرق، ويمتد بعد ذلك في خط مستقيم نحو مئذنة شاهين أغا الحلواني، وعقود هذه القناطر التي تهدم أغلبها من النوع المدبب وتشبه عقود الجامع الطولوني، أي إنها عقود مدببة ذات مركزين»[2].

وهذا يدل على عبقرية وضخامة هذا البناء، مع هندسة معمارية رائعة، تتماشى مع طبيعة المكان الذي بنيت فيه .

ث- **بيمارستان[مستشفى] المعافر**: تميزت المدن العربية في مصر ببناء البيمارستانات، فلم تكن موجودة قبل الفتح الإسلامي، وإنما استحدث بناؤها بعد الفتح، وهذا يدل على عناية الدول الإسلامية بصحة رعاياها . وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك [86 ـ96هـ/ 705 ـ715م]هو أول من بنى البيمارستان في الإسلام في عام [88هـ/ 706م]، وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق.

وقد بُنِيَ في مصر عدد من البيمارستانات، ومنها البيمارستان العتيق الذي بناه أحمد بن طولون في سنة [259هـ/ 872م]، وقيل في سنة [261هـ / 874م]، وهو

---

(1) المقريزي: المصدر السابق:(4 / 338).

(2) د . أحمد عبد الرازق أحمد : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، الطبعة الأولى، مصر، دار الفكر العربي، 1993م، ص 117.

أول بيمارستان أُنشيء بمصر. وبيمارستان كافور الإخشيدي سنة [346هـ / 957م]، وبيمارستان المعافر.

وهذا البيمارستان كان في خطة المعافر بناه الفتح بن خاقان[ت 247 هـ / 861 م] في أيام المتوكل على الله [232 - 247هـ / 846 - 861م] وقد باد أثره[1].

ج- **الثياب المعافرية:** تميز أهل المعافر بدقة الصناعة، وجمال وروعة التصميم، فقد كانوا يمتلكون صناع مهرة ينتجون نوعًا من الثياب التي عُرفت باسمهم «الثياب المعافرية»، والتي اشتهروا بها في الجاهلية والإسلام.

فقد ذكر أصحاب السير: أن أول كساء للكعبة كان من الثياب المعافرية . وذلك في خبر طويل خلاصته ؛ أن الملك تُبَّع مرّ بمكة المكرمة فأُخبر بفضلها وشرفها، فكسا الكعبة الخَصفَ ؛ وهي حُصر تُصنع من خُوصُ النخل . ثم رأى في المنام مَنْ يقول له: أن اكسها أحسن من هذا !! فكساها ثياب الأنطاع . فرأى في المنام مَنْ يقول له : اكسها أفضل من ذلك !! فكساها ثياب المعافر[2]. فكان أفضل ثياب للكعبة المشرفة.

وقد بلغت من شهرة هذا الثياب في الإسلام أن الرسول(ﷺ) أجاز أخذ الجزية منها، فقد جاء في كتابه إلى وفد حمير « .... إنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها، وعليه الجزية على كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، من قيمة المعافر أو عوضه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله (ﷺ) فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله(ﷺ)»[3]. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله(ﷺ) إلى اليمن، وأمرني أن أخذ من كلِّ حالم دينارًا، أو عدله من المعافر»[4].

---

(1) المقريزي: المصدر السابق: (2/ 406)، د. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، لدولة لبنان، دار الرائد العربي، 1981م،ص 66 - 67.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية:(1 / 23)، ياقوت الحموي: معجم البلدان:(3 / 486).

(3) ابن هشام: المصدر السابق:(2 / 588)، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب:(18 / 76).

(4) سنن الترمذي:(3 / 16) رقم(566)، سنن النسائي:(8 / 173)رقم(2407)، المستدرك على الصحيحين للحاكم :(3 / 481) رقم(1401)، المعجم الكبير للطبراني:(15 / 42)رقم(16682)، سنن الدارقطني:(5 / 182) رقم(1960)، مسند أحمد بن حنبل:(23 / 12)، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

وهكذا يتضح لنا ارتفاع قيمة هذه الثياب، وغلو ثمنها، حتى كانت تُأخذ الجزية منها. أي بما يعادل دينارًا من الذهب، وهو مقدار الجزية المفروضة على أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية.

هكذا، كان للمعافر دور هام في الفتح الإسلامي لمصر، وفي نشر الإسلام واللغة العربية بين سكانها، كما كان لهم دور هام في المساهمة في بعض المنشآت الحضارية، والأماكن الأثرية في مصر الإسلامية، التي ما زالت بعضها ماثلة إلى العيان حتى الآن.

خامسًا: الصحابة من المعافريين:

عندما خرج العرب من شبه الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي، كانوا يعلمون أنهم سيفتحون بلادًا ذات حضارة عريقة، وما كاد يتم الفتح الإسلامي لمصر، حتى أدرك العرب أنهم أمام شعب أصيل، فلم يتعرضوا لعقيدته وتقاليده.

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر ازدهرت أحوالها وعمها الرخاء، وأمن أهلها، ولم يعد يشكون من ثقل الضرائب الملقاة على أكتافهم. ومن هذا المنطلق اعتبرت مصر عمرًا بن العاص رضي الله عنه منقذًا وفاتحًا.

وما لبث عمرو أن غرس بذور الحضارة الإسلامية في مصر وبسط جناح الإسلام في أرجائها. فأسس عاصمة جديدة للبلاد هي الفسطاط. وشيد أول جامع بمصر، والذي أصبح منارًا ساطعًا للعلم والثقافة.

بدأت الحركة العلمية في عصر الولاة[21 - 254هـ/ 641 - 868م] على أساس الدين، ونهض بهذه الحركة في بادئ الأمر الصحابة الذين وفدوا إلى مصر أثناء الفتح الإسلامي وبعده فأخذوا يعلمون المصريين أمور دينهم.

هذا، وقد شارك كثيرٌ من المعافريين في فتح مصر، وكان لهم دور كبير في نشر العلم والثقافة بين المصريين، فقد كانوا النواة الحقيقية لنشر التعليم الديني في مصر. ومن أشهرهم:

أوس بن بشير المعافري: من أهل اليمن، من قبيلة جيشان . صحب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وسمع عقبة بن عامر. وكان عالمًا في الأديان؛ يقرأ التوراة والإنجيل، واشتهر بذلك بين المصريين، حتى قيل عنه : « إنه كان يوازي عبد الله بن عمر في العلم». روى عنه جماعة من أهل مصر، منهم: أبو قبيل المعافري، وواهب بن عبد الله، والليث بن سعد، والجُلاح مولى

عبد العزيز بن مروان، وأبو صالح التميمي، وغيرهم[1].

ومنهم: ثابت بن مثوب القَبَضِيّ المعافري، شهد فتح مصر، وكان عريفًا على بطن رُعَين من المعافر[2]. وأما حزم بن إسماعيل المعافري، فقد شارك في فتح الإسكندرية، ثم اتخذها سكنًا له، روى عنه بعض أهل العلم[3]. ومنهم كذلك، حمزة بن عمرو الأسلمي [ت 61هـ/ 680م]: من أهل الحجاز، سكن بالمدينة المنورة فترة قليلة، ثم رحل منها إلى مصر. عُرف بين المصريين بالزهد والعبادة، وكان مقلاً في رواية الحديث[4]، دفن بمقابر المعافريين بجبل المقطم[5].

ومن أهل المعافر، حَيْويل بن شَرَاحيل المعافري: حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص. حدث عنه : أبو قُبيل المعافري. قال ابن يونس: «رأيتُ اسمه في ديوان المعافر بمصر»[6]. أما الصحابي، حَيْويل بن ناشَرِة بن عبد بن عامر المعافري: فقد شهد فتح مصر، وكان أعور ذهبت عينه في فتح دُنْقُلَة[7] مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة [31هـ/ 651م]، وكان من أهل مصر الذين شهدوا حرب صفين مع معاوية بن أبي سفيان. روى عن عمرو بن العاص[8].

ومنهم، خالد بن أيمن المعافري: اختلف المؤرخون حول صحبته[9] بالنبي (ﷺ)،

---

(1) البخاري: التاريخ الكبير، جـ2، ص 19، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص40، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ 1، ص 88، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس الصدفي، جـ1، ص 51.

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 282، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 78.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص80 – 81، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 121.

(4) منها: عن محمد بن حمزة بن عمر الأسلمي، عن أبيه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « فوق ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموه فاذكروا اسم الله، ثم لا تقصروا عن حاجاتكم » السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، جـ9، دولة سوريا، دار الفكر،(بدون – تاريخ)، ص 88.

(5) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ 1، ص 111، السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 293، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص66.

(6) ابن ماكولا : الإكمال، جـ2، ص 36، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 143 .

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 478، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 39، د. يحيى الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص 173.

(8) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ 2، ص35، ابن حجر: الإصابة، جـ2، ص 188، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 144.

(9) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ1، ص 129، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ1، ص301، ابن حجر: المصدر السابق، جـ1، ص 324.

والرأي الراجح أنه من سادة التابعين[1]. روى حديثًا مرسلًا[2] عن النبي (ﷺ)، رواه عنه عمرو بن شعيب. قال عنه سعيد المسيب: «صدوق»[3].

ومن الصحابة المغمورين من قبيلة المعافر، الصحابي ذاخر بن عامر المعافري: شهد فتح مصر، روى عن عمرو بن العاص. روى عنه ابنه بَحير بن ذاخر[4].

أما عبد الرحمن بن موهب بن عامر المعافري:(ت 65هـ/ 684م): فكان من سادات التابعين، شهد فتح مصر، روى عن معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما . روى عنه أبو قبيل المعافري. كان شريفًا في قومه، مطاعًا فيهم، يغضب لغضبه عشرون ألفًا من قومه، كما يقول المقريزي[5].

أما عن أشهر المعافريين، والذي كان له دورٌ كبيرٌ في نشر العلم بين المصريين، فهو: سُفْيَان بْن هَانِيء بن جبير، أبو سالم الجيشاني: اختلف العلماء في صحة صحبته بالنبي (ﷺ)، فذكر ابن حجر، وأبو نُعيم : أنه صحابي[6]. واتفق البخاري ومسلم وابن أبي حاتم والعجلي وابن حبان على أنه تابعي[7] . شهد فتح مصر، وصحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى عنه، وعن أبي ذر الغِفاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وزيد بن خالد رضي الله عنهم، وغيرهم[8]. عاش بالقرب من مدينة الإسكندرية، في بلدة تُسمى» فُوّة»[9]، ونشر العلم بين سكانها. قال ابن حبان: «عداده في أهل مصر، روى عنه أهلها»[10]، ومنهم : ابنه

---

(1) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 139، العيني: مغاني الأخيار، جـ6، ص 27.

(2) نص الحديث: « عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَن خَالِدِ بْنِ أَيْمَنَ المُعَافِرِيِّ، قَالَ : [كَانَ أَهْلُ الْعَوَالِي يُصَلُّونَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَيُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ أَنْ يُعِيدُوا الصَّلَاةَ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]. ابن بطال: شرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية، جـ3، السعودية، مكتبة الرشد،2003م، ص416، الطحاوي: شرح معاني الآثار، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، عالم الكتب،1994م، ص 56، ابن حزم: المحلى بالآثار، الطبعة الأولى، جـ2، دولة سوريا، دار الفكر،(بدون – تاريخ)، ص843.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص320، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص198.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ3، ص 373، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 164.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، جـ4، ص 79.

(6) أبو نُعيم الأصفهاني: معرفة الصحابة، الطبعة الأولى، جـ10، الرياض، دار الوطن للنشر، 1998 م، ص 19، ابن حجر: الإصابة، جـ1، ص 489.

(7) الرازي: الجرح والتعديل، جـ6، ص219، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 319.

(8) ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ2، ص57، وكتابه : تهذيب التهذيب، جـ4، ص 108.

(9) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 409، مادة» الفَوّي». قال عنها ياقوت الحموي: «فُوّةُ : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد بينها وبين البحر[المتوسط] نحو خمسة أو ستة فراسخ. وهي ذات أسواق، ونخل كثير». معجم البلدان، جـ 3، ص 345، وتقع حاليًا في محافظة البحيرة، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ3، ص 113.

(10) ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 319. ومنها حديث: «عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي سَالِمٍ الْجَيْشَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ». قَالَ أَبُو دَاوُد: «تَفَرَّدَ بِهِ أَهْلُ مِصْرَ».

سالم، وحفيده سعيد بن سالم[1]، ويزيد بن أبي حبيب، وبكر بن سوادة، وعبد الله بن جعفر، والحارث بن يزيد، وعبد الله بن هبيرة، وسلم بن أبي مريم، وغيرهم[2]. توفي بالإسكندرية[3] في ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر [60 - 85هـ/ 679 - 704م].

ومن المغمورين، صُمَّل بن عوف المعافري الخُلَيْفي، أبو عُبادة، شهد فتح مصر. قال ابن يونس: «ما علمتُ له رواية»[4]. وأما عُبيد بن مُخْمِر المعافري: فكان من أصحاب النبي(ﷺ)[5]، شهد فتح مصر[6]، وهو أول مَنْ أقرأ القرآن الكريم بمصر[7]. روى عنه: أبو قُبيل المعافري[8]. ومنهم، عسجدي بن ماتع السكسكي[9]: من أصحاب الرسول(ﷺ)[10]، شهد فتح مصر[11]، ولم تُعرف له رواية.

ومن المغمورين كذلك، ابن عداس المعافري: له صحبة[12]، وله حديث مرسل عن النبي(ﷺ)[13]. وأما أبو عَيّاش بن النعمان المعافري المصري: فقد روى عن جابر بن

سنن أبي داود: (8 / 56) رقم(2484). وحول المرويات الحديثية له، انظر: صحيح مسلم:(9 / 135) رقم(3253)، (9 / 348) رقم(3405)، سنن أبي داود:(1 / 54) رقم(33)، (8 / 56) رقم(2484)، سنن النسائي:(11 / 442) رقم(3607)، المستدرك على الصحيحين للحاكم:(5 / 481) رقم(2332)، المعجم الكبير للطبراني:(5 / 213) رقم(5144)، صحيح ابن حبان:(20 / 318) رقم(4988)، (23 / 152) رقم(5655)، (26 / 464) رقم(6574)، مسند أحمد بن حنبل تعليق شعيب الأرنؤوط:(6 / 230) رقم(6647)، (17 / 28) رقم(17096).

(1) سوف يأتي الحديث عنها.

(2) يحيى بن معين: تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار القلم،(بدون – تاريخ)، ص 371، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ4، ص 74، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ4، ص 108.

(3) الزبيدي: تاج العروس، جـ17، ص 118، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص214.

(4) ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ1، ص 283، الهمدني: عجالة المبتدي، ص 17، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 283.

(5) أبو نُعيم الأصفهاني: معرفة الصحابة، جـ13، ص411، ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ1، ص 312، ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ2، ص 235،.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 7، ص227، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ 1، ص 218.

(7) المقريزي: الخطط، جـ3،ص 68.

(8) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 332.

(9) جاء في بعض المصادر « عجري»، أبو نُعيم الأصفهاني: معرفة الصحابة، جـ16، ص 116، ابن حجر: الإصابة، جـ2، ص 241.

(10) ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ2، ص 269، ابن حجر: المصدر السابق، جـ2، ص412.

(11) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص17، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1،ص342.

(12) البخاري: التاريخ الكبير، جـ8، ص440، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ3، ص 266 .

(13) وقد ورد هذا الحديث بصيغ مختلفة، وهي:

1. عن عقبة بن عامر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان لهُ ثلاث بنات وصبر عليهِنَّ وكَسَاهُنَّ من جِدَتِهِ كُنَّ له حجابا من النار). البخاري: الأدب المفرد: (ص 19) حديث رقم[76].

2. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ:«» مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ

عبد الله، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وسهل بن سعدﷺ، وغيرهم. روى عنه يزيد بن أبي حبيب، وخالد بن أبي عمران، وبكر بن سوادة، وغيرهما[1].

ومن أشهر من اشتغل بالعلم من المعافريين خلال هذه الفترة، فروخ بن النعمان، أبو عياش المعافري(90هـ / 708م): روى عن جمع من الصحابة، منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وابن مسعود، وعبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرةﷺ، وغيرهم[2]. حدث بمصر. روى عنه: يزيد بن أبي حبيب، وبكر بن سوادة، وخالد بن أبي عمران، وغيرهم[3]. وكذلك، مالك بن عبد الله المعافري: شهد فتح مصر[4]، وانفرد بحديث عن أبي ذر الغِفاري قال : مر النبي (ﷺ) يعني : عليه، فقال : « لا يكثر غمك، ما يقدر يكن، وما رزق يأتك »[5]. وقد روى عنه هذا الحديث جمع من المصريين، منهم: أبو قُبيل المعافري[6]. قال ابن عبد البر: «يعد في أهل مصر، وحديثه عندهم»[7]. وأخيرًا، مُرَّة بن لِيشْرَح المعافري: له صحبة، وشهد فتح مصر . روى عن عبد الله بن عمرﷺ، روى عنه: أبو قبيل المعافري[8].

صفوة القول : أن المعافريين قد شاركوا في فتح مصر، حتى وصل عددهم ما يقرب من ثمانية عشر صحابيًا وتابعيًا، كانوا نواة حقيقية لنشر الدين الإسلامي والعلم الشرعي في ربوع مصر، وبمرور الزمن وجد في مصر طبقة من العلماء أخذوا عن الصحابة والتابعين وعن تابعيهم.

وَاتَّقَى اللهَّ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. سنن الترمذي:(7 / 150) حديث رقم(1839).

3. قَالَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». سنن ابن ماجه:(11 / 62) حديث رقم(3659).

4. عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال : «من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل أو اثنتان يا رسول الله قال أو اثنتان فقال رجل أو واحدة يا رسول الله قال أو واحدة». قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه : حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. مسند أحمد بن حنبل: (8 / 127) حديث رقم(8406). وانظر: الألباني: السلسلة الصحيحة: (1 / 293) حديث رقم(294).

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ12، ص 213، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 523.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ6، ص169، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 264.

(3) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 12، ص 194، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1،ص 400.

(4) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ2، ص 62، ابن حجر: الإصابة، جـ3، ص 28، السيوطي: المصدر السابق، جـ1، ص 232.

(5) ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى، الطبعة الأولى، جـ4، السعودية، دار الراية،1994م، ص494، حديث رقم(1921)، ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني، الطبعة الأولى، جـ8، السعودية، دار الراية،1991م، ص 118، حديث رقم(2476)، ابن قانع: معجم الصحابة، الطبعة الأولى، جـ6، السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية،1997م، ص 79، حديث رقم(1569).

(6) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص312، ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص324.

(7) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ1، ص421، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص425.

(8) ابن حجر: الإصابة، جـ6، ص 286، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ 1، ص468.

المبحث الرابع:
قبيلة غافق بين الجاهلية والإسلام

يرجع بعض علماء الأنساب قبيلة غافق إلى الأزد [الغوث بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان]، والتي سكنت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلت بعد انهيار سد مأرب فنزلت منطقة تِهامة[1]، وربما امتدت مساكنهم شمالاً حتى مدينة جدة[2]، وكانت بلادهم تتبعها من الناحية الإدارية، وربما كانت تخضع أحيانًا لحكومة مكة[3].

ويقول علماء الأنساب: إن عك رُزق بغلام سماه علقمة، وكان من ولده الشاهد، ومن الشاهد غافق[4]. وعلى ذلك فبنو غافق بطن من عك، وينسبون إلى بني قحطان. فهم إذن: بنو غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك[5]. يقول ابن فضل الله العُمري: «والعتيك وغافق قبيلتان مشهورتان في الإسلام، وهم من ولد الأزد»[6]. ويضيف القلقشندي والزَّبيدي: «وإلى عك ينسب كل غافقي»[7].

أولًا: دخول قبيلة غافق في الإسلام:

كان من أهم وفود أهل اليمن إلى المدينة المنورة؛ وفد غافق، وكان على رأسهم جُلَيحة بن سنجار بن صحار الغافقي[8]، وعوذ بن سرير الغافقي[9]. فقالوا: يا رسول الله(ﷺ) نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا وصدقاتنا محبوسة بأفنيتنا. فقال: لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فقال عوذ: آمنا بالله واتبعنا رسوله[10].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 63، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 283.

(2) ياقوت: نفس المصدر، جـ2، ص 114، البغدادي: نفس المصدر، جـ1، ص 318.

(3) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص 158.

(4) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 127. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، جـ 5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ص 113.

(5) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ 8، ص 96.

(6) ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط1، جـ4، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010 م، ص 134. كحالة: معجم قبائل العرب، جـ3، ص 875.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص231. الزَّبيدي: تاج العروس، جـ26، ص 255.

(8) ابن حجر: الإصابة، جـ1، ص 601.

(9) ابن حجر: نفس المصدر، جـ2، ص 324.

(10) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ2، ص 115، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ 7، ص 190.

هكذا دخلت قبيلة غافق في الإسلام، وحسُن إسلامهم، وصار لهم دورٌ كبيرٌ في تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ مصر العلمي خاصة.

ثانيًا: دور قبيلة غافق في فتح مصر:

لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (40 ق ه – 23 ه / 584 – 644 م) الجابية[1]، قام إليه عمرو بن العاص رضي الله عنه (المتوفى عام: 43 هـ / 664 م) وخلا به وحدثه في فتح مصر، وبعد مشاورات عديدة وافق الخليفة وسمح لعمرو بالذهاب، وبالفعل تحرك الجيش الإسلامي بقيادة الفاتح عمرو بن العاص بجيش قوامه أربعة آلاف رجل، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة كان ثلثهم من غافق[2].

وعلى ذلك أستطيع القول: إن ما لا يقل عن ألف جندي من جيش عمرو بن العاص كانوا من قبيلة غافق بالذات. وقد نص ابن عبد الحكم على هذه الحقيقة صراحة بقوله: «كانت غافق ثلث الناس مَدْخَلَ عمرو بن العاص مصر»[3]. وفي هذا أكبر دليل على قوة وشجاعة قبيلة غافق في القتال، فقد شاركت في فتح مصر بكل هذا العدد، مما جعل القائد عمرو بن العاص يثني على شجاعتهم بقوله: «ثلاث قبائل من مصر، أما قبيلة مهرة فيُقتلون ولا يَقتلون، وأما غافق فقوم يَقتلون ولا يُقتلون، وأما بلى فأفضلها فارسًا»[4].

وأزعم أن هذه هي القراءة الصحيحة لما ورد على لسان عمرو بن العاص في تصنيفه للقبائل العربية التي شاركته في الفتح، وليس كما قرأها أحد الباحثين المُحَدثين[5] خطأ، حيث قال عن غافق: يُقتلون(بالضم في الأولى)، ويَقتلون (بالفتح في الثانية)، وذلك لأن قبيلة غافق كانت – كما سبقت الإشارة – ثلث الجيش، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أرسلهم على رأس الجيش الإسلامي المتوجه لفتح مصر، فهو متأكدٌ – إذن – من شجاعتهم وقوتهم وبسالتهم في المعارك، وإلا فلماذا أرسلهم إلى مصر؟ أفأرسلهم ليُقتلوا هناك ؟! حاشاه رضي الله عنه.

صفوة القول: أن قبيلة غافق قد شاركت بقوة في فتح مصر بما لا يقل عن ألف

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص91، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 304.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص 331، مادة « الفسطاط».

(3) فتوح مصر والمغرب، ص 166.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ1، ص 205.

(5) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 164.

مقاتل من رجالاتها البواسل، وكانت رحى الحرب تدور على عاتقهم، وقد تحملوا كثيرًا من التعب والنصب في أثناء عملية الفتح الإسلامي لمصر. فإذا تذكرنا قوة ومتانة أسوار حصن بابليون، وقوة المقاتِلة من الروم، عرفنا كم عانى هؤلاء الأبطال في عملية الفتح الإسلامي لمصر، ويستحقون - حقًا - اللقب الذي وصفه بهم أميرهم عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنهم «قوم يَقتلون ولا يُقتلون».

ثالثًا: خِطط غافق بمدينة الفسطاط:

أما عن خطة غافق فكانت تقع بين خطط مهرة ولخم، وخطط خولان، وخزاعة، وأسلم، وغِفار، وثقيف، ودروس، وأهل الراية ؛ وقد اتسعت بمرور الوقت، حتى استغرقت صفحتين عند ابن عبد الحكم، وقال في ختام كلامه: «ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا، غير أن هذه جُمَلُها»[1].

رابعًا: من بطون قبيلة غافق في مصر:

تعددت بطون غافق التي نزلت بالفسطاط عقب الفتح الإسلامي، ومن أهم هذه البطون: أحدب وكان لهم مسجد بالفسطاط[2]. وتيم[3]، وجذران[4] كان لهم - أيضًا - مسجدان بالفسطاط[5]؛ وهذا يدل على كثرة عددهم. والحرثة[6]، والحرقة[7]، ودهَنة[8]، والغَمر[9]، والقيافة[10]، وقيانة[11]، ومنارة[12]، والحمدي: منسوب إلى حمدي بن بادي[13]،

---

(1) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 166 - 168.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 88، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 3.

(3) السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 498، الزبيدي: تاج العروس، جـ 31، ص 350، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ 1، ص 137.

(4) السمعاني: نفس المصدر، جـ2، ص 34، الزبيدي: نفس المصدر، جـ10، ص 393، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 175.

(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 166.

(6) السمعاني: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 200، الزبيدي: المصدر السابق، جـ 5، ص 220.

(7) السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 205.

(8) السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 518، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 18، الزبيدي: المصدر السابق، جـ35، 44، كحالة: معجم القبائل العربية، جـ 1، ص 391، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ 8، ص 96.

(9) السمعاني: نفس المصدر، جـ4، ص 309، الهمداني: نفس المصدر، ص 29، كحالة: نفس المرجع، جـ3، ص 892.

(10) السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 572، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 936.

(11) السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص572، الزبيدي: تاج العروس، جـ 36، ص 35، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص970، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ 8، ص 96 .

(12) السمعاني: نفس المصدر، جـ5، ص 386، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 1139.

(13) الهمداني: عجالة المبتدي، ص 15، الزبيدي: نفس المصدر، جـ 8، ص 45، كحالة: نفس المرجع، جـ1، ص 299.

وكان لهم زقاق باسمهم في الفسطاط، وكان منهم الصحابي عبد الله بن مالك؛ والذي كان له مسجد باسمه في هذا الزقاق، وروى أهل مصر عنه حديثين[1]. وأخيرًا، سحبل بن غافق[2].

هذه هي أهم بطون قبيلة غافق التي استقرت في مصر، وكان لهم خِطط بها[3].

ومن الجدير بالذكر، أن قبيلة غافق كانت تهتم ببناء المساجد، فقد أحصيتُ ما يقرب من ستة مساجد بُنيت في خطتها، وهي: مسجد جذران، ومسجد أحدب، ومسجد الزمام، ومسجد أبي موسى الغافقي، ومسجد بادي، ومسجد القيراط[4]. وفي هذا أكبر دليل على حُسن إسلامهم، وجهودهم في نشر الإسلام بين المصريين.

ومما تجدر الإشارة إليه -- أيضًا -ـ، أن قبيلة غافق - نظرًا لكبرها، وتعدد بطونها - كانت لها أربعة مرابع في مصر، توجد في أبي صير بمحافظة الجيزة حاليًا[5]، ومنوف بمحافظة المنوفية حاليًا[6]، ودسبندس، وتعرف حاليًا بـ» سندبيس«[7]، وتقع في محافظة القليوبية، وأتريب بمحافظة سوهاج حاليًا[8]. وعلى ذلك، فإن مرابع قبيلة غافق قد توزعت في أربعة محافظات، اثنتان في الوجه البحري، وأُخريان في الوجه القبلي. وفي هذا أكبر دليل على كثرة عددهم في مصر.

ومما ينهض دليلًا على كثرتهم في الريف المصري - ما ذكره ابن يونس - المؤرخ المصري - أن وفدًا من غافق جاءوا إلى القائد عمرو بن العاص، فقالوا: إنّا في الريف، فنجتمع في العيدين [الفطر والأضحى]، ويؤمنا رجلٌ منا. قال: نعم، قالوا: فالجمعة؟ قال: لا[9]. ولعل سبب رفضه يرجع إلى حرصه على أداء صلاة الجمعة بالمسجد الجامع بالفسطاط، للاطمئنان على أحوال المسلمين، ومدى علاقتهم بالمصريين.

هذا، وقد اشتهرت قبيلة غافق بُحسن استقبالها للقبائل العربية التي نزلت في

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 167.

(2) الزبيدي: المصدر السابق، جـ 29، ص 129، كحالة: المرجع السابق، نفس الجزء، ص 503.

(3) د. سيدة إسماعيل سيد كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص 240.

(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، نفس الصفحات.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 1، ص 371، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ 4، ص 5.

(6) ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ 4،ص 176، محمد رمزي: نفس المرجع، جـ3، ص 233.

(7) ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ 2، ص 226، محمد رمزي: نفس المرجع، جـ 2، ص 56.

(8) ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ 1، 51، محمد رمزي: نفس المرجع، جـ1، ص 11.

(9) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 295.

جوارها، ومنها – على سبيل المثال – قبيلة الأزد التي نفاها زياد بن أبيه – حاكم البصرة[1] –[1 – 53 ه/ 622 – 673 م] إلى مصر سنة(45 – 53هـ/ 665 – 672 م)، فنزلوا بالفسطاط بموضع يقال له الظاهر، بين قبيلتي تجيب وغافق، حتى قال عمران بن حطان الشاعر[المتوفى عام: 84 ه/ 703 م] الذي رحب بخروجهم:

فأمْسوا بِدارٍ لَا يُفَزَّعُ أَهْلُها وجِيرانُهُمْ فِيها تُجِيبُ وغافِقُ[٢]

وأطلق المصريون عليهم اسم العراقيين لمجيئهم من العراق[3].

كما ورد ذكرها على لسان عبد الرحمن بن الحَكَم، وهو يصف هول المعارك بين أخيه وبين ابن جَحْدَم سنة[65هـ/ 684 م] فقال:

وَجَاشَتْ لنا الأرضُ منْ نحْوِهِمْ بِحَي تُجِيبَ وَمِـنْ غَـافِـقِ[٤]

ولاشك أن قبيلة غافق، –ـ شأنها شأن باقي القبائل العربية التي نزلت مصر – ترك بعض أهلها مكانهم الأول بالفسطاط ورحلوا في طول البلاد وعرضها، فبعضهم نزل الصعيد وبعضهم الآخر استقر في الدلتا. وبمرور الوقت، عبر بعضهم الحدود المصرية واتجه غربًا ليستقر في برقة[5]، وواصل الآخرون سيرهم حتى نزلوا في بلاد الأندلس، وكان لهم دور كبير هناك، ومعظمهم يحمل لقب «الغافقي».

وأن قبيلة غافق ظلت تحيا في مصر منذ اللحظات الأولى للفتح الإسلامي، وقد لعبت أدوارًا حربية كان لها أثرها في مصير مصر الإسلامية، وأن الطابع الذي غلب على أبنائها ومواليها طابع ديني في معظمه، وقد أثروا الحياة العلمية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الفاطمية، وهذا ما تشهد به شخصيات غافق وبطونها من جهة، وشواهد القبور من جهة أخرى[6].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 430، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 309.

(2) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ 2، ص 21. د. إحسان عباس: شعر الخوارج، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1974م، ص 146.

(3) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 148.

(4) الكندي: ولاة مصر، ص 44.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 388.

(6) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 164.

خامسًا: الصحابة من الغافقيين:

عندما خرج العرب من شبه الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي، كانوا يعلمون أنهم سيفتحون بلادًا ذات حضارة عريقة، وما كاد يتم الفتح الإسلامي لمصر حتى أدرك العرب أنهم أمام شعب أصيل، فلم يتعرضوا لعقيدته وتقاليده.

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر عام (21 هـ / 641 م) ازدهرت أحوالها وعمها الرخاء، وأمن أهلها، ولم يعد يشكون من ثقل الضرائب الملقاة على أكتافهم؛ ومن هذا المنطلق اعتبرت مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه منقذًا وفاتحًا.

وما لبث عمرو أن غرس بذور الحضارة الإسلامية في مصر، وبسط جناح الإسلام في أرجائها، فأسس عاصمة جديدة للبلاد هي الفسطاط، وشيد أول جامع بمصر، والذي أصبح منارًا ساطعًا للعلم والثقافة.

بدأت الحركة العلمية في عصر الولاة [21 - 254هـ/ 641 - 868 م] على أساس الدين، ونهض بهذه الحركة في بادئ الأمر الصحابة الذين وفدوا إلى مصر أثناء الفتح الإسلامي وبعده فأخذوا يعلمون المصريين أمور دينهم.

هذا، وقد شارك كثيرٌ من الغافقيين في فتح مصر، وكان لهم دور كبير في نشر العلم والثقافة بين المصريين، فقد كانوا النواة الحقيقية لنشر التعليم الديني في مصر. ومن أشهرهم:

أبو زيد الغافقي: لم تذكر لنا المصادر التاريخية اسمه كاملاً، إلا أنها أكدت أنه سمع الحديث من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان من أقدم الصحابة الذين دخلوا مصر مشاركين في عملية الفتح الإسلامي لها. روى عنه الحسن البصري، وعمرو بن شراحيل المعافري، وغيرهما[1].

ومنهم: بشير بن جابر بن عراب الغافقي: صحب الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وشهد فتح مصر، ولم تحفظلنا مصادرنا الحديثية رواية عنه[2].

---

(1) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، جـ2، ص 142، ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ 3، ص 181، ابن حجر: الإصابة، جـ7، ص135، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1،ص 82.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ1، ص 54، ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 281، السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 398، ابن الأثير: نفس المصدر، جـ1، ص 121، الصفدي : الوافي بالوفيات، جـ3، ص 382.

ومنهم: بكر بن عبد الله بن صحَّار الغافقي: لم تذكر لنا المصادر التاريخية عنه شيئًا سوى أنه شارك في فتح مصر[1].

ومنهم: سفعة الغافقي: صحب الرسول(ﷺ)، وشهد فتح مصر[2].

ومنهم: عبد العزيز بن سخبرة الغافقي: ذكره محمد بن الربيع الجيزي في كتابه: «الصحابة الذين نزلوا مصر» وقال: «إنه وفد على الرسول(ﷺ)، وكان اسمه عبد العزى، فسماه عبد العزيز، وشارك في فتح مصر»[3].

ومنهم: عبد الله بن مالك الغافقي: سكن مصر بعد الفتح الإسلامي، وأشهر مَن روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود[4]. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته[5].

ومنهم: مالك بن عُبادة الغافقي: قال محمد بن الربيع الجيزي: «له صحبة، وشهد فتح مصر»[6] روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود[7]، وغيره. كان ثقة[8]، توفي بالفسطاط سنة (58هـ / 677 م)[9].

ومنهم: محمد بن جابر بن عراب الغافقي: وفد على الرسول(ﷺ)، وشهد فتح مصر، اشتغل هو وأخوه بشير- سابق الذكر - بالحديث. غير أنني لم أعثر على رواية له. قال ابن يونس: «وقد ذكروه(يعني أهل الحديث) في كتبهم»[10].

وأخيرًا: هجالة بن أفلح بن قيس الغافقي: شهد فتح مصر، وعاش ومات بالفسطاط[11].

---

(1) ابن ماكولا: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 407، ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ1، ص 432، د. عبد الفتاح فتحي: تاريخ ابن يونس الصدفي، جـ1، ص 182.

(2) ابن حجر: الإصابة، جـ 3، ص 101، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 213.

(3) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ 2، ص 219، ابن حجر: نفس المصدر، جـ 2، ص 214، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 74.

(4) الدارقطني: سنن الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، جـ 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1424 هـ - 2004 م، ص 481، حديث رقم(438).

(5) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ 1، ص 300، ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 168، ابن حجر: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 168، السيوطي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 73.

(6) ابن عبد البر: نفس المصدر، جـ2، ص 68، ابن الأثير: نفس المصدر، جـ3، ص253، ابن حجر: نفس المصدر، جـ3، ص 40،السيوطي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص83.

(7) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ12، ص 227، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 425.

(8) ابن حبان: الثقات، جـ3، ص377.

(9) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ2، ص 146.

(10) ابن حجر: الإصابة، جـ6، ص6، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 438.

(11) ابن حجر: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 233، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 497.

سادسًا: التابعون من الغافقيين:

هؤلاء هم أشهر الصحابة الذين سكنوا مصر عقب الفتح الإسلامي لها، وكانوا نواة حقيقية للحركة العلمية التي نشأت في الفسطاط، ثم ساح كثير منهم في ربوع مصر، ينشرون الدين الإسلامي، واللغة العربية. ومن ثم فقد أنشأ كل واحد منهم حلقة علمية في المكان الذي أقام فيه، والتف حوله طلاب العلم - المعروفون تاريخيًا باسم التابعين - للأخذ عنه، و كان من أشهرهم:

عبد الله بن زُرَيرِ الغافقي المصري: سمع جمعًا من أصحاب رسول الله(ﷺ)، ويأتي في مقدمتهم؛ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لازم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى صار من خاصته[1]، بل كان على رأس الوفد المصري الذي توجه لمبايعته بالخلافة، وحارب إلى جواره في قتاله للخوارج[2].

وعلى كل حال، فقد انتفع عبد الله بما سمع من أميري المؤمنين، فروى عنهما كثيرًا من الأحاديث، التي أخذها عنه جمع من طلاب العلم، من أمثال: مرثد بن عبد الله، وعبد الله بن هبيرة، والحارث بن يزيد، وأبي أفلح الهمداني، وبكر بن سوادة، وكعب بن علقمة، وعياش بن عباس، وغيرهم[3].

حظي عبد الله بن زُرَير بتوثيق علماء الجرح والتعديل، فقد وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن أبي حاتم الرازي، وابن حبان[4]. هذا التوثيق جعل أصحاب السُّنن - كأبي داود، والنسائي، وابن ماجة، والإمام أحمد بن حنبل - يروون عنه في كتبهم[5]. كما حفظت لنا مصادرنا التاريخية بعض مروياته عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6].

---

(1) ابن قتيبة: المعارف، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،1407هـ - 1987م، ص 98، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 5، ص 448، وكتابه: العبر في خبر مَن غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، جـ1، بيروت، دار الكتب العلمية، [بدون - تاريخ]، ص 16.

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 4، ص 185، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 330.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 5، ص 95، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ 1، ص 493، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ 5، ص 190، العيني: مغاني الأخيار، جـ 3، ص 90.

(4) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ 7، ص 515، العجلي: معرفة الثقات، جـ 2، ص 5، الرازي : الجرح والتعديل، جـ 8، ص 63، ابن حبان : الثقات، جـ 5، ص 24،.

(5) سنن أبي داود: (11 / 80) رقم(3535)، سنن النسائي:(15 / 395)رقم(5056)، سنن ابن ماجه:(10 / 456)رقم(3585)، مسند الإمام أحمد في(8) مواضع.

(6) ومنها - على سبيل المثال - : « عن ابن لهيعة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على

هكذا عاش عبد الله بن زُرَير الغافقي محبًا للعلم، ناشرًا له، فسعدت به مدينة الفسطاط، التي عاش بين ربوعها، ومات ودفن في أرضها سنة (80هـ/ 699م)[1].

ومنهم: الضحاك بن شراحيل الغافقي: روى عن جمع من الصحابة، من أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبي هريرة، وزيد بن أسلم رضي الله عنهما. كما روى عن أيمن بن يحيى الأنصاري، وعامر ابن يحيى المعافري، وغيرهم[2].

اشتغل الضحاك بعلم الحديث حتى صار أحد أعلام المدرسة المصرية، مما جعل كثير من الطلاب يرحلون للأخذ عنه، ومنهم: حفص بن عمر، وحيوة بن شريح، وسعيد بن أبي أيوب، وسعيد بن أبي هلال، وعبد الله بن لهيعة، ورشدين بن سعد، وغيرهم[3].

حظي الضحاك بتوثيق علماء الجرح والتعديل[4]، مما جعل أصحاب السُّنن يروون عنه في كتبهم[5]. توفي رحمه الله تعالى بالفسطاط سنة (120هـ/ 738م) ودفن بجبل المقطم[6].

ومن أشهر مَن اشتغل بعلم الحديث من الغافقيين خلال هذه الفترة إياس بن عامر الغافقي المصري: اشتغل بعلم الحديث، فسمع من عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، ولازم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان من شيعته[7]. قال ابن يونس الصدفي: «كان من شيعة علي رضي الله عنه، والوافدين عليه من أهل مصر، وشهد معه مشاهد الحروب»[8]. وعلى الرغم من ملازمة إياس للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلا أنه لم يغالِ في حبه كما فعل كثير من الشيعة.

حب أبي تراب، إلا أنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب رضي الله عنه سورتين علمهما إياه رسول الله(ﷺ) ما علمهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ط2، جـ 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ، ص137، المقريزي: المقفى الكبير، جـ4، ص 389، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، جـ 1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1394 هـ -ـ 1974 م، ص 77.

(1) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 84.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص 385.

(3) العيني: مغاني الأخبار، جـ 3، ص 2.

(4) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 4، ص 391.

(5) سنن أبي داود:(13/ 193) رقم (4353)، سنن الترمذي:(1/ 73) رقم (40)، سنن ابن ماجه:(1/ 500) رقم(406) مسند الإمام أحمد:(1/ 33) رقم(13274).

(6) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 89.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 7، ص 323، السمعاني: الأنساب، جـ 5، ص 386، السيوطي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 84.

(8) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ 1، ص 114، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ 1، ص 340، تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 53.

لذا فقد وثقه أئمة الجرح والتعديل، مثل الإمام العجلي[1]، وابن حبان[2]، وابن أبي حاتم الرازي[3]، وغيرهما. كما روى عنه أصحاب الكتب السِّتة، مثل: أبي داود، والنسائي، وابن ماجة، وأبي جعفر الطحاوي[4].

بالإضافة إلى ذلك فقد روى عنه الإمام عبد الله بن وهب[5]. وقد وصلت إلينا كثير من مروياته عن الإمام علي ﵁، من طريق ابن أخيه موسى بن أيوب الغافقي، وإن كان معظمها يتعلق بالأحكام الفقهية. ومنها – على سبيل المثال ـ: حكم الزواج من مِلك اليمين[6]، ونكاح المتعة[7]، وما يقال في الركوع والسجود أثناء الصلاة [8]، وغير ذلك من الأحكام.

وعلى الرغم من شهرة إياس بين المُحَدِّثين والفقهاء، إلا أنني لم أعثر – للأسف الشديد – على تاريخ وفاته.

---

(1) العجلي: معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط1، جـ1، المدينة المنورة، مكتبة الدار، 1405هـ – 1985م، ص 12.

(2) الثقات، جـ 4، ص 33 – 35.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 2، ص 281، الزبيدي: تاج العروس، جـ 14، ص 313.

(4) الذهبي: الكاشف، جـ1، ص 258، سنن الدارمي:(4/ 91) رقم(1355)،(10/ 204) رقم(3392)، سنن الدارقطني:(8/ 418) رقم(3688)، مشكل الآثار للطحاوي:(2/ 121) رقم(529)،(6/ 124) رقم(2204)، مسند الإمام أحمد، تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط:(1/ 251) رقم(772)، (17/ 130) رقم(17450)، سنن ابن ماجه:(3/ 129) رقم(877).

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ1، ص 441، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط4، جـ 3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406 هـ– 1985م، ص404، العيني: مغاني الأخيار، جـ 1، ص 69.

(6) عن موسى بن أيوب الغافقي، قال: حدثني عمي إياس بن عامر قال: سألت علي بن أبي طالب ﵁ فقلت: إن لي أختين مما ملكت يميني، اتخذت إحداهما سرية فولدت لي أولادًا، ثم رغبت في الأخرى، فما أصنع؟ فقال علي ﵁: « تعتق التي كنت تطأُ ثم تطأ الأخرى». قلت: فإن ناسًا يقولون: بل تَزَوّجها ثم تطأ الأخرى. فقال علي: أرأيت إن طلقها زوجها أو مات عنها أليس ترجع إليك؟ لأن تعتقها أسلم لك. ثم أخذ علي بيدي فقال لي: إنه يحرم عليك ما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد – أو قال: إلا الأربع– ويَحْرُم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب. الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ط1، جـ4، بيروت، دار إحياء التراث العربي،1405هـ، ص 238، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، جـ 2، دار طيبة للنشر والتوزيع،1420هـ – 1999م، ص255، السيوطي: الدر المنثور، جـ 3، ص 72.

(7) أخرج البيهقي عن طريق عبد الله بن لهيعة عن موسى بن أيوب عن إياس بن عامر عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: « نهى رسول الله ﷺ عن المتعة فقال: إنما كانت لمَن لم يجد، فلما أنزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نسخت » . د. عبد الله بن زيد آل محمود: بطلان نكاح المتعة بمقتضى الدلائل من الكتاب والسُّنَّة، مقال في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، لسنة (1400هـ)، جـ6، ص195.

(8) حدثنا موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمِّي إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال: « اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى:1]، قال رسول الله ﷺ: « اجعلوها في سجودكم». الفسوي: المعرفة والتاريخ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، جـ 2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ – 1981م، ص290، الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، جـ 13، بيروت، دار إحياء التراث العربي،1422، هـ – 2002 م، ص 123، البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، جـ 8، بيروت، دار إحياء التراث العربي،1420هـ، ص 27، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ7، ص551.

ومنهم – أيضًا – : عبد الرحمن بن رزين الغافقي: اشتهر بعلم الحديث، رحل إلى الربذة[1] للأخذ عن الصحابي سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه[2]، وروى عنه حديثًا واحدًا في المسح على الخفين[3]. كما سمع محمد بن يزيد بن أبي زياد، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وغيرهم. روى عنه يحيى بن أيوب المصري، والعطاف بن خالد المخزومي[4]، وغيرهما. ولم أظفر بتاريخ وفاته.

وكان آخرهم: عمران بن عوف الغافقي: سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. روى عنه جمع من أهل العلم، ومنهم: سليمان بن زياد، ومصعب الحميري، وموسى بن أبي حملة[5]، وغيرهم. وكان كما يقول العجلي: «من ثقات التابعين المصريين»[6]، كما وثقه ابن حبان[7]. و للأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته.

صفوة القول: أن الغافقيين قد شاركوا في فتح مصر، حتى وصل عددهم ما يقرب من أربعة عشر صحابيًا وتابعيًا، كانوا نواة حقيقية لنشر الدين الإسلامي والعلم الشرعي في ربوع مصر، وبمرور الزمن وجد في مصر طبقة من العلماء أخذوا عن الصحابة والتابعين وعن تابعيهم.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص 24، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 601.
(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ3، ص 330.
(3) البخاري: الأدب المفرد:(ص 241) حديث رقم (973)، سنن أبي داود:(1/ 197) رقم(136)، سنن ابن ماجه:(2/ 186) رقم(550)، سنن الدارقطني:(2/ 349) رقم(779).
(4) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، جـ2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، ص 560، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 6، ص 154.
(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 6، ص 414 رقم(2824)، الرازي: الجرح و التعديل، جـ 9، ص 299.
(6) معرفة الثقات، جـ 2، ص 41.
(7) الثقات، جـ 5، ص 220.

الفصل الثاني:
القراء والمفسرون في مصر الإسلامية

- التمهيد:
- المبحث الأول: القراء والمفسرون الصدفيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثاني: القراء والمفسرون التجيبيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثالث: القراء والمفسرون المعافريون في مصر الإسلامية.

الفصل الثاني:
القراء والمفسرون في مصر الإسلامية

التمهيد:

كانت العلوم الدينية تحظى باهتمام المسلمين، فقد أقبل الناس على القرآن الكريم يفهمون معانيه، ويفسرون آياته، ويستنبطون منه الأحكام[1] وقد بدأت هذه الحركة في حياة الرسول (ﷺ) ثم أخذت في الاتساع بعده، وقام أصحابه في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أصول دينهم، ونزل الكثير من هؤلاء الصحابة في مصر، وتعلم على أيديهم الكثير، بل قل أنشأ كل منهم حركة علمية، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم، فتخرج عليهم التابعون ثم مَن بعدَهم .

علم التفسير:

لم يكن العرب في أول الأمر بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، ذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكانوا على علم بمناسبات نزول آياته ومقاصدها. ثم إنهم في أول الأمر لم يكونوا يسمحون بتفسير القرآن الكريم، غير أن العلماء المسلمين تخلصوا من هذا الحرج في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، خاصة أنهم بعدوا عن وقت ظهور القرآن الكريم، مما جعل مقاصد ألفاظ القرآن الكريم مبهمة وغير مفهومة، وخصوصًا على الذين أسلموا من الشعوب الإسلامية، بحيث كانوا في حاجة ملحة إلى تفسير نص القرآن الكريم[2] .

التفسير في اللغة تفعيل من فسَّر وهو البيان الكشف، ويقال هو مقلوب السفر. تقول أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل مأخوذ من التفسرة، وهو اسم لما يعرف بالطبيب المرض[3] .

---

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، القاهرة، النهضة المصرية،1964م، ص 145.

(2) د. هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص 134.

(3) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، جـ 4، ص192.

وفي لسان العرب: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[1]، وفي القرآن الكريم:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [2] أي بيانًا وتفصيلًا. والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال. قال ابن عباس في قوله تعالى:﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا، أي تفصيلًا ﴾[3].

أما معنى التفسير في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء في تعريفه. فقال بعضهم، هو : علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[4]. ويتضح من تحليل هذا التعريف أنه يعدد علوم القرآن، أكثر من إعطاء معنى واضح لعلم التفسير.

وأما التفسير عند الشيخ الزرقاني فهو يعني: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[5]. وأدعى أن هذا التعريف – على الرغم من إيجازه – الأقرب إلى الصواب، لأنه رد الأمر إلى الله تعالى ولم ينس الاجتهاد البشري .

أما عن شرف هذا العلم ومكانته : فالتفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، بل هو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه. لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمه. ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية[6].

علم القراءات:

وبالنسبة لعلم القراءات فإنه يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم. وقد نشأ بسبب خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يُقرأ بأشكال مختلفة تبعًا

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، جـ5، ص 55.

(2) سورة الفرقان: آية 33.

(3) د. مناع خليل القطان : مباحث في علوم القرآن، الرياض، مكتبة المعارف، 1421هـ – 2000م، ص 334.

(4) السيوطي: الإتقان، جـ 2، ص 462 .

(5) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب – ت . جـ2، ص 20.

(6) السيوطي : الاتقان، جـ 2، ص 464 .

للنقط فوق الحروف أو تحتها. كما أن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافًا في النطق بحروف القرآن الكريم، ثم إن القرآن الكريم يشتمل - أصلاً - على ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية، وإن كانت ألفاظ قريش هي الغالبة، تليها هذيل وكنانة وحِمير وغيرهم من قبائل الجزيرة العربية. ولذلك اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة، أو ما سمي أيضًا بالتجويد، أُيدت بأحاديث نبوية، وروايات الصحابة والتابعين، وقصد من تنوعها التسهيل. وقد يكون أساس التنوع أيضًا، بسبب اختلاف القراء في قراءة القرآن الكريم ومصاحف الصحابة قبل أن يصلهم مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان خاليًا من النقط والشكل، حتى إن عثمان أطلق للناس القراءات علي أي حرف وأية لهجة . وقد أصبحت هذه القراءات عِلمًا مدونًا توضع فيه المُصنَّفات، التي ربما صحبها الرسم لأوضاع الحروف، واعتبرت المعرفة بها فرضًا[1].

هذا، وقد تناول علماء كثير في جميع أرجاء البلاد الإسلامية هذه القراءات بالشرح، وإبراز قواعدها وأحكامها، إذ كانت كل بلد تأخذ من القراءات ما يلائم طبع أهلها مثل المذاهب الفقهية تمامًا. وأشهر القراءات ؛ هي: قراءة نافع من المدينة المنورة [ت 117هـ/ 730م]، وابن كثير المكي [45 - 120 هـ / 665 - 738 م] من مكة المكرمة، وابن عامر[8 - 118 هـ / 630 - 736 م] من الشام، وأبي عمرو بن العلاء [70 - 154 هـ / 690 - 771 م] من أهل البصرة، وعاصم بن أبي النجود [ت 127 هـ / 745 م]، وحمزة بن حبيب القارئ [80 - 156 هـ/ 700 - 773 م]، والكسائي[ت 189 هـ / 805 م) من الكوفة.

(1) د. هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص130 - 131.

المبحث الأول:
القراء والمفسرون الصدفيون
في مصر الإسلامية

صحب عمرو بن العاص(50 ق هـ - 43 هـ / 574 - 664 م) في عملية فتح مصر كثير من الصحابة من مختلف القبائل العربية، وبمجرد أن انتهت عملية الفتح الإسلامي، حتى استقر كثير منهم في مصر، وطابت لهم الحياة فيها، وأخذ كل واحد منهم يجلس لتعليم الناس أمور الدين الإسلامي، وهذه هي نواة الحركة العلمية التي أثمرت وأينعت بعد ذلك، وأخرجت لنا علماء أفذاذًا في كافة مجالات المعرفة[1].

وكان من البديهي أن تكون البداية بالعلوم الدينية ؛ من تفسير وحديث وفقه ..... إلخ، وبلا شك فقد ساهم الصدفيون في هذه الحركة العلمية، وكان لهم شأن عظيم في ذلك.

كان القرآن الكريم أول ما يُبدأ به في طلب العلم، فبعد أن يحفظه الطالب جيدًا، يبدأ بعد ذلك في دراسة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وأولها: علم القراءات، هو: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. وقد عده الإمام السيوطي العلم الثامن من العلوم المتعلقة بدراسة القرآن الكريم[2].

ومن الجدير بالذكر، أنه عند نهاية القرن الثاني الهجري كانت رئاسة الإقراء بمصر قد انتهت إلى عثمان بن سعيد المصري، المعروف بورش[3](110 - 197هـ/ 728 - 812م)، والذي أخذ القراءة عرضًا عن الإمام نافع بن أبي نعيم(ت 169هـ/ 785م)،

---

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 190.

(2) الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص 444، الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص 412، حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار إحياء التراث العربي، [بدون - تاريخ]، ص 1317 وما بعدها، د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، الطبعة السابعة، جـ1، القاهرة، مكتبة وهبة،2000م، ص 13.

(3) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيار آلتي قولاج، الطبعة الأولى، جـ1، استانبول،1995م، ص 91، الزركلي: الأعلام، جـ4، ص 205، محمد محمد سالم محيسن: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الجيل، 1992م، ص 606.

وانتشرت طريقة الإمام نافع بمصر عن طريق ورش هذا[1].

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين، ساهم بعض أبناء قبيلة الصدف في نشر علم القراءات بمصر. ويعد يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي(170 – 264هـ/ 787 – 877 م)، مِن أقدم مَنْ أشتغل بهذا العلم في مصر، ولا غرابة فقد كان وافر العقل، صحب الإمام الشافعي وأخذ عنه[2]، ثم صار من كبار القراء الذين انتهت إليهم رئاسة هذا العلم.

شيوخ يونس بن عبد الأعلى:

أخذ يونس قراءة القرآن الكريم عرضًا عن تلاميذ الإمام نافع بن أبي نعيم(ت 169هـ/ 785م) قارئ المدينة المنورة[3]، وهم:

1. سقلاب بن شيبة، أبو سعيد المصري(ت 191هـ/ 806م)[4].

2. عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو القبطي المصري الملقب بورش(110 – 197هـ/ 728 – 812م)، شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر في زمانه. قال يونس بن عبد الأعلى : « كان ثقة حجة في القراءة، حسن الصوت، إذا قرأ يهمز ويمد ويبين الإعراب لا يمله سامعه»[5].

3. علي بن يزيد بن كيسة، أبو الحسن الكوفي، نزيل مصر (ت 202هـ/ 817م)، أخذ يونس عنه قراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت 156هـ/ 772 م)[6].

---

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 199.

(2) الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار الرائد العربي،1970م، ص 99، القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1998م، ص 409، السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 529، الذهبي: العبر في خبر مَنْ غبر، جـ1، ص 252، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1983م، ص 234،.

(3) الذهبي: معرفة القراء الكبار، جـ1، ص 44، ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، الطبعة الأولى، جـ 1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 2006م، ص 159.

(4) الذهبي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 74، وكتابه: تاريخ الإسلام، جـ3، ص 201، ابن الجزري: المصدر السابق، نفس الجزء، ص280، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 420، محمد محمد سالم محيسن: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، جـ1، ص 271.

(5) ابن الجزري : المصدر السابق، نفس الجزء، ص446، السيوطي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 162.

(6) ابن الجزري : المصدر السابق، نفس الجزء، ص 516.

4. معلى بن دحية بن قيس المصري، قال عنه يونس: « اقرأني ابن دحية مثل ما اقرأني ورش من أول القرآن إلى آخره»[1].

هكذا، صار يونس إمامًا في القراءات، وخاصة في قراءاتي ورش وحمزة[2]، ومن ثم فقد تصدر للإقراء في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، والتف طلاب هذا العلم حوله، يأخذون عنه، لما عرف به من جودة القراءة، وحسن الصوت والأداء، ورحل إليه طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه عرضًا.

أما عن علم التفسير، فلم أعثر على عالمٍ من الصدفيين اشتغل بعلم التفسير، سوى الإمام يونس بن عبد الأعلى، الذي كان له أثر كبيرٍ في الاحتفاظ بقدر عظيم من تفسير عبد الله بن وهب[3](125 – 197 هـ / 743 – 813 م)، والذي حفظ لنا الطبري[4] جزءًا كبيرًا منه برواية يونس بن عبد الأعلى.

ومن أشهر الصدفيين الذين اشتغلوا بعلم القراءات، وإن لم ينالوا من الشهرة ما نال الإمام يونس بن عبد الأعلى، الإمام أحمد بن محمد بن يحيى بن زكريا، أبو الحسن الصدفي المعروف بابن بلغارية(ت 345هـ / 956م). أخذ قراءة ورش عرضًا عن عبيد بن محمد بن موسى، كما سمع يحيى بن أيوب العلاف، وأبو اليزيد القارطيسي[5]، وغيرهم.

اشتهر أبو الحسن الصدفي بحُسن الصوت وجمال الأداء، فالتف الطلاب حوله للأخذ عنه، ومنهم: عمر بن محمد الحضرمي؛ الذي صار إمامًا لجامع عمرو بن العاص بعد ذلك. وخلف ابن قاسم الأندلسي[6]، وغيرهم.

ومن الصدفيين كذلك، الحسين بن علي الصدفي المصري، أخذ القراءة عرضًا عن موسى بن سهل – تلميذ الإمام يونس بن عبد الأعلى – ثم تصدر للإقراء، فسمع منه

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ14، ص 395، وكتابه: معرفة القراء الكبار، جـ1، ص 274، ابن الجزري : المصدر السابق، نفس الجزء، ص 165، السيوطي: حُسن المحاضرة، نفس الجزء، ص 420.

(2) الذهبي: نفس المصدر، جـ1، ص 66، ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، جـ1، ص 261، الزركلي: نفس المرجع، جـ2، ص 277، محمد محمد سالم محيسن: نفس المرجع، جـ1، ص 215.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ5، ص 218، ابن حبان: الثقات، جـ8، ص 346، القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ3، ص 228، الزركلي: الأعلام، جـ4، ص 144.

(4) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، جـ 4، ص23 وما بعدها.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 25، ص 324.

(6) ابن الجزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 57.

طلاب العلم ومن أشهرهم الإمام محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني[1].

ومنهم: طاهر بن علي بن عصمة الصدفي، أخذ القراءة عن أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري(295 – 381هـ/ 908 – 991 م). ثم صار طاهر إمام عصره في علم القراءات[2]، وأخذ عنه كثير من طلاب العلم، ومن أشهرهم : محمد بن محمد بن علي المروزي[3].

أما آخر مَنْ اشتغل من الصدفيين بعلم القراءات، فهو: عبد القادر الصدفي. قرأ على أحمد ابن سعيد بن أحمد بن نفيس (ت 453هـ/ 1061 م)؛ علامة عصره في علم القراءات، وإليه انتقلت رياسة الإقراء بمصر، وفاق قراء الأمصار في علو الإسناد[4].

للأسف الشديد لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن القارئ عبد القادر الصدفي، غير أنه تصدر الإقراء في مصر[5]، فأخذ عنه يحيى بن خلف بن نفيس، المشهور بأبي بكر الغرناطي، المعروف بابن مخلوف(466 – 541هـ/ 1073 – 1146 م)، والذي برع في علم القراءات، وفاق شيخه شهرة، ومن ثم فقد تصدر الإقراء بجامع قرطبة[6].

هؤلاء هم أشهر علماء القراءات في مصر من الصدفيين، لم ينل أحد منهم الشهرة الواسعة سوى الإمام يونس بن عبد الأعلى ؛ الذي لم يترك لنا مُصنَّفًا واحدًا نقف به على طريقته في التأليف، ولعله اكتفى بالتعليم.

وهكذا، يبدو لنا أن هذا الدور الذي قام به هؤلاء القراء جعل قراءة الإمام نافع هي أكثر القراءات استخدامًا بمصر، إذ نجد الرحالة المقدسي – في القرن الرابع الهجري – يقول:».... والقراءات السبع فيه(مصر) مستعملة، غير أن قراءة أبي عامر أقلها.... والغالب عليهم(على المصريين) والمختار عندهم قراءة نافع. وسمعتُ شيخًا في الجامع، يقول: ما قدم في هذا المحراب إمام قط إلا وهو يتفقّه لمالك[بن أنس] ويقرأ لنافع«[7].

(1) ابن الجزري : المصدر السابق، نفس الجزء، ص108.

(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار، جـ 1، ص 171، الزركلي: الأعلام، جـ1، ص 115.

(3) ابن الجزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص150.

(4) الذهبي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 208، وكتابه : العبر في خبر من غبر، جـ 1، ص 208، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 165.

(5) ابن الجزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص176 .

(6) ابن الآبار: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 2000 م، ص 132، الذهبي: معرفة القراء الكبار، جـ 1، ص 254، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 2، ص 153.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 203.

المبحث الثاني:
القراء والمفسرون التجيبيون
في مصر الإسلامية

كان القرآن الكريم أول ما يُبدأ به في طلب العلم، فبعد أن يحفظه الطالب جيدًا، يبدأ بعد ذلك في دراسة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وأولها: علم القراءات. وقد ساهم التجيبيون بنصيب وافر في هذا العلم، ويأتي في مقدمتهم : سُليم بن عُتر بن سلمة التجيبي(المتوفى في عام: 75هـ / 694 م). الذي اشتهر بكثرة العبادة، وقراءة القرآن الكريم، حتى قيل: «إنه كان يختمه في الليلة الواحدة ثلاث مرات»[1].

قال ابن كثير: «كان تابعيًا، جليلاً، ثقةً، نبيلاً»[2]. اشتهر سليم بحسن الصوت، وجمال الأداء، وجودة القراءة، فكان يؤم الناس في جامع عمرو بن العاص، وكان من عادته أن يجهر بالبسملة، وكان - غالبًا - ما يقرأ في الركعة الأولى من صلاة الصبح بسورة البقرة، وفي الركعة الثانية بسورة الإخلاص. وفي قيام شهر رمضان كان يسلم على رأس ركعتين، ويوتر بواحدة[3]. وقد حدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سجد في سورة الحج سجدتين، وقال: «إن هذه السورة فضلت بأن فيها سجدتين»[4].

على كل، يعد سليم بن عتر من أوائل التابعين الذين جلسوا لتعليم الناس أحكام القرآن الكريم في مسجد عمرو بن العاص، والذي سوف يأتي ثماره فيما بعد، وذلك بعد ظهور علم القراءات بمعناه الحقيقي.

ومن أشهر علماء قبيلة تجيب في علم القراءات، إسماعيل بن عبد الله التجيبي، المشهور بأبي الحسن النحاس . حفظ القرآن الكريم صغيرًا وجوده، وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الصمد ابن عبد الرحمن، وعبد القوي بن كمونة، وعمرو بن بشار بن سنان، وغيرهم.

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 2، ص 226.

(2) فضائل القرآن، ص 85.

(3) ابن حجر: رفع الإصر، ص 168.

(4) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 3، ص 413.

اشتهر ابن النحاس بقراءة ورش[1] (110 – 197هـ/ 728 – 812م)، فجودها، ومع ما اشتهر به من جمال الصوت، وحسن الأداء، فأقبل الطلاب عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، ومنهم: إبراهيم بن حمدان، وأحمد بن إسحاق الخياط، وأحمد بن عبد الله ابن هلال، ومحمد بن أحمد بن شنبوذ، ومحمد بن خيرون الأندلسي، وغيرهم. قال ابن الجزري: « كان ابن النحاس شيخ مصر، محققًا، ثقةً، كبيرًا، جليلاً »[2]، توفى سنة (283هـ/ 896 م) تقريبًا.

كذلك اشتهر أسامة بن أحمد بن أسامة، المعروف بأبي سلمة التجيبي، بالاشتغال بعلم القراءات، فأخذ القراءة عرضًا عن يونس بن عبد الأعلى الصدفي (170 – 264 ه / 787 – 877 م)، وأحمد بن يحيى بن وزير(171 ـ251هـ/ 787 – 865 م)، والحارث بن مسكين (154 – 250 ه / 771 – 864 م)، وغيرهم. سمع منه ابنه أحمد، وأبو القاسم الطبراني (260 – 360 ه/ 873 – 971 م)، وغيرهم . توفي في رمضان سنة(307 هـ/ 919 م)[3].

وممن أشتهر – أيضًا – بقراءة ورش، الشيخ عبد الله بن مالك بن عبد الله، المعروف بأبي بكر التجيبي المصري . أخذ قراءة ورش عرضًا على إمام زمانه في هذه القراءة، أبي يعقوب الأزرق(المتوفى في عام: 240هـ/ 854 م)، فجودها، حتى صار « شيخ الديار المصرية في زمانه، وانتهت إليه الإمامة في هذه القراءة» [4]. فقصده الطلاب للأخذ عنه، والسماع منه، ومنهم: إبراهيم بن محمد بن مروان، ومحمد بن عبد الرحمن الظهراوي(المتوفى في عام: 399هـ/ 1008 م)، ومحمد بن عبد الله بن القاسم الخرقي الأهوازي، وسعيد بن جابر الأندلسي، وغيرهم. توفي الإمام أبو بكر التجيبي يوم الجمعة آخر جمادى الآخرة في سنة (307 هـ/ 919 م) ودفن بالفسطاط[5].

ومن أشهرهم على الإطلاق، أحمد بن أسامة بن أحمد التجيبي، حفظ القرآن الكريم صغيرًا على يد أبيه، فكان أول شيوخه على الإطلاق. ثم أخذ القراءة عرضًا عن الشيخ إسماعيل بن عبد الله بن النحاس، وغيره.

---

(1) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ1، ص446، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 162.

(2) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ1، ص 72.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ23، ص 203، ابن ماكولا: الإكمال، جـ 4، ص 358.

(4) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ 1، ص 198، ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار، جـ5، ص 158 – 159.

(5) الذهبي: معرفة القراء الكبار، جـ 1، ص 112.

برع أحمد التجيبي في قراءة ورش[1]، وتميز بجمال الصوت، وحُسن الأداء، وعلو الإسناد، لذا كان يؤم الناس في مسجد عمرو بن العاص لفترة طويلة. فقصده طلاب هذا العلم من شتى أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، ومن أشهرهم: محمد بن الحسين بن محمد بن النعمان(329 – 378 هـ / 940 – 988 م) الأندلسي. قال ابن الجزري: «أخذ القراءة عرضًا عن أحمد بن أسامة التجيبي، ونزل الأندلس سنة (357هـ – 967 م)، وأقرأ الناس بها دهرًا، وكان خيرًا، فاضلاً، محمودًا، حسن الصوت، ذا حفظ للحروف(القراءات) ولعد الآي. توفى بقرطبة»[2]. كما أخذ عنه – أيضًا – الإمام خلف بن إبراهيم بن خاقان، المعروف بأبي القاسم المصري، تصدر لإقراء في عصره، وكان « ضابطًا لقراءة ورش، متقنًا لها، مجودًا، ومشهورًا بالفضل والنسك، واسع الرواية، صادق اللهجة»[3].

هكذا عاش الإمام أحمد بن أسامة التجيبي في خدمة القرآن الكريم، متعلمًا،عالمًا، يؤم الناس في الصلاة، ويقرئهم كتاب الله تعالى، ويصبر علي تعليمهم، ومن ثم فقد انتشر علمه في الآفاق حتى وصل إلى بلاد الأندلس. توفي سنة (402 هـ / 1011 م) ودفن بالقاهرة[4].

ومن القراء المغمورين في قراءة ورش، الشيخ محمد بن علي بن محمد التجيبي، كان غالب طلابه من بلاد المغرب والأندلس، ومن أشهرهم : أحمد بن محمد الأوريواني[5]. وللأسف، لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنه.

لم يقتصر دور القراء التجيبيون على الإقراء برواية ورش فقط، بل جوّد بعضهم قراءة نافع، ومن أشهرهم : الشيخ أحمد بن إسماعيل التجيبي، الذي تصدر الإقراء بهذه الرواية في مصر[6]، فرحل طلاب هذا العلم للأخذ عنه، والسماع منه، ومنهم : زكريا بن يحيى الأندلسي، الذي نجح في نشر هذه القراءة في بلاد الأندلس . قال أبو عمرو الداني: «كان مقرئًا، متصدرًا، ضابطًا، عرض على أحمد بن إسماعيل التجيبي، ولم يكن بالأندلس أضبط منه لقراءة نافع «[7].

(1) الذهبي : القراء الكبار، جـ 1، ص 143، السيوطي : حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 163.
(2) غاية النهاية، جـ 1، ص 16.
(3) الذهبي: القراء الكبار، جـ 1، ص 180.
(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 25، ص 255.
(5) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ 1، ص 53.
(6) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ 1، ص 16.
(7) ابن الجزري: غاية النهاية، جـ 1، ص129.

ولي في النهاية عدة ملاحظات، أجملها فيما يلي:

أولاً: أن علم القراءات قد احتل المركز الأول بين علوم القرآن الكريم التي اشتغل بها العلماء التجيبيون، فقد ظهر منهم (سبعة) من القراء . بعضهم حاز قصب السبق في هذا العلم، حتى رحل إليه الطلاب من أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه كالإمام أحمد بن أسامة التجيبي. والبعض الآخر عاش ومات مغمورًا، حتى لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيء عن تاريخ وفاته، كالإمام أحمد بن إسماعيل التجيبي.

ثانيًا: لم أعثر على أحد من التجيبيين قد اشتغل بعلم التفسير، سوى لمحة بسيطة عن الإمام سُليم بن عُتر التجيبي، وهي إشارة لا تغني من العلم شيئًا. ولعل شهرة الإمام في مجال القضاء قد طغت على شهرته في علم التفسير.

ثالثًا: أن معظم القراء التجيبيين قد برعوا في قراءة ورش، و واحد فقط هو الذي قرأ برواية نافع. وأظن أن هذا أمرٌ طبيعيٌ . خاصة إذا علمنا أن ورشًا القبطي كان قد رحل إلى الإمام نافع في المدينة المنورة وأخذ القراءة عنه عرضًا، ثم عاد إلى مصر وأقام فيها. ومن ثم فقد انتشرت قراءته في عموم القطر المصري.

رابعًا: أن القراء التجيبيين كان لهم أثرٌ كبيرٌ، وخيرٌ وفيرٌ في تعليم الناس علوم القرآن الكريم(علم القراءات) في العالم الإسلامي عامة، وفي مصر خاصة، وفي بلاد المغرب والأندلس على وجه أخص، فقد رحل طلاب العلم إليهم من كافة الأقاليم ليتعلموا منهم، و يأخذون القراءة عرضًا عنهم. وعندما عاد هؤلاء الطلاب إلى أوطانهم تصدروا الإقراء في هذه البلاد، وعن طريقهم دخلت قراءة ورش – وما زالت – إلي بلاد المغرب والأندلس.

خامسًا: مما يؤسف له أن هؤلاء القراء لم يتركوا لنا مُصَنَّفًا واحدًا في علم القراءات نقف به على طريقتهم في التأليف والعرض، ونقارن بين مصنفاتهم وباقي المصنفات الأخرى. ولعلهم قد اكتفوا بتعليم الناس كيفية قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وتلقين الطلاب هذه العلوم شفهيًا، حتى تصدر بعضهم الإقراء وصار شيخًا للديار المصرية في زمانه.

المبحث الثالث:
القراء والمفسرون المعافريون
في مصر الإسلامية

شهدت مصر في عصر الولاة [21 – 254هـ/ 641 – 868م] ازدهارًا ملحوظًا في ميادين العلوم الدينية. فقد تميز هذا العصر بظهور عدد من أعلام القراء – من أبناء المعافر – الذين كان لهم نشاط مرموق في هذا المجال. وكان على رأس عُبيْد بن مُخَمر، أبو أمية المعافري، وهو أحد الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر[1]، وقد كان أول شخصية علمت القرآن الكريم بمصر، وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته. وأما عتبة بن عمرو المعافري المصري: فكان أحد القُراء بمصر، وممن يُرجع إلى رأيه في علم القراءات. كان رجلاً صالحًا. روى عنه أبو قُبيل المعافري[2].

وبعد أن سقطت الدولة الأموية في سنة(132هـ/ 749م)، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية التي امتد حكمها خمسة قرون. وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى عصرين متميزين، العصر العباسي الأول، وقد استمر مائة عام (132 – 232هـ/ 749 – 847م)، وتميزت فيه الدولة العباسية بالقوة، وكانت حكومة بغداد حكومة مركزية، والخليفة يحكم دولته حكمًا مطلقًا. أما العصر العباسي الثاني(232 – 656هـ/ 847 – 1258م)، فمن أهم مميزاته أن الخليفة العباسي لم يعد صاحب السلطة المطلقة، بل انقسمت الدولة إلى دول مستقلة تخضع للخليفة العباسي خضوعًا اسميًا.

وفي هذا العصر استفحل نفوذ الأتراك، واستبدوا بالسلطة دون الخلفاء العباسيين. وفي تلك الفترة كان الخلفاء يولون حكم مصر لبعض الأتراك، لكن هؤلاء كانوا لا

---

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ1، ص 312، ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ2، ص 235، المقريزي: الخطط، جـ3، ص 68، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 218.

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 111، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص335.

يفضلون الابتعاد عن بغداد، خشية إبعادهم عن مسرح الأحداث السياسية، ويكتفون بإرسال مَنْ ينوب عنهم في حكم مصر. ومن هؤلاء النواب الذين قدموا إلى مصر سنة(254هـ/ 868م) أحمد بن طولون، الذي نجح في تأسيس أول دولة مستقلة في مصر، والتي حكمت مصر ثمانية وثلاثين عامًا (254 – 292هـ/ 868 – 905م)، انتعشت فيها البلاد، وانتشر في ربوعها الأمن والاستقرار والرخاء، وازدهرت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

وقد نبغ في عهد هذه الدولة عدد كبير من القراء المعافريين، من أشهرهم: مواس بن سهل، أبو القاسم المعافري المصري: مقرئ، مشهور، ثقة. أخذ القراءة عرضًا عن الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي(170 – 264هـ/ 787 – 877 م)، وداود ابن أبي طيبة. روى القراءة عنه عرضًا محمد بن إبراهيم الأهناسي، وعبد الله بن أحمد البلخي، ومحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني. قال ابن الجزري: «كان ثقة، ضابطًا، مشهورًا في مشيخة المصريين لم يكن في طبقته مثله»[1]. كان شيخه الإمام يونس بن عبد الأعلى يثني عليه، ويقدمه على أقرانه. قال أبو بكر الأصبهاني: «سار جماعة[من القراء] إلى يونس بن عبد الأعلى[الصدفي] وأنا حاضرهم. فسألوه أن يقرئهم القرآن[الكريم] على قراءة نافع، فامتنع. وقال: أحضروا مواسًا ليقرأ فاستمعوا قراءته عليه»[2]. وهذه شهادة لها ثقلها خاصة وهي صادرة من إمام كبير فقيه مثل يونس بن عبد الأعلى الصدفي. ولكن مما يؤسف له أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا سنة وفاة مواس المعافري، ولكن يبدو أنه عاش ومات في ظل الدولة الطولونية.

استمر المعافريون في تعليم المصريين علم القراءات، حتى قامت الدولة الإخشيدية في مصر(323 – 358هـ/ 935 – 969م)؛ والتي تنسب إلى محمد بن طغج الإخشيد، من أولاد ملوك فرغانة في بلاد ما وار النهر. اتصل محمد بن طغج بخدمة أبي منصور تكين والي مصر، وشاركه في قتال الفاطميين أثناء المحاولات التي قاموا بها لفتح مصر، وأبدى شجاعة في الحروب التي خاضها ضدهم، واستطاع بذلك أن يحوز ثقة الخلافة العباسية وتقديرها، فكافأه الخليفة الراضي بأن ولاه حكم مصر سنة(323هـ/ 935م)، وبذلك قامت الدولة الإخشيدية التي قدر لها أن تحكم مصر نحو أربعة وثلاثين عامًا.

ومن أشهر علماء القراءات الذين ظهروا خلال هذه الدولة، محمد بن عبد الله

---

(1) غاية النهاية، جـ1، ص 416.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ20، ص476.

المعافري، أبو بكر المصري المقرئ: أخذ القراءات عرضًا عن أبي بكر محمد بن حميد بن القباب[1]. كان مجودًا معروفًا بارعًا في قراءة ورش. أخذ عنه القراءة عرضًا كثيرون، يأتي في مقدمتهم؛ خلف بن إبراهيم بن خاقان[ت 402هـ / 1011م][2] والذي أخذ عنه خمس عشرة ختمة[3]. توفي بمصر في عام [357هـ/ 967م][4]، أي قبل الفتح الفاطمي لمصر بعام واحد.

ومن أقدم مَنْ اشتغل بعلم التفسير من المعافريين في عصر الولاة، حيي بن هانئ بن ناضر، أبو قُبْيل المعافري المصري(ت128هـ / 746م): نشأ باليمن، و كان صغيرًا يوم مقتل عثمان بن عفان ﷺ [35هـ/ 656م]، ثم قدم إلى مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان[41 – 60هـ/ 661 – 680م] [5]، وشارك في غزو جزيرة رودس[6] مع جنادة بن أبى أمية، وفي فتح بلاد المغرب مع حسان بن النعمان[7]، ثم استقر بمصر. و روى عن جمع كبير من الصحابة، منهم: حنظلة بن صفوان[8]، وحى بن عامر الزيادي، وأبى عشانة حيي بن يومن المعافري[9]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[10]، وعبادة بن الصامت، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وعمرو بن العاص ﷺ وآخرين[11]. روى عنه خلق كثير، منهم: أسود بن خير المعافري، وبكر بن مضر، وحرملة بن عمران التجيبي، وخُنَيس بن عامر المعافري، وضمام بن إسماعيل، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، ومالك بن خير الزيادي، ويحيى بن أيوب، ويزيد بن أبى حبيب، المصريون، وغيرهم[12].

---

(1) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ص33، ابن الجزري: غاية النهاية، جـ1، ص 360.

(2) الذهبي: المصدر السابق، جـ1، ص22.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ6، ص 134.

(4) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص489.

(5) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 252 وجـ5، ص 333، الذهبي: المصدر السابق، جـ8، ص324.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص 78، البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، جـ 2، ص 683.

(7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5، ص 214، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ4، ص340.

(8) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار في أعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على، الطبعة الأولى، مصر، دار الوفاء،1991 م، ص 194، ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ2، ص 68، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 98.

(9) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ2، ص 397، الذهبي: العبر في خبر مَنْ غبر، جـ1، ص 30، ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص201.

(10) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ7، ص 512، البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 75، المزي: تهذيب الكمال، جـ7، ص 490.

(11) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 624، وكتابه: الكاشف، جـ1، ص 360.

(12) ابن الجوزي: المنتظم، جـ2، ص 425، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، جـ1، مصر، دار هجر، 1992م، ص 23، العيني: مغاني الأخيار، جـ1، ص 267.

المرويات التفسيرية عند أبي قبيل:

حفظت لنا كتب تفاسير القرآن الكريم مجموعة لا بأس بها من روايات أبي قبيل في تفسير بعض آيات من كتاب الله تعالى، وهي كالتالي:

في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾. [النساء: 47 – 48] قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل، عن عبد الله بن ناشر من بني سريع قال: سمعت أبا رهم قاص أهل الشام يقول: سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم إليهم، فقال لهم: «إن ربكم، عز وجل، خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوًا بغير حساب، وبين الخبيئة عنده لأمتي». فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، أيخبأ ذلك ربك؟ فدخل رسول الله ﷺ ثم خرج وهو يكبر، فقال: «إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده» قال أبو رهم: يا أبا أيوب، وما تظن خبيئة رسول الله ﷺ ؟ فأكله الناس بأفواههم فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله ﷺ ؟! فقال أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم، أخبركم عن خبيئة رسول الله ﷺ كما أظن، بل كالمستيقن. إن خبيئة رسول الله ﷺ أن يقول: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه أدخله الجنة»[1] .

وقال تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾. [مريم: 59 – 60] قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو [السمح] التميمي، عن أبي قبيل، أنه سمع عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أخاف على أمتي اثنتين: القرآن [واللبن، أما اللبن] فيتبعون الرّيف، ويتبعون الشهوات ويتركون الصلوات، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون، فيجادلون به المؤمنين»[2].

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ2، ص 328، أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تعليق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، جـ5، دولة لبنان، مؤسسة الرسالة،2001 م، ص 413.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، جـ5، ص 245، والمراد باللبن كما قال الحربي: «أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعة، ويطلبون مواضع اللبن في المراعي والبوادي». أحمد بن حنبل: المصدر السابق، جـ4، ص 146 ـ156 .

وقال تعالى:﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. [الزمر: 56 58-] قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قُبيل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المري يقول: سمعت ثوبان - مولى رسول الله ﷺ - يقول: سمعت رسول الله ﷺيقول: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[الزمر:53] إلى آخر الآية، فقال رجل: يا رسول الله، فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال: «ألا ومن أشرك» ثلاث مرات[1].

وقال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.[الشورى : 7 - 8] قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا لَيْث، حدثني أبو قبيل المعافري، عن شُفَيّ الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: « أتدرون ما هذان الكتابان؟» قال: قلنا: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله ﷺ قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم -لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» ثم قال للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم -لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذًا نعمل إن كان هذا أمر قد فُرِغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة، وإن عَمِلَ أي عَمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل النار، وإن عمل أي عمل» ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: « فرغ ربكم عز وجل من العباد» ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: «فريق في الجنة»، ونبذ باليسرى فقال: «فريق في السعير»[2].

وقال تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ

---

(1) ابن كثير: المصدر السابق، جـ7، ص 106، أحمد بن حنبل: المصدر السابق، جـ4، ص385.

(2) أحمد بن حنبل: المصدر السابق، جـ2، ص167، ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثالثة، جـ12، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز،1998م، ص196، الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، جـ12، ص40، البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ7، ص 185، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، جـ13، مصر، دار الكتب المصرية،1964 م، ص237، ابن كثير: المصدر السابق، جـ7، ص 191، الترمذي: سنن الترمذي، حديث رقم :(2141)، النسائي: السنن الكبرى، حديث رقم:(11473).

رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة :13ـ18] . قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو السمح البصري، حدثنا أبو قُبْيل حُيَي بن هانئ: أنه سمع عبد الله بن عمرو ﷺ يقول: حملة العرش ثمانية، ما بين مُوق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام[1].

وقال تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل: 82] قِيلَ : مِنْ أَرْض الطَّائِف . قَالَ أَبُو قَبِيل : ضَرَبَ عَبْد الله بْن عَمْرو ﷺ أَرْض الطَّائِف بِرِجْلِهِ وَقَالَ : مِنْ هُنَا تَخْرُج الدَّابَّة الَّتِي تُكَلِّم النَّاس[2].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[غافر:70]، قَالَ أَبُو قَبِيل : «لَا أَحْسِب الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ إِلَّا الَّذِينَ يُجَادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا»[3].

ولي في النهاية ملاحظتان:

أولهما: أن المعافريين كان لهم دورٌ كبيرٌ في إثراء علوم القرآن الكريم في مصر، فقد أسهمت قبيلة المعافر بأربعة من القراء الكبار، ويكفيهم شرفًا أن أول مَنْ أقرأ القرآن الكريم بمصر كان منهم.

ثانيهما: أن المعافريين كان لهم دورٌ بارزٌ في علم التفسير، وقد حفظت لنا تفاسير القرآن الكريم بكثيرٍ من النصوص تحمل بصمات واضحة للإمام أبي قُبيل المعافري، تحتاج لأحد الباحثين ليبحث عنها وينسقها ويخرجها لنا بعنوان « تفسير أبي قُبيل المعافري»، وهذا أقرب إلى عمل المفسرين منه إلى عمل المؤرخين.

وأخيرًا، مما يؤسف له أنني لم أعثر على أحد من أبناء قبيلة غافق قد اشتغل بعلوم القرآن الكريم، فلم يظهر منهم أحد من القراء أو المفسرين، ولعلهم أكتفوا بدراسة بعض العلوم الأخرى كعلم الحديث والفقه، وهو ما سيتضح الكلام عنه خلال الصفحات التالية.

---

(1) ابن كثير: المصدر السابق، جـ8، ص 212.

(2) القرطبي: المصدر السابق، جـ16، ص 213.

(3) القرطبي: المصدر السابق، جـ18، ص 381.

الفصل الثالث:
الحديث والمُحَدِّثون في مصر الإسلامية.

- التمهيد:
- المبحث الأول: المُحَدِّثون الصدفيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثاني: المُحَدِّثون التجيبيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثالث: المُحَدِّثون المعافريون في مصر الإسلامية.
- المبحث الرابع: المُحَدِّثون الغافقيون في مصر الإسلامية.

التمهيد :

عرَّف العلماء علم الحديث بأنه : «كل ما ورد عن الرسول (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير»[1]. وبعد عصر الرسول (ﷺ) ضُم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم، فهم الذين عاشروا الرسول (ﷺ) وسمعوا منه، وشاهدوا أعماله، ثم حدثوا بما رأوا وبما سمعوا . ثم جاء التابعون فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا . فكان من الأخبار عن رسول الله وأصحابه ما عرف باسم « الحديث»[2].

ولست هنا بصدد الكلام عن قصة تدوين الحديث[3]، والذي يهمني هنا أن أُذكر إن علم الحديث كان له أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي، حيث أقبل الناس عليه يتدارسونه، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه. حيث رحل طلاب العلم إليه من أقصى الدولة الإسلامية، وطوفوا ببلدان العالم الإسلامي، يأخذون عن علمائهم ومشايخهم . ولا تكاد تقرأ ترجمة أحد من المحدثين إلا وتجد فيها جزءًا كبيرًا من حياته يتضمن رحلته العلمية. ولا غرابة في ذلك، فلم يكن الرواة في تاريخ الثقافة الإسلامية بالعدد القليل، فإنهم يزيدون على ستين بالمائة من رجال العلم والفكر. وأستطيع القول: أنا لا نكاد نجد « عالمًا» لم يشارك من قريب أو بعيد في حمل الحديث وروايته، فقد كان ذلك فخرًا علميًا لا يهمله إلا الأقلون، وكان لقب» الحافظ» من أجل الألقاب التي يحملها عالم.

يضاف إلى ذلك، أن الحديث كان له أثر كبير على أنواع الثقافة الإسلامية – فعلى

---

(1) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، الطبعة الأولى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،2004م، ص 8 .

(2) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 208 .

(3) انظر على سبيل المثال: د . فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي وآخرون، الطبعة الأولى، م 1، جـ 1، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود،1991م، ص 165 وما بعدها. مصطفى حسني السباعي: السُّنة ومكانتها في التشريع، الطبعة الثالثة، دولة لبنان، المكتب الإسلامي، 1982م، ص 103 وما بعدها. د. محمد محمد أبو شهبة: دفاع عن السُّنة ورد شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة السُّنة، 1989م، ص 201. د . عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: السُّنَّة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الاعتصام، 1989م، ص 93 وما بعدها. سالم البهنساوي: السُّنَّة المفترى عليها، الطبعة الثالثة، مصر، دار الوفاء،[بدون – تاريخ]، ص 49.

سبيل المثال – نجد التاريخ الإسلامي، قد خرج من علم حديث، ثم تطور إلى أن صار علمًا قائمًا بنفسه. كما كان للحديث أثر كبير في التشريع، لأنه منبع استقصاء الدليل، بعد القرآن الكريم في العبادات، والمسائل المدنية والجنائية[1] وغير ذلك. وعلى ذلك، فقد كان الحديث أوسع مادة للعلم والثقافة والتشريع عند المسلمين.

ويمثل القرنين الثالث والرابع الهجريين عصرًا ذهبيًا في تاريخ علم الحديث، فقد ظهر كبار أئمة الحديث، وظهرت فيه أشهر كتب الحديث؛ كصحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم ابن الحجاج، وغيرها من كتب السنن[2].

(1) أحمد أمين : ضحى الإسلام، الطبعة الأولى، جـ2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2002م، ص107 وما بعدها.

(2) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 185.

المبحث الأول:
المُحَدِّثون الصدفيون في مصر الإسلامية

نزل كثير من صحابة النبي(ﷺ) بمصر، فالتف الناس حولهم يتعلمون منهم أمور دينهم، وأنشأ كل واحد منهم حلقة علمية كان هو عمادها، ثم صار لهم تلاميذ ينقلون عنهم هذا العلم، وعنهم أخذ التابعون ثم مَنْ جاء بعدهم.

ومن أقدم الصحابة الذين نزلوا مصر من قبيلة الصدف، الصحابي قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي، صحب النبي(ﷺ)، وشهد فتح مصر[1].

ومنهم: مالك بن ناعمة الصدفي، الذي كان له دورٌ كبيرٌ في إتمام عملية الفتح الإسلامي لمصر، كما ساهم في الحركة العلمية، فقد روى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص[2].

ومنهم: جاحل الصدفي، من الصحابة الذين سكنوا مصر، وكانت له خِطة عرفت باسمه في مدينة الفسطاط[3].

ومنهم : كثير بن قليب الصدفي الأعرج، شهد فتح مصر، وسمع عقبة بن عامر الجهني(ت58 هـ / 678 م)، وأبي فاطمة السدوسي[4]، روى عنه: الحارث بن يزيد الحضرمي. وخرج له النسائي، وأبو داود، وابن ماجه[5].

واشتهر جابر بن ماجد الصدفي برواية الحديث، وقد اعتمد عليه عبد الله بن لهيعة

---

(1) ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ 2، ص 405، ابن حجر: الإصابة، جـ 2، ص453، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص227.

(2) الرازي: الجرح والتعديل، جـ8، ص 217.

(3) أبو نُعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، جـ2، ص 641، ابن الأثير: أسد الغابة، جـ 1، ص 164، ابن حجر: الإصابة، جـ 1، ص 145، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 184.

(4) المزي: تهذيب الكمال، جـ 24، ص146، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ 1، ص 809.

(5) الذهبي: الكاشف، جـ2، ص 146، وانظر على سبيل المثال: أبي داود: السنن،جـ2، ص 309، حديث رقم (570)،جـ4، ص 409، حديث رقم (1097)، جـ4، ص 103، حديث رقم (1136).النسائي: السنن، جـ3، ص86حديث رقم(681)، جـ3، ص 318، حديث رقم (810)، جـ 3، ص 488،حديث رقم(914). ابن ماجه: السنن،جـ1، ص 161،حديث رقم(138)، جـ 5، ص 403، حديث رقم(1811).

(97 – 174 هـ/ 715 – 790 م) في بعض رواياته[1]، و روى عنه ابنه قيس بن جابر.

ومنهم: أُسيد بن هدية بن الحارث الصدفي، شهد فتح مصر. روى عن عقبة بن عامر، وروى عنه ابنه يزيد[2].

ومنهم: ربيعة بن يورا الصدفي، شهد فتح مصر، روى الحديث عن فضالة بن عبيد الأنصاري(ت 53 هـ/ 673 م)، روى عنه عبد الله بن مسروح[3]، قال البخاري: «يعد من المصريين»[4].

ومنهم: هانئ بن معاوية الصدفي، شهد فتح مصر، وحدث بها، وأشهر مَنْ روى عنه البراء ابن عثمان الأنصاري[5]. روى له الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[6].

هؤلاء معظم الصحابة من الصدفيين الذين استقروا في مصر، وكانوا نواة للحركة العلمية التي نشأت بها، ثم جاء من بعدهم طبقة التابعين الذين سمعوا منهم، ورووا عنهم وكان معظمهم من أبنائهم أو أحفادهم، ومن أشهرهم:

عمران بن ربيعة بن حبيش الصدفي، ابن الصحابي الفاتح ربيعة بن حبيش. روى عمران عن عمرو بن الشريد، وسمع منه عبد الله بن لهيعة[7].

ومن التابعين الصدفيين أيضًا، عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي، كان أبوه من أكابر علماء مصر[8]، وقد روى عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن النبي(ﷺ). روى عنه عبد الله ابن لهيعة[9].

---

(1) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 2، ص 494، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 183، د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثالثة، جـ2، دولة لبنان، دار العلم للملايين، 1983م، ص 150.

(2) ابن ماكولا: الإكمال جـ 1، ص 14.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 3، ص 475، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 230، ابن حجر: تبصير المنتبه وتحرير المشتبه، جـ 1، ص341.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 282.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 466، ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص 207.

(6) الحسيني: الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال، الطبعة الأولى، جـ1، دولة باكستان، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، [بدون – تاريخ]، ص 445، وانظر: المسند، حديث رقم (16606).

(7) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار القادري، 1997م، ص 186، السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 528.

(8) السخاوي: تحفة الأحباب، ص 222.

(9) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 5، ص 577.

ومنهم: محمد بن مسلم، حفيد الصحابي جاحل الصدفي، روى عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ). روى عنه شراحيل بن يزيد المعافري[1].

ثم ظهر جيل جديد من الصدفيين، ليسوا من أبناء الصحابة الذين شهدوا فتح مصر ولعلهم من أبناء وأحفاد الصدفيين الذين نزحوا إلى مصر بعد إتمام عملية الفتح، وبمرور الوقت صار لهم باع طويل في رواية الحديث، ومنهم:

وفاء بن شريح الصدفي (ت 90هـ / 708م) حدث عن رويفع بن ثابت الأنصاري(ت56هـ / 676 م)، والمستورد بن شداد بن عمرو القرشي(ت 45هـ / 665 م)، وسهل بن سعد الساعدي(ت 91 هـ/ 710 م)، والمستورد بن ثابت الأنصاري[2]، وغيرهم. روى عنه من أهل مصر، بكر بن سوادة الجذامي المصري(ت 128هـ / 746 م)، وزياد بن نعيم[3]، وغيرهم. وقد وثقه علماء الجرح والتعديل، وروى له أصحاب السنن[4].

ومن أشهرهم، فضيل بن عياض المتهلل الصدفي (ت 120هـ/ 738 م)، حدث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف(ت 63هـ/ 683 م). روى عنه موسى بن أيوب الغافقي، وحيوة بن شريح(ت 158هـ / 775 م)[5]، وغيرهم.

ومن كبار التابعيين الصدفيين بمصر، عبد الرحمن بن ميمون الصدفي(ت 143هـ / 760 م) سمع سهل بن معاذ، وعلي بن رباح، وغيرهم. حدث بمصر وسمع منه أعلامها من أمثال : سعيد بن أبي أيوب، ونافع بن يزيد، وعبد الله بن لهيعة[6]، وغيرهم.

ومن المحدثين الصدفيين، سيار بن عبد الرحمن الصدفي، روى عن يزيد بن قوذر المصري[7]، وعكرمة مولى ابن عباس(25 – 105هـ / 635 – 723 م)، وبكير بن عبد

---

(1) الرازي: المصدر السابق، جـ 8، ص 79.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 8، ص 191، ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 124، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 6، 219.

(3) الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ 27، ص 260، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 271.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ9، ص 49، ابن حبان : الثقات، جـ 5، ص 497، أبو داود: السنن، جـ 2، ص 493، حديث رقم (707)، ابن حبان: الصحيح، جـ 4، ص 13، حديث رقم (761)، الطبراني: المعجم الكبير، جـ 4، ص 400، حديث رقم (4354).

(5) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، جـ 2، ص 58، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ3، ص 267.

(6) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 5، ص 351، ابن حبان : الثقات، جـ 5، 106، السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 221، وكتابه: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: أسعد طربزوني، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية،1993م، ص 434.

(7) البخاري: المصدر السابق، جـ 8، ص 353.

الله ابن الأشج (ت 122هـ/ 740 م)، ونبيه بن صواب المهري[1]، وغيرهم. وثقه ابن حبان، وأبو حاتم الرازي، وروى له أصحاب السنن[2]، وأخذ عنه كثير من أعلام المدرسة المصرية، من أمثال: سعيد بن أيوب، والليث بن سعد (94ـ 175هـ/ 713 - 791 م)، ونافع بن يزيد، وعبد الله بن لهيعة(97 - 174هـ/ 715 - 790 م)، ويزيد بن أبي يزيد الخولاني، وغيرهم. وعلى الرغم من شهرة سيار بن عبد الرحمن الصدفي، غير أن المصادر التاريخية صمتت عن تاريخ وفاته فلم تذكر لنا شيئًا عنه.

ومنهم: محمد بن هدبة الصدفي، سمع عبد الله بن عمرو بن العاص[3]. روى عنه شراحيل بن يزيد المعافري[4]. وثقه علماء الجرح و التعديل[5]، وروى له الإمام البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد»[6].

ومنهم: محمد بن داود الصدفي(ت 297هـ/ 910 م)، روى عن أحمد بن سعيد الفهري، ومحمد بن رمح، وعبدالرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/ 871 م)[7]، وغيرهم. روى له الطبراني في معاجمه الثلاث : الكبير، والأوسط، والصغير[8].

ومن أشهر المحدثين الصدفيين في مصر، العلامة المحدث محمد بن المثنى الصدفي، شيخ الإمام مسلم بن الحجاج(204 - 261هـ/ 820 - 875 م)، كان إمامًا عظيم الشأن، جليل القدر، « لم يُر أحفظ منه لحديث رسول الله(ﷺ)، ولا أكثر زهدًا منه»[9] كما قال السخاوي.

ومنهم: أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن عاصم، أبو بكر الصَّدفيّ المصريُّ العَطَّار(

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 8، ص 126، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 268.

(2) الجرح والتعديل، جـ4، ص 256، الثقات: جـ 6، ص 421، أبو داود : السنن، جـ4، ص 413، حديث رقم(1371)، ابن ماجه: السنن، جـ5، ص411، حديث رقم (1817)، الدارقطني: السنن، جـ 5، ص 327، حديث رقم (2090).

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 1، ص 257، ابن ماكولا: الإكمال، جـ 7، ص 312، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 262.

(4) الدارقطني: المؤتَلِف والمختَلِف، الطبعة الأولى، جـ4، دولة لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص 145، ابن حجر: لسان الميزان، جـ 7، ص 378.

(5) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 8، ص 115، ابن حبان : الثقات، جـ 5، ص 381، الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ 4، ص 58.

(6) ص 118، حديث رقم (270).

(7) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ - 2001م، جـ 5، ص 265، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 645.

(8) انظر على سبيل المثال: المعجم الكبير، جـ11، ص 392، حديث رقم (923)، المعجم الأوسط: جـ14، ص 265، حديث رقم(6687)، المعجم الصغير: جـ 3، ص 129، حديث رقم (989).

(9) تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 222.

ت 337هـ / 948 م) حدث عن عمران بن الخطاب التَّنيسي، رحل إلى دمشق وسمع بها عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان، المكني بأبي زرعة الدمشقي(ت 280 هـ/ 893 م)، ويحيى بن عثمان بن صالح. ثم دخل بغداد وسمع عبد الله بن أحمد بن حنبل(213 – 290 هـ/ 828 – 903 م) وغيره.

عاد الصدفي إلى مصر بغير الوجه الذي ذهب به، عاد عالمًا كبيرًا، رفيع المكانة، جليل القدر. فكان من الطبيعي أن يلتف الطلاب حوله ينهلون من علمه، ومن أشهرهم: الحسن بن إسماعيل الضراب(313 – 392 هـ/ 925 – 1002 م)، والقاسم بن عبيد الله الوراق، وعبد الرحمن بن عمر النّحّاس، ونصر ابن أبي نصر الطوسي[1]، وغيرهم.

ومن المحدثين الصدفيين: أحمد بن الحارث بن قتادة الصدفي، حدث عن عبد الله بن واهب(125 – 197 هـ/ 743ـ 813 م)، ويحيى بن حسان التَّنيسي(144ـ 208 هـ/ 761 – 823 م)، وغيرهما. روى عنه بعض أهل العلم ومن أشهرهم جبلة بن محمد الصدفي[2].

ومن الصدف كذلك، جبلة بن محمد بن كريز الصدفي(ت 326هـ/ 938 م) حدث عن يونس بن عبد الأعلى، ويحيى بن يزيد بن ضماد، وعيسى بن إبراهيم بن مثرود، وغيرهم. قال ابن يونس: «سمعنا منه، وكان صدوقًا»[3].

ومنهم: عبد الله بن حبان بن يوسف الصدفي، كان جليسًا لعبد الله بن عمرو بن العاص أثناء إقامته بمصر وروى عنه[4].

ومنهم: محمد بن عبد الصمد بن هشام، أبوبكر الصدفي(ت 319هـ/ 931 م)، سمع بمصر عبد الرحمن بن خالد بن نُجيح، ومحمد بن عبد الله بن عمران الجيزي، وغيرهما. روى عنه: الحسن بن رشيق العسكري(282 – 370 هـ/ 895 – 980 م)، وأبو عمر بن محمد ابن يوسف الكندي(283 – بعد 355 هـ/ 896 – بعد 966 م)[5].

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ 4، ص 186، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 1، ص 319، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 25، ص 144.

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 459.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ 5، ص 63، ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ 4، ص 154، الذهبي: المصدر السابق، جـ 24، ص 189.

(4) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، جـ 2، ص 58، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 8، ص 268.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 6، ص 78.

ومنهم: محمد بن إدريس بن الأسود، أبو عبد الله الصدفي السمسار، سمع يونس بن عبد الأعلى، وبحر بن نصر. سمع منه أبو بكر ابن المقرئ، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، وأحمد بن محمد بن الأعرابي. توفي الصدفي يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأخرة سنة(390هـ/ 1000 م)[1].

ومنهم: محمد بن الحسن بن خالد، أبو بكر الصدفي الوراق، روى عن محمد بن محمد بن بدر الباهلي، وعلى بن الحسن بن قديد، توفي في ذي القعدة (232هـ/ 847 م)[2].

ومنهم: محمد بن داود بن عثمان بن سعيد، أبو عبد الله الصدفي، روى عن أبي شريك يحيى بن يزيد المرادي(ت 246هـ/ 860 م)، ومحمد بن رمح، وغيرهما. روى عنه حمزة الكتاني، وسليمان بن أحمد الطبراني(260 - 360 هـ/ 873 - 971 م)[3]، وغيرهما.

الأُسر العلمية من المحدثين الصدفيين:

إلى جانب الأعلام السابقين، ظهرت عائلات من الصدفيين اشتغل أبنائها بعلم الحديث على مدى عقود طويلة، ومن أشهرهم:

أولًا: أُسرة بنو هلال الصدفي:

رُزِق هلال بثلاثة من الأولاد اشتغل كل منهم بعلم الحديث. الأول: سعيد بن أبي هلال، ولد في مصر سنة(70هـ/ 689م)، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، وعندما بلغ مرحلة الصبا رحل إلى المدينة المنورة للأخذ عن علمائها، فسمع أنس بن مالك (10 ق هـ - 93 هـ/ 612 - 712 م)، ونافع مولى ابن عمر (ت 169 ه/ 785 م)، وجعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن (ت 136 ه/ 753 م)([4])، وزيد بن أسلم العدوي (ت 136 هـ/ 753 م)، وأبا حازم سلمة بن دينار المخزومي(ت 140 هـ/ 757 م)، وغيرهم[5].

ومن المدينة المنورة رحل سعيد إلى بلاد الشام للأخذ عن علمائها، فسمع قتادة

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 23، ص 259، المقريزي: المصدر السابق، جـ 5، ص 419.

(2) الذهبي: المصدر السابق، جـ 26، ص 382، المقريزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 538.

(3) الذهبي: المصدر السابق، جـ22، ص 267.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 3، ص 519، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 4، ص 83.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 6، ص 303، السخاوي: التحفة اللطيفة، جـ 1، ص 273.

بن دعامة السدوسي (61 – 118 هـ/ 680 – 737 م)، ومحمد بن شهاب الزهري(58 – 124 هـ/ 678 – 742 م)، ومحمد بن المنكدر(54 – 130 هـ/ 674 – 748 م)، وهشام بن عروة بن الزبير(61 – 146 هـ/ 680 – 763 م)، وأبي بكر محمد بن حزم[1]، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

عاد سعيد إلى مصر بعد رحلته الطويلة في طلب العلم، فالتف الطلاب حوله، ينهلون من علمه، ويتعلمون من سمته وورعه، فروى عنه خالد بن يزيد المصري، وعمرو بن الحارث بن يعقوب(90 – 137 هـ/ 708 – 764 م)، وهشام بن سعد، ويحيى بن أيوب، وغيرهم.

أختلف العلماء حول سعيد ما بين موثق ومجرح، فقد طعن الإمام أحمد بن حنبل في روايته، وقال: إنه يخلط. على حين وثقة باقي الأئمة من أمثال: أبي حاتم الرازي، وابن حبان، والإمام البخاري، والذهبي، وابن حجر. وإن كنتُ أرى أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، فهو ثقةً، ثبتًا، حافظًا[2].

وعلى كل، فقد أحب سعيد مصر فكان كثير الثناء لها، مادحًا إياها بأعذب الألفاظ ؛ فمن أقواله: «مصر أم البلاد، وغوث العباد، مصورة في الكتب القديمة، وسائر المدن مادة أيديها إليها تطلب منها الطعام»[3].

هذا، وعلى الرغم من شهرة سعيد بن أبي هلال الصدفي، فأني لم أر اختلاف المؤرخين[4] في شيء اختلافهم في سنة وفاته. فقيل : إنه توفي سنة 133هـ/ 751م، أو134هـ/ 751م،أو135هـ/ 752م، أو 136هـ/ 753م،أو149هـ/ 756م. ولم اهتد إلى تاريخ تطمئن إليه النفس.

أما الابن الثاني لأبي هلال الصدفي، فهو عيسى: كان من المحدثين المصريين. سمع

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 8، ص 439، العيني: مغاني الأخيار، جـ 1، ص 434.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ 7، ص 514، العجلي: معرفة الثقات، جـ1، ص 405، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 4، ص 71، ابن حبان : الثقات، جـ 6، ص 374، الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ2، ص 162.

(3) الكندي: فضائل مصر المحروسة، ص 6.

(4) الذهبي: العبر في خبر مَن غبر، جـ 1، ص 33، الصفدي: الوافي بالوفيات،جـ 15، ص 168، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 274، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، جـ2، دولة سوريا، دار ابن كثير، 1985م، ص151.

عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان من أشد تلامذته قُربًا له[1]، فانتفع بعلمه وصار من كبار المحدثين في مصر، وإليه رحل طلاب العلم للسماع منه، ومن أشهرهم: كعب بن علقمة، وعياش بن عباس، وعبد الملك بن عبد الله التُجيبي[2]، وغيرهم.

أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيق عيسى بن أبي هلال[3]، مما جعل الأئمة كالبخاري والترمذي والنسائي يروون له في كتبهم[4].

أما الابن الثالث والأخير لهلال الصدفي، فهو عباس: الذي أشتهر برواية الحديث، فسمع عبد الله بن عمرو بن العاص، وعُرف بالعلم والصلاح والتقوى، قال السخاوي: «ولم يُر أسرع جوابًا منه إذا سُئل بغير تروٍ»[5].

ثانيًا: أُسرة بنو هدية الصدفي:

ومن عائلات الصدفيين التي اشتهرت برواية الحديث على مدى ثلاثة عقود في مصر، عائلة الصحابي أسيد بن هدية الصدفي، فقد روى عنه ابنه يزيد، واشتهر حفيده خالد برواية الحديث عن أبيه عن جده، روى عنه حيوة بن شريح، وخالد بن حميد[6].

كما أشتغل بعلم الحديث؛ عبد السلام بن خالد بن يزيد بن أسيد بن هدية الصدفي (ت 166ه/ 783م) فقد روى عن أبيه، وعنه أخذ ابنه خالد بن عبد السلام؛ المشهور بالتقوى والصلاح[7]. والذي سمع بالإضافة إلى أبيه رشدين بن سعد، وعبد الله بن وهب، والفضل بن المختار، ورأى عبد الله بن لهيعة، وجالس الليث بن سعد. قال عن نفسه: «جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزي بعضهم بعضا، فقلت لأبي: يا أبتِ، كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة؛ فقال لي: يا بني كان عالمًا كريمًا حسن العقل كثير

(1) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 1، ص 385، السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 528، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 261.

(2) المزي: تهذيب الكمال: جـ23، ص 53، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 6، 449.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 6، ص 290، ابن حبان : الثقات، جـ 5، ص 213، الذهبي: الكاشف، جـ 2، ص 113.

(4) البخاري: الأدب المفرد، ص 401، حديث رقم (267)، أبو داود : السنن، جـ 4، ص 171، حديث رقم (1191)، الترمذي: السنن، جـ 9، ص160، حديث رقم (2513)، النسائي: السنن، جـ 13، ص 334، حديث رقم (4289).

(5) تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 221.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 14، المقريزي: المقفى الكبير،جـ 3، ص 747.

(7) ابن ماكولا: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 17، المقريزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 733.

الإفضال، يا بني لا ترى مثله أبدًا»[1].

انتفع خالد بالعلم الذي حصله من شيوخه، فحدث به تلامذته، ومن أشهرهم: الربيع بن سليمان الجيزي (174 – 270 هـ/ 790 – 884 م)، وأبو حاتم الرازي(195 – 277 هـ/ 810 – 890 م)، وكان محمد بن الأشعث الكوفي آخر مَنْ حدث عنه بمصر[2]. كان خالد ثقة [3]، روى له الطبراني والدار قطني[4]، توفي سنة (244هـ/ 858م).

أما آخر من حدث من هذه العائلة، فهو : محسن بن محمد بن خالد بن عبد السلام الصدفي، سمع جده خالدًا، وتوفي سنة(319هـ/ 931م).

ثالثًا: أُسرة يونس بن عبد الأعلى الصدفي:

تعد من أكبر وأشهر عائلات الصدفيين في مصر على الإطلاق، رأس هذه العائلة وعمادها، الإمام يونس بن عبد الأعلى.

رُزق يونس بأربعة من الأبناء اشتغل اثنان[5] منهما بعلم الحديث. أما الأول، فهو: عبد الأعلى بن يونس (204 – 249هـ/ 817ـ 863 م) سمع من أبيه، ومن سعيد بن الحكم بن محمد ابن أبي مريم، وأبي صالح الحراني، وأبي صالح كاتب الليث بن سعد[6].

الثاني: أحمد بن يونس (240 – 302هـ/ 854ـ 914 م) الذي أخذ العلم عن أبيه، وعيسى ابن مثرود، ومحمد بن هارون بن حميد البغدادي، المعروف بابن مُجَدَّر[7](ت 312هـ/ 924 م)، وغيرهم.

عاش أحمد في مدينة الفسطاط، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أنه رحل خارج مصر، ولعله اكتفى في طلب العلم بالتلقي من العلماء الذين حضروا إلى الفسطاط .

---

(1) ابن حجر: سيرة وفضائل الإمام الليث بن سعد، تحقيق: محمد زينهم، الطبعة الأولى، مصر، دار المعارف،2000م، ص 69.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام،جـ 18، ص 254.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 3، ص 342.

(4) الطبراني: المعجم الكبير، جـ2، ص 123، حديث رقم (13904)، المعجم الأوسط : جـ 4، ص 457، حديث رقم (1998)، الدارقطني: السنن، جـ 3، ص191، حديث رقم (1092)، جـ4، ص 116، حديث رقم (1470)، جـ 8 ’ ص 59، حديث رقم (3313)، جـ 9، ص 269، حديث رقم (4039).

(5) أما الاثنين الآخرين، فهما : موسى: لعله الابن الأكبر ليونس، و به كان يكنى، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئًا عنه. ومحمد: ولا أدري عنه سوى أنه توفي في مستهل شهر رجب (250هـ/ 864م). المقريزي: المقفى الكبير، جـ 7، ص 521.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص529.

(7) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 4، ص 80.

وعلى كل، فقد رُزق أحمد بثلاثة من الأولاد، اشتغل كل واحد منهم بإحدى فروع العلم الشرعي، وهم:

الأول: عبد الأعلى بن أحمد (274 – 347هـ/ 887 – 95 م) كان فقيهًا حنفيًا. سوف يأتي الحديث عنه في المبحث القادم.

الثاني: يونس بن أحمد(286 – 331هـ/ 899 – 943 م)، المعروف بأبي سهل المصري الزاهد، بدأ حياته بسماع الحديث من عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وأبا عبد الرحمن النسائي (215 – 303 هـ/ 830 – 915 م). روى عنه: أخوه المؤرخ عبد الرحمن بن يونس، وقال عنه – في كتابه المفقود «تاريخ مصر» ـ: «كان أفضل أهل زمانه»[1]. كما روى عنه عبد الملك بن حبان، وغيرهما. انتهى المطاف بيونس بن أحمد بترك الدنيا والزهد فيها، فاشتغل بالتصوف حتى آخر حياته.

الثالث: عبد الرحمن بن يونس، اشتغل بعلم التاريخ، وسوف يأتي الحديث عنه بالتفصيل في فصل علم التاريخ.

أما إذا جاء الحديث عن يونس بن عبد الأعلى رأس هذه الأسرة، فيعد بحق واسطة العقد، وغرة في جبين الدهر. فقد عاش في العصر الطولوني، واهتم برواية حديث الرسول (ﷺ) بجانب العلوم الأخرى، وبلغ في ذلك المدى، وقد سمع من أعلام عصره، من أمثال الليث بن سعد؛ إمام الحديث في مصر في زمانه، وكان يونس وكيلًا له. كما سمع من الشافعي، وغيرهما[2].

انتفع يونس بما سمع حتى قيل عنه: «كان يحفظ الحديث ويقوم به»[3]. وهذا ساعده على أن يبلغ مكانة سامية بين نُقاد الحديث الشريف[4]، فأثنوا على علمه وعمله، وإليه انتهت رياسة هذا العلم، حتى صار علمًا من أعلام الأمة، ورعًا عابدًا صالحًا كبير

---

(1) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ 14، ص 33، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 6، ص 21.

(2) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 187.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 7، ص 253، ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وآخر، الطبعة الثانية، جـ1، دولة لبنان، مؤسسة الرسالة، 1996م، ص جـ2، ص 205، الذهبي: العبر، جـ 1، ص 252.

(4) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 243، ابن حبان : الثقات، جـ 9، ص 290، الذهبي: الكاشف، جـ2، ص 493.

الشأن. روى له الإمام مسلم في صحيحه، والنسائي وابن ماجه وغيرهم[1].

إذًا، صار علم يونس الذي جمعه وحصله، خيرًا وبركة على الحركة العلمية في العالم الإسلامي كافة، وعلى طلاب العلم بمصر خاصة. فلقد بدأ يجلس لإلقاء دروسه في الحديث - إلى جانب العلوم الأخرى - بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط منذ أوائل القرن الثالث الهجري، فقصده الطلاب العارفون بفضله من هنا وهناك وصارت حلقته، والاستماع إليه من الأمور التي ينبغي لمن دخل مصر أن يحرص عليها[2].

قال عبد الله بن أبي حاتم الرازي: « سمعت أبي يقول: قدمتُ مصر، فلقيت أبا طاهر أحمد ابن عمرو بن السرح، فقال لي : منذ كم قدمت مصر؟ قلت : منذ شهر. قال: أتيت أبا موسى يونس بن عبد الأعلى ؟ قلت: لا. قال: قدمت مصر منذ شهر ولم تلق يونس! وجعل يعظم شأنه ويحث عليه»[3].

تلامذته:

تطول قائمة طلاب العلم الذين رحلوا للأخذ عن الإمام يونس، ولا أعدو الحقيقة إن قلت: إن طلاب الحديث قد رحلوا إليه من كافة أرجاء العالم الإسلامي. فبالإضافة إلى مصر - مسقط رأس الإمام - سمع منه الطلاب من الشام، والعراق، ونيسابور[4]، وسرخس[5]، وقزوين[6]، والري[7]، وأصفهان[8]، وجرجان[9]، وبلاد ما وراء النهر[10]، وبلاد المغرب والأندلس.

---

(1) روى عنه الإمام مسلم:(11) حديثًا، والإمام النسائي:(43) حديثًا، و الإمام ابن ماجه:(14) حديثًا، والإمام البيهقي: (19) حديثًا، والدار قطني:(63) حديثًا، و ابن حبان:(10) أحاديث، وابن خزيمة:(47) حديثًا، والطحاوي:(139) حديثًا، والحاكم في المستدرك:(4) أحاديث، و الطبراني: حديثًا واحدًا في المعجم الكبير والمعجم الأوسط.

(2) د. محمد جبر أبو سعده: بنو عبد الأعلى الصدفيون في مصر، القاهرة، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر،1989م، ص 123.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 9، ص 243.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ5، ص 331، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1411.

(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ3، ص 208، البغدادي: المصدر السابق، جـ2، ص 705.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ4، ص 342، البغدادي: المصدر السابق، جـ3، ص 1089.

(7) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ3، ص116، البغدادي: المصدر السابق، جـ2، ص 651.

(8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ1، ص 206، البغدادي: المصدر السابق، جـ1،ص 87.

(9) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ2، ص 119، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص 323.

(10) د. محمود محمد خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م، ص15.

جدول إحصائي لتلاميذ الإمام يونس بن عبد الأعلى[1]

الإقليم أو البلد	القرن3هـ/ 9م	القرن 4هـ/ 10م	(بدون - تاريخ)	المجموع
مصر	6[1]	39[2]	5[3]	50
بلاد الشام	*	3[4]	2[5]	5
العراق	2[6]	3[7]	*	5
نيسابور	3[8]	4[9]	1 [10]	8
قزوين	2[11]	*	*	2
الري	1[12]	2[13]	*	3
أصفهان	1[14]	2[15]	*	3
جرجان	3[16]	*	*	3
سرخس	1[17]	*	*	1
بلاد ما وراء النهر	2[18]	1[19]	*	3
بلاد المغرب والأندلس	9[20]	14 [21]	4[22]	27
المجموع	30	68	12	110

وفي نهاية الحديث عن جهود الإمام يونس بن عبد الأعلى في مجال علم الحديث، لي عدة ملاحظات أجملها فيما يلي:

أولاً: أن الإمام يونس بن عبد الأعلى اشتغل بعلم الحديث ومثَّل جانبًا مهمًا من جوانب ثقافته، وبلغت مروياته من الكثرة ما جعلت طلاب العلم يتزاحمون عليها من

(1) هذا الجدول الإحصائي من اجتهاد الباحث، وذلك من خلال المعلومات التي جمعها عن تلامذة الإمام . وهو عمل - بلا شك - قابل للتعديل والمناقشة. لذا فسوف نتعامل مع هذه المعلومات من منظور إحصائي فقط.

داخل مصر وخارجها، يروون عنه حديث الرسول (ﷺ).

ثانيًا: أن الإمام لم يرحل خارج مصر[1] ولكنه عوض ذلك بالنقل عن علماء بلده وأعلامها، وسمع من العلماء الوافدين عليها من كافة أنحاء العالم الإسلامي، بلغ عددهم (سبعة عشر) عالمًا، وهذا يدل مدى تقدم الحركة العلمية في مصر آنذاك.

ثالثًا: باستعراض قائمة تلاميذ الإمام يونس بن عبد الأعلى نجد أن إجمالي عددهم وصل نحو(عشرة و مائة) محدثٍ، وهذا عدد ضخم بلا شك. فإذا أردنا أن نتعامل مع هذا الرقم من منظور إحصائي، فإننا نجد أن مصر تحتل المركز الأول على الإطلاق لا ينافسها في ذلك أي إقليم آخر، فقد ساهمت بنحو (خمسين) محدثًا. يليها إقليم بلاد المغرب والأندلس، الذي ساهم بنحو(سبعة وعشرين) محدثًا. أما مجموع المحدثين من بلاد المشرق (الشام+ العراق+ خراسان وبلاد ما وراء النهر) فقد وصل نحو (ثلاثة وثلاثين) محدثًا . وهي نسبة تزيد قليلاً عن بلاد المغرب والأندلس. وفي هذا دليل على أن شهرة الإمام يونس قد طبقت أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه.

رابعًا: من خلال الجدول الإحصائي – أيضًا – نلاحظ، أن عدد المحدثين الذين سمعوا من الإمام خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، قد بلغ نحو(ثلاثين) محدثًا. على حين تضاعف حجم هذا الرقم فبلغ خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، نحو (ثمانية وستين) محدثًا، وهذا يعني ببساطة شديدة أن شهرة الإمام يونس قد بلغت مداها خلال هذا القرن . ولا غرابة في ذلك فإنه القرن الذي وصلت فيه الحضارة الإسلامية إلى أقصى اتساع وازدهار لها . فكان طلاب العلم – وخاصة المحدثين – يجوبون الآفاق بحثًا عن العلماء الثقات للأخذ عنهم.

خامسًا – وأخيرًا – : مما يؤسف له أن الإمام يونس – على الرغم من كل هذه الشهرة – لم يترك لنا مُصَنَّفًا واحدًا في علم الحديث، نقف به على طريقته في التأليف، وحتى نقارن بينه وبين باقي مُصنَّفات السُّنَّة المُطَّهرة . ولعله – يرحمه الله تعالى – قد اكتفى بالتعليم، ولا غرابة في ذلك فقد روى له أصحاب السنن، وكانوا من أخص تلامذته.

(1) مما يستأنس به في ذلك، خلو المصادر التاريخية التي ترجمت للإمام من ذكر ذلك . وتصريحه للإمام الشافعي أنه لم يزر بغداد، وكانت موئل طلاب العلم آنذاك. سأله الشافعي : يا أبا موسى، دخلت بغداد؟ قال: لا. قال: ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس. ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 7، ص252.

وفي الختام، ذكرت لنا بعض المصادر التاريخية مجموعة من علماء الصدفيين المحدثين، غير أنه مما يؤسف له، أني لم أعثر على تراجم وافية لهم، لذا فسأكتفي بذكر أسمائهم فقط [1]، وهم:

1. إبراهيم بن أبي مسكين الصدفي.

2. أحمد بن إسماعيل الصدفي، سمع الليث بن سعد.

3. سليمان بن داود بن سعيد الصدفي (ت 194 هـ / 810م).

4. عبد الرحمن بن علي بن الحسن الصدفي.

5. عبد الرحمن بن وهب الصدفي.

6. قتيبة بن سعيد الصدفي.

7. قرة بن عبد الله الصدفي(ت 105هـ / 723م).

8. محمد الصدفي.

9. محمد بن أحمد بن علي، أبو بكر الصدفي البزاز (ت 376هـ / 996م).

10. محمد بن محمد بن علي بن الحسين، أبو على الصدفي(ت 338 هـ/ 949م).

11. محمد بن يحيى بن إسماعيل، أبو عبد الله الصدفي(ت 232هـ / 847م).

خلاصة القول، أن قبيلة الصدف العربية – من خلال أبنائها المحدثين – كان لها أثرها في علم الحديث، فقد كان منهم أئمة ثقاة أخذ عنهم أئمة الحديث في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

(1) قال السخاوي: «كانت مقابر الصدفيين أربعمائة قبة، والليث (بن سعد) أوسطها، وبالمقبرة قباب فيها جماعة من الصدفيين لا تعرف أسماؤهم» تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 222. وعن هؤلاء الأعلام، انظر: الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ17، ص 312، جـ 22، ص 267، جـ 26، ص 382. المقريزي: المقفى الكبير، جـ5، ص 234 – 538، جـ 7، ص 75. ويقول أحد الباحثين المحدثين : «إن الأسماء التي حفظتها شواهد القبور لَمَنْ مات بمصر من هذه القبيلة لتفوق في القراءة الأسماء الخاصة بأية قبيلة أخرى على الإطلاق» د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص 249.

المبحث الثاني:
المُحَدِّثون التجيبيون في مصر الإسلامية

نزل كثير من صحابة النبي (ﷺ) مصر، فالتف الناس حولهم يتعلمون منهم أمور دينهم، كما سبقت الإشارة، وأُحاول هنا أن أذكر أهم العلماء المشتغلين بعلم الحديث من قبيلة تجيب، وهم:

سكن بن أبي كريمة بن زيد التجيبي، روى عن أمه فنسب إليها، كما روى عن حسان بن عطية، ومحمد بن عبادة[1]، وغيرهما. روى عنه: حيوة بن شريح (المتوفى في عام:158 ه/ 775 م)، وعبد الله بن لهيعة(97 – 174 ه / 715 – 790 م)، ومحمد بن إسحاق(المتوفى في عام:151 ه/ 768 م) [2]، وغيرهما. كان سكن مقلًا في رواية الحديث، فلم أعثر له إلا على حديث واحد في مصنف ابن أبي شيبة[3]. توفي سنة (142هـ/ 759م) ودفن بالمقطم.

ومنهم: عمير بن حريث الرعيني، المكنى بأبي يحيى المصري، المعروف بابن أبي ناجية[4]. سمع من أئمة أهل العلم من أمثال: يزيد بن أبي حبيب، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي (المتوفى في عام:312 ه/ 924 م)، ويحيى بن سعيد الأنصاري(المتوفى في عام: 143ه / 760 م) [5]، وغيرهم. روى عنه : حيوة بن شريح، وعبد الله بن لهيعة، ورشدين بن سعد، ويحيى بن أيوب، وعبد الله بن وهب(125 – 197 ه / 743 – 813 م [6]، وآخرين. كان عمير ثقة، عابدًا، ناسكًا، ذا فضل وعبادة[7]، روى له أصحاب السنن[8].

---

(1) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 165، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 151.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 4، ص 180، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 4، ص 288.

(3) جـ1، ص 267، رقم (2770).

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 553، السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 296.

(5) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 8، ص 136، المزي: تهذيب الكمال، جـ 6، ص 277.

(6) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 7، ص 70، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 89.

(7) ابن حبان: الثقات، جـ 7، ص 304، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 7، ص 24.

(8) سنن أبي داود(1 / 414) رقم(286)، المستدرك على الصحيحين للحاكم(2 / 133) رقم(592).

مات بعد عودته من الحج سنة(151هـ/ 768م).

ومنهم: سالم بن غيلان التجيبي، روى عن جماعة من أهل العلم، من أمثال: عمرو بن حريث المعافري(2 ق ه – 85 ه/ 620 – 704 م)، والوليد بن قيس التجيبي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب، و دراج بن أبي السمح[1]، وغيرهم.

كان سالمٌ ثقة، أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبي حاتم الرازي، وابن حبان[2]. وروى له أصحاب السُّنَّن[3]. ونظرًا لهذه المكانة التي وصل إليها الإمام سالم في علم الحديث، فقد ألتف الطلاب حوله للأخذ عنه، ومن أشهرهم: حيوة بن شريح، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن وهب[4]، وغيرهم. توفي سنة(153هـ/ 770م)[5].

ومن أشهرهم: حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي، المكنى بأبي زرعة المصري[6]. كان من رءوس العلم والعمل بمصر. فقيهًا، زاهدًا، عابدًا، ناسكًا. سمع أئمة أهل الحديث في زمانه، من أمثال: إسحاق بن أسيد الخراساني، وبشير بن عمرو الخولاني، والضحاك بن شرحبيل، وعياش بن عباس القتباني، وحميد بن هانئ الخولاني[7]، وغيرهم. اشتهر حيوة بالعلم والعمل، وصحة الرواية، وعلو الإسناد؛ فأقبل عليه طلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، ومنهم: عبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن المبارك(118 – 181 ه/ 736 – 797 م)، وعبد الله بن وهب، والليث بن سعد، ويحيى بن المعلى، وكان آخر من روى عنه هانئ بن المتوكل الإسكندراني[8]، وغيرهم.

---

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 3، ص 383، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ1، ص 336، وكتابه: لسان الميزان، جـ 3، ص 205.

(2) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ2، ص 113، ابن حبان: الثقات، جـ 1، ص 383، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 4، ص 187.

(3) سنن أبي داود(12 / 458) رقم(4192)، سنن الترمذي(8 / 412) رقم(2318)، سنن النسائي(16 / 362) رقم(5378)(16 / 380) رقم(5390)، مسند أحمد(22 / 450) رقم(10905)(22 / 454) رقم(10909)(22 / 455) رقم(10910)(22 / 481) رقم(10936)(43 / 316) رقم(20350)(43 / 493) رقم(20527) (43 / 496) رقم(20530)، سنن الدارمي(6 / 246) رقم(2109).

(4) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 215، العيني: مغاني الأخيار، جـ 1، ص 385.

(5) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 89، ابن عبد الهادي الدمشقي: طبقات علماء الحديث، جـ1، ص 168.

(6) د. سعدي الهاشمي: الرواة الذين كنوا بأبي زرعة، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية، 1423هـ – 2002م، جـ 27، ص 445، محمد سيد أحمد قطب: دور قبيلة تجيب في الحياة السياسية والحضارية في مصر، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ص 82 وما بعدها.

(7) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص298، السيوطي: طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية،1403هـ – 1983م، ص14.

(8) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 3، ص38، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ 4، ص 340.

كان حيوة من المحدثين الثقات، ومن العلماء السادات، ومن العباد الزهاد. وثقه الإمام أحمد بن حنبل، وأثنى عليه أبو حاتم الرازي، وقال عبد الله بن المبارك: «ما وصف أحد ورأيته إلا ما كانت رؤيته دون صفته إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته»[1]. عرف حيوة بـ«شيخ الديار المصرية»[2]، توفي سنة (158هـ/ 775م)، ودفن بالمقطم[3].

ومن أشهر المحدثين التجيبيين في مصر؛ والذى حاز قصب السبق في هذا المجال، الإمام حرملة بن عمران بن قراد، المكنى بأبي حفص التجيبي المصري[4]. ولد بالفسطاط سنة (80هـ/ 699م)، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم اشتغل بعلم الحديث فانكب عليه يطلبه ويحفظه ويسمعه من أئمة عصره، من أمثال: يزيد بن أبي حبيب، وسليم بن جبير مولى أبي هريرة، وكعب بن علقمة التنوخي، وأبي فراس مولى عمرو بن العاص[5]، وغيرهم.

طويلة هي قائمة شيوخ حرملة، أكتفي منها بما ذُكر. ونلمح فيها أنه إن كان فاته الأخذ عن الصحابة، فقد أخذ عن مواليهم، أو عمن سمع منهم . وكما هو معروف ؛ فإن كثيرًا من هؤلاء الموالي قد أخذ علمه عن سيده، يقول أحمد أمين – رحمه الله – : «إن الصحابة استكثروا من الموالي يستخدمونهم في بيوتهم وفي أعمالهم، فإذا كان الصحابي تاجرًا فمواليه أعوانه في التجارة، وإذا كان عالمًا كانت مواليه تلاميذه وأعوانه في العلم، ومتى كان حسن استعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم لسادتهم في السر والعلن، وملازمتهم لهم في الإقامة والسفر»[6].

على كل حال، انتفع حرملة بما سمع وجمع من علم الحديث، فذاع صيته في العالم الإسلامي، واشتهر بعلو الإسناد، وحظى بثقة علماء الجرح والتعديل، كابن معين، وابن حنبل، وابن حبان، وأبي حاتم الرازي[7]، وغيرهم.

ونظرًا لهذه المكانة التي وصل إليها، فقد رحل إليه طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، وللسماع منه، ومن أشهرهم: جرير بن خازم، وعبد الله بن وهب،

---

(1) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، جـ1، ص 175، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص296.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 11، ص 491، العيني: مغاني الأخبار، جـ 1، ص 265.

(3) الزبيدي: تاج العروس، جـ 31، ص 498، الزركلي: الأعلام، جـ 2، ص 291.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 3، ص 468، الصفدي: الوافي الوفيات، جـ 4، ص 99.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ10، ص 119، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص88.

(6) فجر الإسلام، ص 155.

(7) ابن حبان : الثقات، جـ 8، ص 210، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 3، ص 273، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 2، ص 201.

والليث بن سعد، وكاتبه عبد الله بن صالح، وعبد الله ابن المبارك؛ الذي رحل إليه من مرو، وأقام في جواره فترة ليست بالقليلة، فانفرد برواية ثلاثة أحاديث عن شيخه لم يحدث بها غيره . وكان ابن المبارك يفتخر بذلك، وإذا حدث بهن قال: «حدثني حرملة – وكان من أولي الألباب – ثم يسوق الحديث»[1].

هكذا؛ صار حرملة علمًا من أعلام علم الحديث في زمانه. وأستطيع القول: إنه أثرى الحركة العلمية في الفسطاط، حيث لم يثبت له رحلة خارج القطر المصري، مما يدل على مدى اعتزازه بحب هذا الوطن، وثقته في علمائه. وهذا ما جعل طلاب العلم يرحلون إليه من أرجاء العالم الإسلامي – كما سبقت الإشارة – للسماع منه، فنشطت الحركة العلمية في الفسطاط بإقامته فيها.

ولكن مما يؤسف له أن حرملة على الرغم من كل هذا العلم الذي جمعه لم يترك لنا مُصَنَّفًا في علم الحديث نقف به على طريقته في التأليف أو التحديث، وكل ما بقى لنا من تراثه الفكري هو عبارة عن مجموعة من الأحاديث المبثوثة في بطون كتب الحديث[2]، تحتاج إلى أحد الباحثين، ليجمعها، ويرتبها، ويخرجها لنا في صورة مرويات، أو مسند جامع يحمل اسم حرملة ابن عمران.

هكذا كانت حياة حرملة جد في طلب العلم، جد في تحصيله، جد في نشره بين تلاميذه وأتباعه. يقول ابن حبان: « كان من العباد المتقنين، وأهل الفضل في الدين»[3]. وبعد رحلة طويلة من العطاء، رحل سنة(160هـ/ 777 م) ودفن في المدينة التي أحبها، وعاش فيها، ولم يرحل عنها يومًا واحدًا، إنها مدينة الفسطاط.

ومنهم : حيوة بن معن بن يزيد بن أبي العوجاء التجيبي، روى عن عبد الله بن لهيعة، وروى عنه ابنه: محمد بن حيوة، توفى في شوال سنة(183هـ/ 799م)[4].

---

(1) العيني: مغاني الأخبار، جـ 1، ص 183، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 261، وقد ذكر نص الأحاديث الثلاث.

(2) صحيح مسلم(1 / 24) رقم(8) (12 / 48) رقم(4353) (14 / 153) رقم(5215)(14 / 210) رقم (5261)، سنن أبي داود(5 / 95) رقم(1503)، سنن ابن ماجه (11 / 62) رقم(3659)،المستدرك على الصحيحين للحاكم(1 / 67) رقم(62) (1 / 175) رقم(166) (4 / 46) رقم(1464)(7 / 51) رقم(2877) (13 / 425) رقم(5940)(17 / 478) رقم(7724)، المعجم الكبير للطبراني(9 أحاديث)، المعجم الأوسط للطبراني(7أحاديث)، مسند أحمد بن حنبل تعليق شعيب الأرنؤوط(17 / 102) رقم(17346)(17 / 103) رقم(17349)(17 / 109) رقم(17371)(17 / 127) رقم(17439).

(3) مشاهير علماء الأمصار، ص 299.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 34، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

ومنهم: شعيب بن يحيى العبادي التجيبي، رحل إلى المدينة المنورة للأخذ عن مالك بن أنس، كما سمع نافع بن يزيد، وعبد الجبار بن عمر، ويحيى بن أيوب، وفقيه أهل مصر الليث بن سعد[1]، وآخرين. انتفع شعيب بما سمع، وبما جمع من علم الحديث، وبمجرد عودته إلى الفسطاط التف حوله طلاب العلم للأخذ عنه، والسماع منه، فكان من أشهر طلابه: عبد الله بن الرحمن بن عبد الحكم، وبكر بن سهل الدمياطي، والحارث بن مسكين(154 – 250 ه/ 771 – 864 م)[2]، وغيرهم من أئمة أعلام الحديث. كان شعيبًا – كما قال أهل الجرح والتعديل – رجلاً، صالحًا، ثقةً، صدوقًا. روى عنه الإمام النسائي، وأبي جعفر الطحاوي[3]، توفي سنة(211هـ/ 826م).

ومنهم: بهلول بن عمر بن صالح الفردمي التجيبي، روى عن كبار الأئمة، من أمثال : مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن فروخ (115 – 176 ه/ 733 – 792 م)، وغيرهم. كان صدوقًا في حديثه، روى عنه: عثمان بن أيوب المعافري، وعبد الله بن صالح، وغيرهما. توفي سنة (233هـ/ 848م)[4].

ومن المحدثين التجيبيين كذلك، طلق بن السمح بن شرحبيل التجيبي، المكنى بأبي السمح الإسكندراني. روى عن : حيوة بن شريح، وضمام بن إسماعيل، وعبد الله بن لهيعة، وموسى بن علي بن رباح اللخمي، وغيرهم. روى عنه: الربيع بن سليمان الجيزي (174 – 270 ه/ 790 – 884 م)، وسعيد بن كثير بن عفير، وعمرو بن سعيد المعافري، وغيرهم. روى له النسائي في كتابه : «عمل اليوم والليلة» حديثًا واحدًا من رواية الزهري[5].

ومن الجدير بالذكر، أن طلق – إلى جانب روايته للحديث – كان يعمل في سلاح البحرية الإسلامية في ثغر الإسكندرية[6]، التي عاش ومات فيها سنة (211هـ/ 826 م).

(1) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص126، ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 210.

(2) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص92.

(3) العيني: مغاني الأخيار، جـ2، ص 31، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 420.

(4) ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص 233، المقريزي: المقفى الكبير، جـ2، ص520.

(5) الحديث رقم (929).

(6) العيني: مغاني الأخيار، جـ2، ص 24، المزي: تهذيب الكمال، جـ13، ص 454، نص العبارة: « كان نفاطًا من أهل مصر في البحر يرمي بالنار».

وجدير بالذكر – أيضًا – أن ابنه: حيوة، كان يشتغل هو الآخر بعلم الحديث، فقد روى عن أبيه. وسمع منه : وفاء بن سهيل التجيبي. توفي سنة(245هـ/ 859 م)[1].

ومنهم :عبد الله بن محمد بن رمح بن المهاجر التجيبي، أبي سعيد المصري. أشهر من روى عن : عبد الله بن وهب. كان صدوقًا، ثقة[2]. روى عنه: بكر بن سهل الدمياطي، ومحمد بن محمد بن الأشعث[3]، وغيرهما. روى له ابن ماجه في سننه[4]. توفي في ربيع الأول سنة(250هـ/ 864م).

إلى جانب هؤلاء العلماء الأعلام الثقات، ظهر جيل من المحدثين التجيبيين المغمورين، اشتغلوا بعلم الحديث، وبعضهم لم ينال حظه من الشهرة، والبعض الآخر لم أعثر على تاريخ وفاته. لذا فقد رتبتهم على حروف المعجم، وهم كالتالي:

1. إبراهيم بن سعيد التجيبي(المتوفى في عام: 260هـ/ 874 م)، هاجر بعض أولاده إلى برقة، وطابت لهم الحياة فيها، فاستقروا هناك، واشتغلوا بعلم الحديث[5].

2. إبراهيم بن سعيد بن عروة، أبي إسحاق التجيبي، المتوفى في سنة (209هـ / 825م)[6].

3. إبراهيم بن عبد الله، المعروف بابن إسحاق الخفاف، حدث عن عمران بن بكير، روى عنه عبد الله بن بكير[7] . توفى في جمادى الأولى سنة (205هـ/ 821 م).

4. أبو الحسن بن الرواغ بن برد الإيدعاني، روى عن عمرو بن خالد، ويحيي بن بكير، كان كريمًا، ثقة[8]. توفى سنة (256هـ/ 870 م).

5. أحمد بن زبان السلهمي، روى عن المفضل بن فضالة، حدث عنه: أحمد بن

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 34، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 143، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيمت تحت يدي من مصادر .

(2) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ 1، ص 529.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 18، ص 315، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص94.

(4) (جـ 4 / ص217) رقم(1313)(جـ12 / ص263) رقم(4208).

(5) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص324، ابن الجوزي: المنتظم، جـ 4، ص 189.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص114، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 1، ص 91.

(7) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 3، ص 254، السمعاني: الأنساب، جـ2، ص386، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 1، ص 242.

(8) السمعان: الأنساب، جـ1، ص 235.

يحيى بن وزير[1]، توفي سنة (220هـ / 835 م).

6. إسحاق بن إبراهيم بن جابر، أبي يعقوب التجيبي المصري، روى عن سعيد بن أبي مريم، روى عنه: الطبراني، وأبو سعيد بن يونس، وقال عنه : « ما علمت عليه إلا خيرًا» [2]، توفى في جمادى الآخرة سنة (296هـ / 909م).

7. إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب التجيبي، روى عن عبد الله بن وهب، وإدريس بن يحيى، ولم أعثر على طلاب سمعوا منه [3]، توفي سنة (256هـ / 870 م) .

8. إسماعيل بن الأسود بن مسلم التجيبي، روى عن عبد الله بن وهب[4]، توفى سنة (263هـ/ 877 م).

9. أيوب بن قسطنطين التجيبي، المعروف بأبي الميثا المصري، مولى بني سوم، أشهر من روى عنه يحيى بن بكير[5]. لم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

10. بلال البُرُنْليُ التجيبي، سكن مدينة بُرُنْلُ[6][تقع حاليًا في مركز الصف بمحافظة الجيزة] فنسب إليها. روى عنه: إبراهيم بن نشيط، توفي بلال سنة (217هـ / 832 م)[7].

11. الجراح بن عبد الله بن الفرج التجيبي، سمع :عبد الله بن وهب، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي[8]، توفى في ذي القعدة سنة (243هـ / 858 م).

12. حجاج بن زبان السلهمي، روى عن: هزان بن سعيد السابي(المتوفى في عام: 181هـ / 797م)، روى عنه : أحمد بن عمرو بن السرح، وغيره. توفى الحجاج بمصر[9] سنة (205هـ / 821م).

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص319.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 22، ص 105 – 106، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 37.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ19، ص 75، السمعاني: الأنساب، جـ 2، ص 386، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص38.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 100، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص42.

(5) ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 305، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ 9، ص 113.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 286، محمد رمزي : القاموس الجغرافي، جـ4، ص27.

(7) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص332، الزبيدي: تاج العروس، جـ 28، ص 77.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 18، ص 193، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص86.

(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 131، السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 283.

13 . الحسن بن إسحاق بن سلام التجيبي، أبو علي المصري، روى عن الحارث بن مسكين، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي[1]، توفي سنة (307هـ / 920 م).

14 . خالد بن مهاجر التجيبي، روى عن: القاسم بن محمد، روى عنه : طلحة بن أبي سعيد، وعبد الرحمن بن شريح، ونافع بن يزيد [2]، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته.

15 . خالد بن يزيد بن سهل التجيبي، روى عن عبد الله بن عبد الرحمن، ومسكين بن عبد الرحمن[3]، توفي سنة (168هـ / 785م).

16 . رباح بن ذؤابة التجيبي، روى عن سالم بن غيلان، روى عنه: سعيد بن عفير[4]. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته.

17 . سعد بن مالك بن عبد الله التجيبي، قال ابن يونس : «كتبت عنه حكايات من حفظه»[5]، توفي في شهر رمضان سنة (307 هـ/ 920 م)[6].

18 . شعيب بن إسحاق بن يحيي، المعروف بابن أخي مَلَّولِ الصَّيرافيّ . روى عن عبد الملك بن مسلمة، وسعيد بن أبي مريم. كان ثقة[7]. توفى في شوال سنة(270هـ / 884 م).

19 . العباس بن محمد بن يحيى الصعيدي التجيبي، سكن صعيد مصر، فنسب إليها. سمع يحيى بن بكير، وابن يونس المؤرخ المصري ؛ قال: «سمعت منه مع والدي، كتبنا عنه بالصعيد، وأملى عليه من حفظه حديثًا واحدًا» [8]. رحل في آخر عمره إلى الفسطاط، واستقر بها حتى توفي في جمادى الآخرة سنة (300 هـ / 913م).

20 . عبد الكريم بن عمار السلهمي[9](المتوفى في عام: 158هـ / 775م)، لم أعثر له على رواية.

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال ، جـ 1، ص 227، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 23، ص 207 .

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 3، ص 170، ابن حبان : الثقات، جـ 6، ص 260، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 745.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص747.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 289، السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص 363، الزبيدي: تاج العروس، جـ 33، ص 206.

(5) ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 202.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 295، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 121 .

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 88، العيني: مغاني الأخيار، جـ 2، ص 28.

(8) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص541، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 121، ص 203.

(9) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 283، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيها تحت يدي من مصادر.

21. عبد رب خالد بن عوذة التجيبي، روى عن عبد الله بن وهب، وغيره، توفى يوم النصف من جمادى الأولى سنة(259هـ / 873 م)[1].

22. مالك بن سعد التجيبي، سمع جماعة من أهل العلم يأتي على رأسهم حبر الأمة عبد الله بن عباس (3 ق ه – 68 ه / 619 – 687 م) [2] ﷺ. سمع منه بعض أهل العلم، ومن أشهرهم: مالك بن خير الزبادي[3]. كان مالك ثقة في روايته للحديث، أثنى عليه الإمام أبي زرعة الرازي، وابن حبان[4]، وغيرهما. كما روى له بعض أصحاب السنن[5]. ولم أقف على تاريخ وفاته.

23. محمد بن إدريس بن الأسود التجيبي، لم تذكر المصادر التاريخية عنه شيئًا سوى أنه كان جار يونس بن عبد الأعلى الصدفي[6]، توفى في جمادى الأولى سنة (309هـ / 922م).

24. محمد بن القاسم بن سعيد، أبو بكر التجيبي المصري، سمع : الربيع المؤذن، وإسحاق الديري[7]، وغيرهما. توفى سنة (315هـ/ 927م).

25. محمد بن سلمة بن سليمان، أبو عامر التجيبي، روى عن عبد الله بن وهب[8]، توفى سنة (259هـ/ 873 م).

26. معاوية بن سعيد بن شريح التجيبي المصري، روى عن يزيد بن أبي حبيب، وأبي قبيل (حيي بن هانئ)، وعبد الله بن سلم بن مخراق[9]، وغيرهم. روى عنه كثير من أهل العلم، من أمثال: زبيد بن حميد، ورشدين بن سعد، ويحيى بن أيوب، ونافع بن يزيد،

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 19، ص 201، السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 186.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 448، ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص385 – 386.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 7، ص308، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص86.

(4) ابن حبان: الثقات، جـ 5، ص285، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 8، ص 209.

(5) المستدرك على الصحيحين للحاكم (5 / 337) رقم2194،(17 / 68) رقم7338،المعجم الكبير للطبراني(10 / 375) رقم12802، شعب الإيمان للبيهقي(12 / 65) رقم 5342، مسند أحمد بن حنبل تعليق شعيب الأرنؤوط (3 / 242) رقم2899 .

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 23، ص 259.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 23، ص 502، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 531.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 19، ص 291، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 685.

(9) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 10، ص 186، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ 2، ص 195.

وصفوان بن رستم[1]، وآخرون. وثقه بعض أهل العلم[2]، وروى له أصحاب السنن[3]. ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

27. وفاء بن سهيل التجيبي (المتوفى في عام: 268هـ / 882 م)، آخر من حدث عنه بمصر ابن أبي الحديد[4].

الأُسر العلمية من المحدثين التجيبيين:

ومن الشيء الذي يسترعي الانتباه، ويستحق الدراسة، ظاهرة الأُسر العلمية التي برزت في علم الحديث، والذين أقاموا في مصر، واشتغلوا بعلم الحديث لمدة عقود طويلة، ومن أشهرهم:

أولاً: أُسرة زغبة:

من أشهر أُسر المحدثين في مصر؛ الذين اشتغلوا بعلم الحديث على مدى ثلاثة عقود كاملة. رأس هذه الأُسرة حماد بن سلم بن عبد الله التجيبي؛ الملقب بـ«زغبة».

رُزق حماد بولدين اشتغلا بعلم الحديث، أولهما: عيسى(160 - 248هـ / 776 - 862 م)؛ حدث عن الليث بن سعد، و رشدين بن سعد، وعبد الله بن وهب[5]، وغيرهما. حدث عنه جماعة من أهل العلم، وعلى رأسهم الإمام مسلم بن الحجاج(204 - 261 ه/ 820 - 875 م)، وأبي داود السجستاني (202 - 275 ه/ 817 - 889 م)، والنسائي(215 - 303 ه/ 830 - 915 م)، وابن ماجه(209 - 273 ه/ 824 - 887 م)، وإسحاق بن أبي عمران الإسفراييني، وبقي بن مخلد الأندلسي(260 - 324 ه/ 874 - 936 م)، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين[6]، وآخرون.

كان عيسى محدثًا مأمونًا في روايته. أثنى عليه جماعة من أهل العلم؛ قال أبو حاتم: «ثقة، رضًا»، وقال النسائي والدارقطني وابن حبان: « ثقة»، وقال أبو

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 8، ص 540، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 6، ص 310.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 334، ابن حبان : الثقات، جـ 9، ص 166، الرازي : الجرح والتعديل، جـ 8، ص 84.

(3) مسند أحمد(13 / 397) رقم 6359 (14/ 291) رقم6753(48 / 482) رقم22828،المعجم الكبير للطبراني(16 / 194) رقم18287(20 / 145) رقم1534، المعجم الأوسط للطبراني(7 / 195) رقم 3225،سنن الدارقطني(4 / 286) رقم1611 .

(4) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 235.

(5) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 8، ص 187، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ1، ص 770.

(6) العيني: معاني الأخيار، جـ 3، ص 497، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 93، الزبيدي: تاج العروس، جـ 3، ص 19.

داود: «لا بأس به»[1].

كل ما وصل إلينا من تراث عيسى بن حماد الفكري، مُصَنَّفٌ يحمل عنوان: «جزء من الحديث» ما زال مخطوطًا بالمكتبة الظاهرية في دمشق[2]. توفي يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر ذي الحجة، ودفن بالمقطم[3].

اشتغل أبناء وأحفاد عيسى بعلم الحديث، ومنهم: ابنه: عبد الله بن عيسى بن حماد، الملقب بأبي محمد بن زغبة المصري، روى عن أبيه، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وعبد الرحمن بن يعقوب[4]، وغيرهما. توفي سنة (296هـ/ 969 م).

رُزق عبد الله ولدًا أسماه « محمدًا»، لقب بأبي الحسن المصري. روى عن بحر بن نصر الخولاني[5]، وغيره، توفي سنة (319هـ/ 931 م).

كذلك عمل ابنه: سلم بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن حماد،المعروف بأبي القاسم المصري بعلم الحديث؛ فسمع جده، وغيره. روى عنه ابن يونس الصدفي، وعلى بن موسى بن عيسى[6]، وغيرهما. توفي سنة(344هـ/ 956 م).

أما الابن الثاني لحماد بن سلم، فهو: أحمد ؛ لقب أيضًا بـ«زغبة»، وكان لا يقل شهرة عن أخيه عيسى. روى عن: سعيد بن أبي مريم، وسعيد بن عفير، ويحيى بن بكير[7]، وغيرهم. روى له: الإمام النسائي، وأبو بكر بن أبي الموت، وابن يونس الصدفي، والحسن بن رشيق، وأبو القاسم الطبراني، وعبد المؤمن بن خلف النسفي، وغيرهم. وثقه بعض أهل العلم؛ فقال النسائي: « صالح، ثقة، مأمون»[8]. توفي بمصر في جمادى الأولى سنة (296هـ/ 909م)[9].

وابنه: محمد بن أحمد بن حماد، اشتغل بعلم الحديث ؛ فحدث عن عمه: عيسى بن

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 22، ص 111، وكتابه: العبر في خبر مَن غبر، جـ 1، ص 452.

(2) د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م1، جـ1، ص 215.

(3) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 388، الزركلي: الأعلام، جـ 5، ص 102.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 309، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ22، ص 180، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 79.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ23، ص 591.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص309، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ25، ص313.

(7) الذهبي: العبر، جـ 1، ص 106، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 1، ص 22.

(8) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 26، ص 43، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ2، ص224.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 22، ص 45، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 93.

حماد، والربيع بن سليمان، وغيرهما. روى عنه: أبوبكر بن المقرئ، ومحمد بن شعبان[1]، ومن أشهر تلامذته على الإطلاق ؛خُزَرَ بن مُعصّب الغَسَّاني. مِنْ أَهْل بَجَّانَة[2]، يُكَنَّى: أبا مَروان. رحل إلى مصر وسمع منه[3]. توفى محمد سنة(318هـ/ 930 م). وكان آخر مَنْ حدث في هذه الأُسرة.

ثانيًا: أُسرة الخُفْ:

ومن الأُسر التي اشتغلت بعلم الحديث – أيضًا – أُسرة الخف. رأس هذه الأُسرة خلف بن عمر بن يزيد بن خلف، مولى بني زميلة، من تجيب. روى عن الحارث بن مسكين، وبكار بن قتيبة[4]، وغيرهما.

رُزق خلف ثلاثة من الأبناء اشتغل كل منهم بعلم الحديث، أولهما: عبد الوهاب بن خلف. شارك أباه في السماع من شيوخه، فروى عن الحارث بن مسكين، وبكار بن قتيبة، توفي بالفسطاط سنة (270هـ / 884م)[5]. وثانيهما: خالد، وثالثهما: عمر[6]. ولم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن هذه الأسرة، ولا حتى تاريخ وفاتهم.

ثالثًا: أُسرة الأوَّابي:

رأس هذه الأُسرة زياد بن نافع الأوَّابي، منسوب إلى أوَّاب بطن من تُجيب. كان من صغار التابعين، سمع كعب بن مالك ﵁ . وأشهر من سمع منه: بكر بن سوادة[7]. وثقه بعض أهل العلم[8].

أنجب زياد ولدًا أسماه «أبانًا» اشتغل – أيضًا – بعلم الحديث، فسمع أباه، وروى عنه :ابنه سعيد، توفي سنة(273هـ/ 887م). ومن الجدير بالذكر، أن أبان بن زياد هو جد الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي من جهة أمه، فهي: فليحة بنت أبان، غير أنه لم

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 159، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 43.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص339، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 163.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص53، الُحميدي: جذوة المقتبس، جـ1، ص 77.

(4) ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص258، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 153.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 138، السمعاني: الأنساب، جـ3، ص165، الزبيدي: تاج العروس، جـ 11، ص311.

(6) ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 285.

(7) ابن حجر: لسان الميزان، جـ 1، ص 418، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ 3، ص 334.

(8) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 376، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 413.

يحظ بشهرة حفيده، حتى لم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته.

أما سعيد فقد اشتغل هو الآخر بعلم الحديث، ورُزق ولدًا أسماه « عبد الرحمن» سمع من والده الحديث. ثم أنجب عبد الرحمن ولدًا أسماه « أبانًا»، وكنيته أبو الحسن التجيبي، سمع بالإضافة إلى أبيه، الحارث بن مسكين[1]، توفي سنة(289هـ/ 902م) .

رابعًا: أُسرة بني الأخرم:

ومن أشهر الأُسر التجيبية التي اشتغلت بعلم الحديث، أُسرة بني الأخرم؛ المنسوبة إلى الصحابي؛ قيس بن الأخرم التجيبي. كان أحد الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر[2]، وأقام في خِطة تجيب بالفسطاط، وتزوج من أهل مصر، وأنجب ولدًا أسماه» الوليد».

اشتغل الوليد بعلم الحديث فسمع الصحابي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، وغيره. جلس الوليد للتحديث في جامع عمرو بن العاص، فسمع منه: يزيد بن أبي حبيب، وبشير بن أبي عمرو الخولاني، وسالم بن غيلان[3]، وغيرهم. وثقة بعض أهل العلم [4]، وروى له أصحاب السنن[5]. توفي بالفسطاط سنة (100هـ/ 719 م).

كذلك اشتغل ابنه عبد الله بعلم الحديث، غير أنه لم يحظ بشهرة أبيه. سمع الحارث الخولاني، وسعيد بن المسيب، ومرثد بن عبد الله اليزني، وعباس بن جُليْد الحجري، وآخرين.

وثقه ابن حبان، وروى له أبو داود، والنسائي، وسمع منه بعض أهل العلم، من أمثال: سعيد بن أبي أيوب، ورشدين بن سعد، ويحيى بن أيوب[6]، وغيرهم. مات سنة (131هـ/ 739م).

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 340.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 11، ص129.

(3) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ 2، ص 288، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 86.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 8، ص 151، ابن حبان: الثقات، جـ5، ص 491، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 9، ص 13.

(5) البخاري، خلق أفعال العباد (ص 281) رقم(269)، سنن أبي داود(12 / 458) رقم(4192)، سنن الترمذي(8 / 412) رقم(2318)، سنن الدارمي(6 / 246) رقم(2109)، صحيح ابن حبان(3 / 115) رقم(561)(4 / 4) رقم(756)(12 / 24) رقم(2826)، مسند أحمد بن حنبل(4 / 219) رقم(3864)(14 / 105) رقم(11355).

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص 468، العيني: مغاني الأخيار، جـ 3، ص 170، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 545.

⏮ خامسًا: أُسرة الهداج:

أما آخر الأُسر التي اشتغلت بعلم الحديث، فهي أسرة سليمان بن الهداج التجيبي. لم تذكر المصادر التاريخية عنه سوى أنه روى الحديث عن سعيد بن المسيب، وروى عنه: حرملة بن عمران[1]. ولم أعثر له إلا على حديث واحد في كتاب « الجامع » لعبد الله بن وهب[2].

ومن أحفاده الذين اشتغلوا برواية الحديث، على بن إبراهيم بن سليمان. لم تصلنا من أخباره سوى أنه توفي في شهر ذي القعدة سنة (327هـ/ 939م)[3].

⏮ ولي في النهاية عدة ملاحظات، أجملها فيما يلي:

أولاً: أن علم الحديث قد احتل المركز الأول بين العلوم الشرعية في عدد المشتغلين به من التجيبيين. فقد وصل عدد العلماء المشهورين منهم نحو [ثلاثة عشر] عالمًا، والمغمورين نحو[خمس وعشرون] عالمًا، وبجمع العددين يكون المجموع نحو[ثمانية وثلاثين] عالمًا. وأظن أن هذا عددٌ ليس بالأمر الهين؛ وادعي أنه قد يفوق عدد المشتغلين به في أي قبيلة أخرى سكنت أرض مصر، وساهمت في نهضتها العلمية والحضارية.

ثانيًا: إذا تعاملنا مع الأرقام من منظور إحصائي - غير محتسبين لعدد الأُسر - وجدنا أن القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي قد وصل عدد المحدثين فيه إلى نحو [تسعة] أفراد، يرتفع هذا العدد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى [ثمانية عشر] فردًا. وهذه ظاهرة طبيعية ؛ لأنه القرن الذي وصل فيه علم الحديث إلى ذروته من حيث الانتشار والتصنيف، أعني تصنيف المجامع الحديثية والمسانيد، ويمكنني القول: أن التجيبيين قد ساهموا في هذا النهضة مساهمة فاعلة ومؤثرة، وذلك من خلال بث علومهم بين تلاميذهم الذين رحلوا إليهم من الآفاق للأخذ عنهم. وبحلول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، نجد أن هذا العدد ينخفض بشكل ملحوظ ليصل إلى [ستة] أفراد فقط

---

(1) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 4، ص148.

(2) جـ1، ص 108، رقم(105) ونصه: قال : «حدثني حرملة بن عمران، عن أبي الهداج التجيبي، قال : قلت لسعيد بن المسيب : « كلما ذكر الله في القرآن من بر الوالدين عرفته . إلا قوله :﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة : الإسراء آية رقم : 23] ما هذا القول الكريم ؟، فقال ابن المسيب : « قول العبد المذنب للسيد الفظ».

(3) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 132، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 355.

. ولعل ذلك يرجع إلى كثرة العلوم الشرعية الأخرى، والتي أخذت تنافس علم الحديث منافسة هائلة. فإذا أضفنا إلى ما سبق وجود[خمسة] أفراد – لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيء عن تاريخ وفاتهم –ـ وصل بنا المجموع إلى [ثمانية وثلاثين] فردًا، وهذا عدد ليس بالقليل، مقارنة ببعض القبائل العربية الأخرى.

ثالثًا: أن التجيبيين كانوا محبين لمصر جدًا، فلم أعثر على أحد منهم رحل عنها إلى أي قطر أخر – هذا باستثناء الرحلة إلى مكة المكرمة من أجل الحج ـ، وأنهم كانوا يفضلون الإقامة فيها، يتعلمون ويعلمون في ربوعها، ولا غرابة فإن مصر لها عشق غريب على كل من وطئت أقدامه تراب أرضها.

رابعًا: من الأمور التي تستحق الإشادة بها ؛ الأُسر العلمية التي برزت في علم الحديث، فقد وصل عددهم إلى [خمسة] أُسر، عمل بعضهم بهذا العلم قراءة، وفهمًا، وحفظًا، وتعليمًا، ما يقرب من ثلاثة قرون كاملة. ولا شك أن هذا مجهود ضخم يحسب لهم، ويكتب في ميزان حسناتهم، ويميزهم عن باقي القبائل الأخرى، ويثبت مدى مساهماتهم في الحركة العلمية في مصر الإسلامية لعقود طويلة.

خامسًا: – وأخيرًا – مما يؤسف له أن الصفة الغالبة على علماء التجيبيين هي قلة التصنيف. فلم أعثر – بعد طول بحث – على أي مُصَنَّف حديثي لأحد علمائهم، يمكن الرجوع إليه، والنظر فيه، للوقوف على طريقتهم في التأليف والتصنيف.

المبحث الثالث:
المُحَدِّثون المعافريون في مصر الإسلامية.

كانت دراسة الحديث في العالم الإسلامي كله تقوم في البداية على روايته عن الصحابة والتابعين، ثم لما كثر الوضع في الحديث بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص السنن من الأحاديث التي صحت[1].

وقد ظهر في مصر كثير من المحدثين المعافريين، بعضهم نال حظًا من الشهرة، والبعض الآخر كان مغمورًا، لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته. مع التذكير؛ بأنه قد يرد في القسم الأول مَنْ حفظت لنا المصادر التاريخية سنة وفاته، ولكنه عاش ومات مغمورًا. والبعض الآخر صمتت المصادر عن ذكر تاريخ وفاته، ولكنه كان عَلَمًا من أعلام عِلْم الحديث في زمانه.

والواقع إن مصر في عصر الولاة[21 – 254هـ/ 641 – 868م] قد شهدت نشاطًا علميًا بارزًا، نهض به علماء مصريون وغير مصريين، وصارت مصر مركزًا لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، ويأتي في مقدمتها بلاد المغرب والأندلس، فأثرت مصر على سكانها في العلوم الدينية، والتي يأتي في مقدمتها علم الحديث.

من أشهر المحدثين الذين عاشوا في مصر في عصر الولاة، حَيّ بن يُؤْمِن بن جُحَيْل المِصْرِيُّ، أبو عُشَّانَة المَعَافِرِيُّ:(ت 118هـ/ 736م): روى عن جمع من الصحابة، منهم: عبدالله بن عمرو، وعمار بن ياسر، وعقبة بن عامر، و رويفع بن ثابت رضي الله عنهم، وغيرهم[2]. روى عنه: عمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وغيرهم[3]. وثقه

---

(1) د. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص 136.

(2) ابن قتيبة: المعارف، ص 98، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص515.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 119، السمعاني: الأنساب، جـ5، ص 333.

الإمامان أحمد بن حنبل[1]، ويحيى بن معين[2]، وقال أبو حاتم: «صالح الحديث»[3]، وقال تلميذه عبد الله بن لهيعة: «حي بن يؤمن، رجل من أحبار اليمن»[4]، وذكره ابن حبان في الثقات؛ ولما خرج حديثه في صحيحه، قال فيه: «من ثقات أهل مصر»[5]، كما وثقه الفسوي[6]، ومن المحدثين المعاصرين الشيخ الألباني[7]، وروى له أصحاب السنن[8].

ومنهم، القاسم بن عبد الله المعافري المصري:(ت 120هـ/ 738م): روى عن سادات التابعين، من أمثال سعيد بن المسيب، وأبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، وغيرهما[9]. وثقه علماء الجرح والتعديل[10]. روى عنه: يحيى بن أيوب، وابن لهيعة، وغيرهما[11]. وقد روى له الإمام أحمد حديثًا واحدًا في مسنده[12].

وفي نفس العام توفي أيضًا، مِشْرَحِ بنِ هَاعَانَ، أبو مُصَعبْ المَعَافِرِيُّ المِصْرِيُّ، روى عن عقبة بن عامر، وغيره. وروى عنه جمع من أعلام المدرسة المصرية، من أمثال: بكر بن عمر، وعبد الله بن المغيرة، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وآخرون. وثقه ابن معين، و لينه ابن حبان فقال: «له مناكير»[13].

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، جـ2، ص 397، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 145.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ3، ص 63.

(3) الجرح والتعديل، جـ3، ص 276.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ7، ص 512.

(5) الثقات، جـ4، ص 189، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 197.

(6) خليفة بن خياط: الطبقات، الطبعة الأولى، السعودية، دار طيبة،1982م، ص 536، البخاري: التاريخ الصغير، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار المعرفة، 1986م، ص 297.

(7) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة الأولى، جـ1، السعودية، مكتبة المعارف،1995 م، ص 40 – 337، وكتابه: الثمر المستطاب في فقه السُّنَّة والكتاب، الطبعة الأولى، السعودية، دار غراس، 2001م، ص 145.

(8) الطبراني: المعجم الكبير:(12 / 266) حديث رقم(14242)، الطبراني: المعجم الأوسط :(1 / 258) حديث رقم(259)، ابن حبان: صحيح ابن حبان:(9 / 67) حديث رقم(2074)،(9 / 81) حديث رقم(2081)، أحمد بن حنبل: المسند:(17 / 136) حديث رقم(17475)، المزي: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف :(9 / 240) حديث رقم(9919)، أبي داود: السنن:(2/ 4) حديث رقم(1203)، النسائي: السنن:(2/ 247) حديث رقم(1642)،(8/ 353) حديث رقم(9374)، ابن ماجه: السنن:(2/ 1210) حديث رقم(3669)، الحاكم: المستدرك على الصحيحين:(1/ 331) حديث رقم(766)،(2/ 81) حديث رقم(2393)، (4/ 212)حديث رقم(7403)، (4/ 615) حديث رقم(8704).

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص204، ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص 283.

(10) ابن حبان: الثقات، جـ7، ص 333، الرازي: الجرح والتعديل، جـ10، ص 112.

(11) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 160.

(12) الحسيني: الإكمال، جـ1، ص657، أحمد بن حنبل: المسند الإمام أحمد، جـ 7، ص83، حديث رقم(7064).

(13) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص470، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص270، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 475.

وأما ثالث مَن توفي في هذا العام، فهو: شُرَاحِيْلَ بنِ يَزِيْد المَعَافِرِي المِصْرِيُّ: روى عن أبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، ومحمد بن هدية الصدفي، ومسلم بن يسار، وأبي علقمة الهاشمي، وغيرهم[1]. روى عنه عبد الرحمن بن شريح، وابن لهيعة، ورشدين بن سعد، وجماعة[2]. قال ابن يونس: «رأيته في ديوان المعافر في الجبزا، والجبزا بطن من المعافر»[3]، وذكره ابن حبان في الثقات[4]، وروى له أصحاب السنن[5].

ومن أشهر أعلام المدرسة المصرية في علم الحديث خلال هذه الفترة، بَكْرُ بنُ عَمْرٍو المَعَافِرِيُّ المِصْرِيُّ: (ت 140هـ/ 757م) حفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم حُبب إليه علم الحديث، فسمع من أعلام عصره، من أمثال: إبراهيم بن مسلم بن يعقوب القبطي، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وشعيب بن زرعة، وأبى عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلى، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وآخرين[6]. كان بكر حسن الصوت، غزير العلم، تولى إِمَامَة جَامِعِ عمرو بن العاص بالفُسْطَاطِ. يضاف إلى ذلك، أنه – كما قال الذهبي – : «ثِقَةً، ثَبْتًا، فَاضِلًا، كَبِيْرَ القَدْرِ، ذا فضل وتعبد، محله الصدق»[7]. وقال ابن يونس: «كانت له عبادة وفضل»[8]. كل هذه الصفات جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من آفاق العالم الإسلامي للأخذ عنه، والاهتداء بسمته قبل علمه، فروى عنه: أسود بن خير المعافري، وحيوة بن شريح، وعبد الله بن لهيعة، ونافع بن يزيد، ويحيى بن أيوب، ويزيد بن أبى حبيب، وغيرهم[9]. روى له أصحاب السنن[10]. قال الذهبي: «مات شابًّا ما أحسبه تكهل»[11].

---

(1) الذهبي: المصدر السابق، جـ8، ص128، السيوطي: المصدر السابق، جـ1، ص274.

(2) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 414، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ4، ص281.

(3) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 177، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس،جـ1، ص229.

(4) ابن حبان: الثقات، جـ6، ص450، البخاري: التاريخ الكبير، جـ4، ص 255، الرازي: الجرح والتعديل، جـ6، ص 374.

(5) البخاري: خلق أفعال العباد:(ص 283) حديث رقم(270)، مسلم: صحيح مسلم:(1 / 24) حديث رقم(8)، سنن أبي داود:(11 / 362) حديث رقم(3740)، المستدرك على الصحيحين للحاكم:(19 / 497) حديث رقم(8739)، المعجم الأوسط للطبراني:(3 / 200) حديث رقم(1239)، (14 / 293) حديث رقم(6715)، تهذيب الآثار للطبري:(2 / 434)حديث رقم(551)، مشكل الآثار للطحاوي:(6 / 448) حديث رقم(2484)، مسند أحمد بن حنبل:(6 / 227) حديث رقم(6637).

(6) البخاري: المصدر السابق، جـ2، ص 91، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ1، ص 426، العيني: مغاني الأخيار، جـ1، ص110.

(7) سير أعلام النبلاء، جـ11، ص 251، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص86.

(8) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ2، ص198، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص72.

(9) ابن حبان: الثقات، جـ6، ص 103، الرازي: الجرح والتعديل، جـ2، ص 390، أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح، جـ1، ص 275.

(10) صحيح البخاري:(13 / 457) حديث رقم(4153)، تفسير ابن كثير: (1 / 526): المستدرك على الصحيحين للحاكم:(5 / 320) حديث رقم(2177)، (20 / 66) حديث رقم(8806)، المعجم الكبير للطبراني:(12 / 265)حديث رقم(14241)، مشكل الآثار للطحاوي:(1 / 418) حديث رقم(355)، مسند أحمد بن حنبل: (17 / 106) حديث رقم(17358).

(11) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص387.

ولم تكد تمر سنتان على وفاة بَكْرُ بنُ عَمْرٍو المَعَافِرِيُّ، حتى فُجِعت مصر بفقد عالم آخر، هو محمد بن معاوية بن بَجير المعافري المصري:(ت 142هـ/ 759م) والذي اشتغل بعلم الحديث، ثم أخذته السياسة عن العلم ؛ فقد استخلفه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس[96 – 151 هـ/ 714 – 768 م] على الفسطاط لمّا تبع مروان بن محمد[72 – 132 هـ/ 692 – 750 م]، آخر خلفاء الدولة الأموية . ثم ولاه محمد بن الأشعث الشرطة سنة [142هـ/ 759م]، ثم استخلفه على الفسطاط عندما خرج إلى الإسكندرية. روِي عنه عبد الله بن لهيعة، وبكر بن مضر[1].

أما حُيَيُّ بنُ عَبْدِ الله المُعَافِرِيُّ، أبو عبد الله المصري:(ت 143هـ/ 760م): فقد روي عن أبي عبد الرحمن الحبلي، وغيره[2]. وروى عنه الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن وهب، وآخرين[3]. اختلف المحدثون في الحكم عليه، قال الذهبي: «صالح الحديث»[4]، وأثنى عليه ابن حبان بقوله: «كان من خيار أهل مصر، ومتقنيهم، وكان شيخًا جليلاً فاضلاً»[5]، وقال ابن معين: «ليس به بأس»[6]. على حين قال أحمد بن حنبل: «أحاديثه مناكير»[7]، وقال النسائي: «ليس بقوي»[8]، ويبدو لي أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، خاصة وقد روى له أصحاب السنن[9].

وفي نفس العام، توفي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مَيْمُونٍ، أَبُو مَرْحُومٍ المُعَافِرِيُّ، أصله من المدينة المنورة [10]، رحل إلى مصر، وسكن الفسطاط في حي المعافر فنسب إليهم. روى عن سهيل بن معاذ الجهني، ويزيد بن محمد القرشي، وعلي بن رباح، ومحمد بن يوسف الدمشقي،

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ7، ص273.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 76، ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 201.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ4، ص 340، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 145.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ9، ص 119.

(5) ابن حبان: الثقات، جـ 6، ص 235، وكتابه: مشاهير علماء الأمصار، ص 298.

(6) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص273.

(7) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص271، العقيلي: الضعفاء الكبير، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1984م، ص405.

(8) النسائي: الضعفاء والمتروكين، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار المعرفة، 1986 م، ص171.

(9) سنن أبي داود:(8 / 360) حديث رقم(2701)، سنن الترمذي:(5 / 89) حديث رقم(1204)، سنن النسائي:(6 / 367) حديث رقم(1809)،(16 / 365) حديث رقم(5380)،(16 / 384) حديث رقم(5392)، سنن ابن ماجه:(2 / 16) حديث رقم(419)، (5 / 102) حديث رقم(1603)، مسند أحمد بن حنبل:(16) موضعًا.

(10) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص137، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ6، ص 148.

وإسحاق بن ربيعة بن لقيط، وغيرهم[1]. قال يحيى بن معين: «ضعيف الحديث»[2]. وقال أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتج به»[3]. وقال النسائي: «أرجو أنه لا بأس به»[4]. وقال ابن ماكولا: «زاهد يعرف بالإجابة والفضل»[5]. روى عنه: سعيد بن أبي أيوب، ونافع بن يزيد، ويحيى ابن أيوب، وابن لهيعة، وغيرهم[6]. كما روى له أصحاب السنن[7].

ومن أهل المدينة المنورة أيضًا، قُرَّةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَيْوَئِيلَ الْمَعَافِرِيُّ:(ت 147هـ/ 764م)، سكن مصر ونزل بحي المعافر فنسب إليهم. نشأ قُرَّةَ في أسرة علمية، فأبوه كان «من ثقات أهل مصر، وكان يتورع»[8]. فاعتنى بتربية ولده، وحَببَّ إليه علم الحديث، فرحل الولد في طلبه، وسمع من أقطاب المحدثين في زمانه، من أمثال: الإمام الزهري، وربيعة الرأي، ويحيى وسعد بني سعيد المدني، وآخرين[9]. روى عنه الإمام الاوزاعي – وكان من أقرانه ـ، والليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، ورشد بن سعد، وغيرهم[10].

لازم قرة الإمام محمد بن شهاب الزهري فترة طويلة، حتى صار من أخص تلاميذه، وراوية علمه. قال يزيد بن السمط : «أعلم الناس بالزهري، قرة بن عبد الرحمن»[11]. على حين عقب ابن أبي حاتم على ذلك بقوله: «كيف يكون قرة بن عبد الرحمن أعلم الناس بالزهري وكل شيء روى عنه لا يكون ستين حديثًا، بل أتقن الناس في الزهري مالك

---

(1) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 598، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ6، ص 275، وكتابه: لسان الميزان، جـ3، ص 221.

(2) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 262.

(3) الرازي: الجرح والتعديل، جـ8، ص 339.

(4) ابن حبان: الثقات، جـ7، ص 134.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ20، ص 428.

(6) البخاري: التاريخ الكبير، جـ6، ص 101.

(7) سنن الترمذي:(2 / 350) حديث رقم(472)، (7 / 315) حديث رقم(1944)، (9 / 21) حديث رقم(2405)،(9 / 33) حديث رقم(2417)، (9/ 61) حديث رقم(2445)، (11 / 359) حديث رقم(3380)، المستدرك على الصحيحين للحاكم:(4 / 416) حديث رقم(1823)، (17 / 219) حديث رقم(7478)، المعجم الكبير للطبراني: (12 / 261) حديث رقم(14228)،(12 / 261) حديث رقم(14228)، (15 / 108) حديث رقم(16797)، (15 / 108) حديث رقم(16799)، (15 / 109) حديث رقم(16801)، مشكل الآثار للطحاوي:(6 / 394) حديث رقم(2436)، مسند أحمد بن حنبل: (15 / 112) حديث رقم(15668)، (15 / 113) حديث رقم(15669)، (15 / 114) حديث رقم(15676)، سنن ابن ماجه:(10 / 7) حديث رقم(3276).

(8) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 300.

(9) ابن حبان: المصدر السابق، ص 301، السمعاني: الأنساب، جـ5، 333.

(10) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 183، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص277.

(11) ابن حبان: الثقات، جـ7، ص 342، العقيلي: الضعفاء الكبير، جـ7، ص 287.

ومعمر والزبيدي ويونس وعقيل وابن عيينة. هؤلاء الستة أهل الحفظ والاتقان والضبط والمذاكرة وبهم يعتبر حديث الزهري إذا خالف بعض أصحاب الزهري بعضًا في شيء يرويه»[1]. ولا يعد هذا طعنًا في رواية قرة، فقد انفرد برواية حديث «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع »[2]، قال الخليلي : «هذا حديث لم يروه عن الزهري إلا قرة، وهذا ليس عند عقيل ولا غيره من المكثرين من أصحاب الزهري»[3]. كما رُوي عنه قوله: «لم يكن للزهري كتاب، إلا كتاب فيه نسب قومه»[4]، وفي هذا أكبر دليل على مدى الاتصال الوثيق الذي كان بين قُرة وشيخه الإمام الزهري حتى يقول عنه ذلك. وأخيرًا، ما ضر قُرة ما قاله عنه ابن أبي حاتم، خاصة وقد روى له أصحاب السنن في مصنفاتهم[5]، وقالوا بتوثيقه.

ومن الجدير بالذكر، أن قُرة كان شجاعًا قوالاً للحق، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم، قال يعقوب الفسوي: «سمعت شيوخ مصر يقولون: لما عمل[الخليفة الأموي] هشام بن عبد الملك[105 – 125هـ / 724 – 743م] صاعه[6] ومُدُّه[7]، أرسل بهما إلى مصر، فأدخل الصاع[8] المسجد فداروا به على حِلْق المسجد، فلما انتهوا به إلى قرة بن حيوئيل ضرب به الأرض[كَسَرَه]. فرُفِع ذلك إلى هشام فقال: اسكتوا[عنه]. فلما قامت

---

(1) الرازي: الجرح والتعديل، جـ10، ص 131، د. سعدي الهاشمي: دراسة حول قول أبي زرعة الرازي[ت 264هـ] في سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية[بدون – تاريخ]،جـ26، ص211.

(2) سنن أبو داود: كتاب الأدب، حديث رقم:(4840)، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، حديث رقم:(1894).

(3) د . عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي: تفصيل المقال على حديث كل أمر ذي بال، السعودية، مجلة البحوث الإسلامية، جـ39، ص196.

(4) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ1،641، د. محمد بن محمد العواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة الأولى، جـ1، [لم تذكر دار الطبع]، 2004م، ص 154.

(5) سنن ابن ماجه:(11 / 472) حديث رقم(3966)، المستدرك على الصحيحين للحاكم:(15 / 354) حديث رقم(6726)، صحيح ابن حبان:(15 / 11) حديث رقم(3576)، صحيح ابن خزيمة:(7 / 390) حديث رقم(3009).

(6) الصاع: أربعة أمداد، عند أهل المدينة، وثمانية أرطال عند أهل الكوفة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، جـ1، ص 2، أي يساوي 5 رطل بالمصري، علي باشا مبارك: الميزان في الأقيسة والمكاييل والأوزان، الطبعة الأولى، مصر، مجمع اللغة العربية، 2011م، ص 134، أي يساوي: قدحًا وثلثًا بالوزن المصري. د. محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية في الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، مصر، دار الأنصار، 1997م، ص 319.

(7) المُدَ: رطل وثلث. الخوارزمي: المصدر السابق، نفس الصفحة، أي يساوي 1 رطل، علي باشا مبارك : المرجع السابق، نفس الصفحة، أي يساوي قدح بالكيل المصري، د. محمد ضياء الدين الريس: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(8) الصاعُ : الذي يُكالُ به، وتَدُورُ عليه أحكامُ المُسْلميَن، وهو أربعةُ أمْدادٍ، كلُّ مُدٍّ رِطْلٌ وثُلُثٌ، قال الداوُودِيُّ: مِعْيارُه الذي لا يَخْتَلِفُ: أربعُ حَفَناتٍ بكَفَّيِ الرَّجُلِ الذي ليس بعَظيمِ الكَفَّيْنِ ولا صَغيرِهِما. قال الفيروزآبادي: «وجَرَّبْت ذلك فَوَجَدْتُه صحيحًا». الفيروزآبادي: القاموس المحيط، الطبعة الأولى، بيروت، (بدون – تاريخ)، ص:739، ويُقدَّر الآن بثلاثة عشر كيلوجرامًا تقريبًا. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1429 هـ – 2008 م، جـ2، ص 1335.

الدولة العباسية خرج وفد من مصر وفيهم قرة [إلى بغداد]، فقيل: هذا قرة كاسر الصاع، فقال الخليفة أبو جعفر المنصور[136 - 158هـ/ 754 ـ775م]: هل لك أن تكسر لنا أُمدًا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن بُعِثَ موتانا كسرتُ المختوم والصاع»[1].

ومن المحدثين المعافريين كذلك، نَهْر بن منصور المعافري، أبو الفرج الأُهْجوري: (ت 148هـ/ 765م): حدث في مسجد الأُهْجور من المعافر، عن عبد الله بن شراحيل المعافري. روى عنه موسى بن سلمة، وعبد الله بن وهب. قال ابن يونس: «رأيته في ديوان المعافر بمصر في بني حارف»[2].

ومنهم، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ، أبو شريح المعافريّ الإسكندراني(ت 167هـ/ 784م): الإمام، القدوة، الرباني، العابد[3]. حدث عن: أبي قبيل المعافري، وموسى بن وردان، وأبي هانئ حميد ابن هانئ، وأبي الزبير المكي، وجماعة[4]. قال الذهبي: «كان متألهًا، زاهدًا، مقبلا على شأنه»[5]. وثقه يحيى بن معين[6]. وقال أبو حاتم: لا بأس به[7]. وقد روى له الشيخان وأصحاب السنن[8]. كما روى عنه: عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن صالح، وهانئ بن المتوكل، وآخرون[9]. كان أبو شريح يتفقد طلابه، ويحثهم على الورع والخشية من الله تعالى، قال محمد بن عبادة المعافري: «كنا عند أبي شريح

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام،جـ9، ص 256.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ1،ص231 مادة « الُأهْجوري»، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 495، ولم أعثر علي ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(3) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص281، السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 294، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ1، ص 263.

(4) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 573، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ12، ص 113.

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ5،ص 296، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ7، ص 182.

(6) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ7، ص 516، العجلي: معرفة الثقات، جـ2، ص 79، الباجي: التعديل والتجريح، جـ2، ص 185.

(7) الرازي: الجرح والتعديل، جـ8، ص 244، ابن حبان: الثقات، جـ8، ص370.

(8) صحيح البخاري :(22 / 279) حديث رقم(6763)، خلق أفعال العباد للبخاري: (ص 283) حديث رقم(270)، صحيح مسلم:(10 / 26) حديث رقم(3537)، سنن أبي داود:(4 / 316) حديث رقم(1299)، (4 / 323) حديث رقم(1306)، (11 / 362) حديث رقم(3740)، سنن الترمذي: (6 / 211) حديث رقم(1577)، سنن النسائي:(10 / 167) حديث رقم(3066)، (10 / 238) حديث رقم(3111)، (10 / 239) حديث رقم(3112)، (10 / 246) حديث رقم(3116)، سنن ابن ماجه: (8 / 306) حديث رقم(2787)، سنن الدارمي:(1 / 105) حديث رقم(91)، (1 / 431) حديث رقم(396)، (7 / 279) حديث رقم(2452)، (7 / 282) حديث رقم(2455)، (7 / 282) حديث رقم(2455)، صحيح ابن حبان:(4 / 218) حديث رقم(864)، (13 / 379) حديث رقم(3259)، مسند أحمد بن حنبل:(6 / 226) حديث رقم(6633)، (6 / 227) حديث رقم(6637)، (17 / 74) حديث رقم(17252).

(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 281، ابن الجوزي: المنتظم، جـ3، ص93.

– رحمه الله فكثرت المسائل، فقال: قد درنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق، فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقسي القلب، وتورث العداوة»[1]. مات أبو شريح في شعبان، وكان من العلماء العالِمين[2].

وفي سنة(172هـ / 788م) فقدت مصر، المحدث المشهور، الْوَلِيدِ بن الْمُغِيرَةِ الْمَعَافِرِيِّ، أبو العباس المصري، روى عن مشرح بن هاعان، و واهب بن عبدالله المعافري، والحارث بن يزيد الحضرمي، وعبد الله بن بشر الخثعمي، وعبد الله بن هبيرة السبائي، وغيرهم[3]. روى عنه ابنه عبدالحميد، وعبد الله بن وهب، وزيد بن الحباب، وأبو سلمة الخزاعي؛ وقال: «لم أرَ بمصر أثبت منه»[4]، وعبد الله بن أيوب التنيسي، وجماعة[5]. وثقه بعض أهل العلم، وروى له البخاري وبعض أصحاب السنن[6].

أما خُنَيْسُ بْنُ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى الْمَعَافِرِيُّ الِمصْرِيُّ:(ت 183هـ / 799م): فقد نشأ نشأة علمية، فأباه كان أحد المؤرخين المصريين، فسمع منه، ومن أبي قُبَيل المعافري. روى عنه: عبد الله بن الحكم، ويحيى بن بكير، وجماعة. كان من الصالحين[7]، وقد انفرد برواية حديث الدجال[8]. قال الحافظ ابن كثير معقبًا على هذا الحديث: «تفرّد به خُنَيْس، وما علمنا به جرحًا وإسناده صحيح»[9].

---

(1) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 256، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ10، ص 318.

(2) الذهبي: العبر، جـ1، ص 46، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ6، ص71، ابن يونس الصفدي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص305.

(3) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 282، ابن يونس الصفدي: المصدر السابق، جـ1، ص 503.

(4) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ11، ص 136.

(5) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ4، ص 349.

(6) خلق أفعال العباد للبخاري:(1 / 284) حديث رقم(271)، مراسيل أبي داود:(1 / 105) حديث رقم(82)،(2 / 90) حديث رقم(481)،المعجم الكبير للطبراني:(2 / 24) حديث رقم(1200)، مسند أحمد بن حنبل:(19 / 26) حديث رقم(18977)، مسند الصحابة في الكتب التسعة:(44 / 144) حديث رقم(227)، مسند الروياني:(1 / 251) حديث رقم(214)، معجم الصحابة لابن قانع:(1 / 199) حديث رقم(117) .

(7) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص394، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص146، الزبيدي: تاج العروس، جـ2، ص 163.

(8) نص الحديث: « قال يعقوب بن سليمان الفسوي في مسنده، حدثنا يحيى بن بكير، حدثني خنيس بن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي ليلى جبارة بن أبي أمية أن قومًا دخلوا على معاذ بن جبل ﵁ وهو مريض، فقالوا له: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم تنسه؟ فقال: أجلسوني. فأخذ بعض القوم بيده، فجلس بعضهم خلفه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِن نبيّ وقد حذَّر أمّتَه الدجالَ وإني أحذِّرُكُمْ أمْرَهُ إنَّهُ أعورً، وإن ربي ليس بأعوَرَ، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤُه الكاتبُ وغير الكاتِب، معه جنَّةٌ ونارٌ فناره جنّةٌ وجَنَّتُهُ نار». عبد الغني المقدسي: أخبار الدجال، الطبعة الأولى، مصر، دار الصحابة للتراث، 1993م، ص 74، قال: «إسناده جيد تفرد به خنيس وما علمت في خنيس جرحة».

(9) ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الجيل، 1988م، ص 105.

ومن المعافريين قليل الرواية في الحديث، محمد بن معاوية بن جعفر المعافري:(نحو 190هـ/ 805م): روى عن واهب بن عبد الله الكعبي [ت 137هـ/ 755م) . روى عنه: سعيد بن كثير بن عفير[ت 226هـ/ 841م][1].

ومن المعافريين الذين غادروا مدينة الفسطاط ونزل بمدينة الْبُرُلُّس، لنشر العلم بن أبنائها، عَبْدُ اللهِّ بْنُ يَحْيَى الْبُرُلُّسِيّ[2]، أبو يَحْيَى الْمَعَافِرِيُّ:(ت 212هـ/ 827م): روى عن حرملة بن يحيَى التُجِيبي، ويحيى بن شريح، وسعيد بن أبى أيوب، والليث بن سعد، وآخرين[3]. روى عنه جعفر بن سنان التنيسي، والحسين بن عبد العزيز الجروي، ومحمد بن ميمون المعافري، وأبو هريرة وهب الله بن رزق المصري، وآخرون[4]. قال أبو زرعة وأبو حاتم: «لا بأس به»[5]، وذكره ابن حبان في الثقات[6]، روى له البخاري، وأبو داود، وغيرهما[7].

مع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبالتحديد في عام (215هـ/ 830م)، فقدت مصر، المحدث محمد بن عاصم بن حفص المعافري، أبو عبد الله المصري. روى عن: ضمام بن إسماعيل، ومفضل بن فضالة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومالك بن أنس، وعبد الله بن نافع، وآخرون[8]. روى عنه: عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم، ومحمد بن مخلد المالكي، ومحمد بن يحيى الذهلي، وغيرهم[9]. قال ابن أبي حاتم: «كَتَبَ عنه

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ7، ص 274.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان: جـ1، ص286.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 328» مادة: البرلسي»، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ15، ص241، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص286.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ5، ص 232، العيني: مغاني الأخيار، جـ3، ص 175، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص290.

(5) الباجي: التعديل والتجريح، جـ2، ص 171، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 546.

(6) ابن حبان: الثقات، جـ8، ص 339، د. محمد مهدي المسلمي: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، الطبعة الأولى، جـ2، دولة لبنان، عالم الكتب، ص 45.

(7) صحيح البخاري:(6/ 62) حديث رقم (4650)،(6/ 135) حديث رقم(4837)، سنن أبي داود:(1/ 90) حديث رقم(331)،(3/ 274) حديث رقم(3462)، المعجم الكبير للطبراني:(5 / 58) رقم(4755)، (5 / 329) حديث رقم(5436)،(13 / 252) حديث رقم(15210)، سنن الدارقطني:(2 / 252) حديث رقم(689)، مسند الشاميين للطبراني:(7 / 126) حديث رقم(2360)، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف:(12 / 26) حديث رقم(16400)، مسند البزار:(2 / 248) حديث رقم(5887).

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ15، ص 373.

(9) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 287.

أبي»[1]، وقال أبو بكر الباغندي: «محمد بن عاصم المعافري ثقة، ثقة»[2]، وقال ابن عدي: «حدثنا محمد بن عاصم بن حفص، وكان من ثقات أصحابنا، قال: حججت ومالك[بن أنس] حي فلم أرَ أهل المدينة يشكون أن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متهم. قلت له: فيم ذا؟ قال: في الإسلام»[3]، وقال أبو سعيد بن يونس: «ثقة، توفي يوم الأحد لخمس خلون من صفر، والمنية التي بالجيزة بفسطاط مصر المعروفة بمنية بني يناق[4] هي التي كانت لجده»[5]، وقد روى له ابن ماجه حديثًا واحدًا في سننه[6].

ومن المحدثين المعافريين المغمورين؛ ذُؤَالَة بن عبد الملك المعافري، من الموالي، توفي في شهر ربيع الأول، سنة(218هـ/ 833م) [7]. ومنهم أيضًا، محمد بن عباد بن زياد المعافري الإسكندراني، الذي توفي في نفس العام، روى عن: عبد الرحمن بن أبي شريح، وروى عنه: أبو يحيى الوقاد، وهانيء المتوكل[8]، ولم أعثر لهما على رواية.

أما الْقَاسِمُ بن يَزِيدَ بن عَوَانَةَ، أَبُو صَفْوَانَ الكلابيّ المعافريّ:(المتوفى في 227هـ / 842م): فقد سكن الفسطاط، ثم رحل في طلب العلم، فنزل دمشق[9]، وروى عن يحيى بن كثير، وحسّان الأزرق، وغيرهما[10]. روى عنه: حسان بن سياه، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن إسماعيل التّرمذيّ، وجماعة. قال أبو إسماعيل الترمذي: «لا بأس به، رأيته يفهم الحديث»[11]. روى له الطبراني[12].

هؤلاء هم أشهر المحدثين المعافريين الذين عاشوا في مصر في عصر الولاة.

---

(1) الرازي: الجرح والتعديل، جـ11، ص 46.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ9، ص 213.

(3) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، جـ1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1997م، ص 185، المزي: تهذيب الكمال، جـ2، ص449، ابن العديم: بغية الطلب، جـ2، ص29.

(4) لم اعثر على ترجمة وافية لهذه المحلة، فيما تحت يدي من كتب البلدان والجغرافيا والرحلات.

(5) المزي: المصدر السابق، جـ25، ص 423، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص450.

(6) سنن ابن ماجة:(2/ 864) حديث رقم(2592).

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ3، ص 391، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 164.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ15، ص 374، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(9) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ6، ص 323، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 300.

(10) ابن ماكولا: الإكمال، جـ7، ص 347.

(11) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ16، ص336.

(12) المعجم الكبير للطبراني:(11 / 243) حديث رقم(486)، المعجم الأوسط للطبراني:(9 / 121) حديث رقم(4068)، تفسير ابن أبي حاتم:(1 / 55).

ولم تكد تقوم الدولة الطولونية، ويستقر أحمد بن طولون[254 - 292هـ/ 868 - 905م] على عرش مصر، حتى فقدت مصر محدثها، عمارة بن الحكم بن عباد المعافري، أبو بكر الإسكندراني المَوْهِبي:(ت 257هـ/ 871م): قال السمعاني: «من أهل الإسكندرية، حديثه معروف، وكان فاضلاً صالحًا»[1]، وأضاف المناوي: «كان صاحب تآليف»[2]، غير أنه لم يذكر لنا أسماء مؤلفاته.

وبعده بقليل، توفي محمد بن الفضل بن صالح المعافري:(ت 264هـ/ 877م): كان قليل الرواية، سمع من ابن وهب[3]. وفي نفس العام توفي أيضًا محمد بن هلال بن جعفر بن عبد الرحمن، أبو الفضل المصري، ولد بالفسطاط، وحدث بها عن خالد بن نزار، وغيره. وتقلد الخراج بمصر بعد أحمد بن محمد بن المدبّر . وكان صدوقًا في الحديث، من أهل الجود والكرم. قال المقريزي: «وله آثار بالمعافر وخير، لم يزل قائمًا حتى دثرت المعافر»[4].

وهكذا يتضح لنا أن الدولة الطولونية قد عاش في ظلالها ثلاثة من المحدثين المعافريين، تقلد أحدهم أحد المناصب الهامة فيها وهي ولاية الخراج.

بعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر مرة ثانية إلى حكم الخلافة العباسية مباشرة، وعاد الولاة يعينون من قِبل الخليفة العباسي في بغداد، وخلال تلك الفترة ظهرت مجموعة من المحدثين المعافريين المغموريين، منهم، علي بن الحسن، أبو الحسن الكموني:(ت 298هـ / 911م): قال عنه ابن يونس: «من بني كمونة قد جرت دعوتهم في المعافر، توفي في ذي الحجة»[5]. وبعده بعام توفى، أحمد بن إبراهيم بن الحكم بن صالح، أبو دُجانة القِرَافِي، الذي روى عن حَرْمَلة بن يحيى[6]، وهارون بن سعيد الأيْليِّ[7]،

(1) السمعاني: الأنساب، جـ5، ص 410، مادة « المَوْهِبي».

(2) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، جـ3، مصر، المكتبة التجارية،1973م، ص300، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ6، ص 521.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ7، ص 403.

(5) السمعاني: الأنساب، جـ5، ص 95، مادة : «الكموني».

(6) السمعاني: نفس المصدر، جـ4، ص 465، مادة: «القرافي»، الهمداني: عجالة المبتدي، ص30، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ5، ص 237، ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص 55.

(7) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 80، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص373، مادة: « القرافة».

وجماعة سواه وعامتهم بمصر. وثقه ابن يونس، وحدث عنه[1]، روى له الإمام البيهقي[2]. ومنهم كذلك، بسام بن أحمد بن بسام بن عمران، أبو الحسن المعافري، روى عن يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن المقرئ، وغيرهما. كان ثقة في روايته. توفي في شوال سنة (302هـ/ 914م)[3]. وكان آخرهم، محمد بن رمضان بن شاكر الجيشاني، أخذ العلم عن محمد بن عبد الله بن الحكم، وكان أقرب تلامذته إليه، و وارث علمه، جلس في موضع شيخه بعد وفاته. قال عنه الربيع بن سليمان: «ما علمتُ عليه إلا خيرًا»[4]، توفي في المحرم سنة(321هـ/ 933م).

وبقيام الدولة الإخشيدية ازدهر علم الحديث في مصر خلال تلك الفترة، فظهر كثير من المحدثين المعافريين الذين اشتغلوا بعلم الحديث، ومنهم: أحمد بن إبراهيم بن كمونة. أبو جعفر المعافري المصري:(ت 324هـ / 936م): روى عن: علي بن معبد، ويونس بن عبد الأعلى. وثقه ابن يونس، وحدث عنه[5]. وفي نفس العام توفي أيضًا، نصر المعافري، والذي صمتت المصادر التاريخية عن ذكر شيوخه وتلاميذه، سوى أنه دفن في مقابر المعافر بجبل المقطم[6].

ومن المحدثين المعافريين أيضًا، إِبْرَاهِيْمَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ خَلَفٍ بن قُدْيد(ت 335هـ / 947م): سمع الربيع بن سليمان المرادي، وغيره. قال أبو سعيد بن يونس: «لم يكن بذلك»[7]، ومنهم، محمد بن أحمد بن هاشم، أبو بكر المعافري:(ت 343هـ/ 954م): مولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح. قال ابن يونس: «كان مخلطًا، حدّث وكان يكذب. وحدّث بنسخة موضوعة»[8]. وكان آخرهم، الحسن بن علي بن الفضل، أبو بكر المعافري: (ت351هـ / 962م): المعروف بابن كُبَّه[9]. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيء عنه.

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ6، ص 419، العيني: مغاني الأخيار، جـ5، ص 459، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 7.

(2) البيهقي: شعب الإيمان:(10 / 40)، البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى:(2 / 79)، معجم ابن الأعرابي:(2 / 431) حديث رقم(930).

(3) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص62.

(4) ابن يونس الصدفي: نفس المصدر، جـ1، ص 446.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ24، ص141.

(6) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص293.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ7، ص 103، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ25، ص 122، وكتابه: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 63، ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص45.

(8) المقريزي: المقفى الكبير، جـ5، ص 288.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ26، ص 52، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

هكذا يتضح لنا أن الدولة الإخشيدية قد ظهر فيها خمسة من المحدثين المعافريين، ولكنهم – والحق يقال – كانوا من المغموريين، الذين لم يتركوا لنا أثرًا واضحًا في علم الحديث.

هذا، ولما تولى المعز لدين الله عرش الخلافة الفاطمية سنة (341هـ/ 945م) في بلاد المغرب العربي، اشتدت رغبته في فتح مصر، فجهز جيشًا ضخمًا بلغ تعداده مائة ألف مقاتل، بقيادة القائد جوهر الصقلي؛ والذي نجح في القضاء على الدولة الإخشيدية في سنة(358هـ/ 969م)، وأسس مدينة جديدة هي القاهرة، ولم يمضِ عامان حتى انتهى من تأسيسها وبناء جامعها الأزهر.

ولما استقر الأمر في مصر للقائد جوهر كتب إلى الخليفة المعز لدين الله يستدعيه ليتولى بنفسه حكم مصر، وفي رمضان سنة(362هـ/ يوليو 973م) انتقل المعز إلى القاهرة على رأس أفراد أسرته، وأصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية.

وقد نجح الفاطميون في جعل مصر مقرًا للعلوم والفنون، ومركز إشعاع جذب إليه كثيرًا من العلماء، يأتي في مقدمتهم، محمد بن القاسم، أبو عبد الله المعافري: لم أعثر على ترجمة وافية له، غير قول المقريزي : «توفي يوم الجمعة النصف من جمادى الأولى»[1] سنة (391هـ/ 1000م). وكان آخرهم محمد بن عبد الله، أبو القاسم المعافري: ولم تقدم لنا المصادر التاريخية عنه شيئًا، إلا قول المقريزي : «مات يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة» [2] سنة(434هـ/ 1042م).

صفوة القول، أنه على الرغم من شهرة وقوة الدولة الفاطمية واهتمامها بالعلم، لم تقدم لنا قبيلة المعافر خلال حكم هذه الدولة العتيدة سوى محدثين اثنين، وللأسف كانوا من المغموريين.

إلى جانب هؤلاء المحدثين المعافريين الذين حفظت لنا المصادر التاريخية سنة وفاتهم، لذا فقد استطعتُ معرفة الدول التي عاشوا فيها . إلى جانب هؤلاء ظهرت مجموعة أخرى – على الرغم من شهرة بعضهم – إلا أن المصادر التاريخية صمتت عن ذكر تاريخ وفاتهم، فكان من الصعب معرفة أزمانهم، لذا فقد رتبتهم على حروف المعجم، وهم كالتالي:

1. إبراهيم بن سعد بن شَراح المعافري المصري: روى عن أبيه، و وفد على عمر

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ7، ص166.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ6، ص 135. ويبدو من تاريخ وفاته أنه من مواليد القرن الرابع الهجري، لذا فهو يدخل في نطاق البحث.

بن عبد العزيز[99 – 101هـ/ 717 – 720م] وروى عنه . روى عنه محمد بن يزيد المعافري. روى حديثه ابن وهب[1].

2. إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن يحيى المعافري: روى عن أبي يحيى الوقاد. روى عنه أبو جعفر بن كمونة[2].

3. أحمد بن خازم المعافري المصري: طلب العلم صغيرًا، ورحل إلى المدينة المنورة وإلى بلاد الشام، فسمع من أئمة العلم، من أمثال: محمد بن المنكدر، وعمرو بن دينار، وعبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وصفوان بن سليم، وصالح مولى التوءمة، وعمرو بن شراحيل المعافري، وغيرهم[3]. روى عنه: عبد الله بن لهيعة نسخة يرويها عن صالح مولى التوءمة، قال عنها ابن حجر: «نسخة حسنة الحال لم يرو عنه سوى ابن لهيعة «[4]، ومحمد بن عمر الواقدي[5]، وغيرهما. ثم انتقل أحمد بن خازم لنشر علمه في بلاد الأندلس[6]، فأقام فيها فترة طويلة. ذكره ابن يونس في المصريين، ثم قال: «توفي بالأندلس، وفيها ولدُه»[7]. وأخرج له أبو الحسن الدار قطني حديثًا في السنن[8].

4. أحمد بن شُعَيْب المعافري: كان يبيع البُرَّ بمصر، قال ابن يونس: «كتبتُ عنه»[9].

5. أحنف الجَنَدي، روى عنه أبو قبيل المعافِري[10].

6. إِسْمَاعِيلَ بن يَحْيَى الْمُعَافِرِيَّ الِمصْرِيُّ: روى عن سهل بن معاذ بن أنس، وغيره[11]. روى عنه: عبدالله بن سليمان الطويل، و يحيى بن أيوب، وغيرهما[12]. ذكره ابن حبان في

(1) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص412، المقريزي: المصدر السابق، جـ1، ص161، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 27.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ1، ص236.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ9، ص 63.

(4) ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص 68.

(5) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 95.

(6) الحُميدي: جذوة المقتبس، ص 120.

(7) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 9.

(8) سنن الدارقطني:(6 / 80) حديث رقم(2341)، المعجم الكبير للطبراني:(4 / 149) حديث رقم(3731).

(9) ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 12.

(10) الهمداني: عجالة المبتدي، ص 13، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(11) ابن ماكولا: الإكمال، جـ3، ص214، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص265، السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص294.

(12) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 194، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ1، ص 293.

الثقات[1]، وروى له أصحاب السنن[2].

7. أم القاسم بنت حَيْويل بن ناشِرَة المعافري: مر ذكر أبيها في الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر، وقد روت عنه الحديث[3].

8. بكار بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو الحسن المعافري المصري الزاهد: حدث وسمع منه أبو القاسم يحيى بن أبي الطحان[4].

9. حجاج بن أحمد بن حجاج، أبو يزيد المعافري الإسكندري: سمع من محمد بن حماد الظهراني، وغيره[5]. وجدير بالذكر، أن ابنه عيسى بن حجاج كان من المحدثين أيضًا، لكنه دخل قرطبة[6] وهو ابن ستة أعوام، وسكن بمقبرة قريش. كانت له رحلة إلى المشرق روى فيها عن جماعة من أهل العلم[7]. عاد بعدها إلى طليطلة[8]، وعاش هناك فنسب إليها.

10. الحسين بن خازم المعافري: روى عن عروة بن أُذَيْنَه. روى عنه محمد بن عمر الواقدي[9].

11. الحسين بن زيد بن ذاخر الحميري المعافري: قال ابن يونس: «بلغني أن له رواية عن أبى عبادة صُمل بن عوف المعافري، وما رأيتها. وكان صمل ممن شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص رضي الله عنه»[10].

12. حميد بن نجيح المعافري: حدث عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن شهاب.

---

(1) جـ6، ص 38، الرازي: الجرح والتعديل، جـ2، ص 204، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص44.

(2) سنن أبي داود:(4/ 270) حديث رقم(4883)، المعجم الكبير للطبراني:(15 / 122) حديث رقم(16831)، مسند أحمد بن حنبل:(15 / 117) حديث رقم(15687)، ابن حجر العسقلاني: إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي:(5 / 289) حديث رقم(7131)، الحافظ المزي: تحفة الأشراف: (10 / 191) حديث رقم(11291)، مسند الصحابة في الكتب التسعة:(50 / 189) حديث رقم(15221)، الطبري: المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة:(1 / 78).

(3) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 37، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 529.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ26، ص 280، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(5) الذهبي: المصدر السابق، جـ24، ص 203، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص 324، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1078.

(7) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 125، ابن بشكوال: كتاب الصلة، الطبعة الثانية، جـ1، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص 139.

(8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ4، ص 39، البغدادي: المصدر السابق، جـ2، ص 892.

(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص289، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 128.

(10) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ3، ص 374، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص130.

روى عنه العطاف بن جندل، ويحيى بن أيوب، وعبد الله بن لهيعة[1].

13. حي بن ماتع المعافري: يروي عن محمود بن وداعة المعافري، حدث عنه خالد بن يزيد، كان ثقة[2].

14. خالد بن عبد الرحمن بن زياد، أبو الدرّي المعافري: روى عنه عبد الله بن يوسف التّنيسي[3].

15. خالد بن عبد الله المعافري: روى عن شعيب بن زرعة المعافري، ومشرح بن هاعان[4] حديثًا واحدًا[5]، روى عنه حيوة بن شريح، وغيره[6].

16. خالد بن عثمان المعافري: حدث عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم. حدث عنه جماعة من أهل العلم[7].

17. خالد بن عفري المعافري: حدث عن عبد الله بن الزبير. حدث عنه عبد الله بن شرّاح المعافري[8].

18. خالِدُ بنُ نُعَيْمٍ الحَبَشِيِّ المَعَافِرِيِّ : رَوَى عَنْهُ أَبو قَبِيلٍ المعافري[9].

19. رَاشِدُ بْنُ يَحْيَى الْمَعَافِرِيُّ: روى عن أبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، وغيره. روى عنه ابن لهيعة، وعبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وآخرون[10]. كان ثقة[11]، وحفظت له

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ3، ص 681.

(2) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ2، ص 17، الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص 276.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص733.

(4) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص294.

(5) نص الحديث: «حدثنا وهب، أخبرني حيوة بن شريح، عن خالد بن عبد الله المعافري، عن مشرح بن هاعان، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له». ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:(17 / 162)،المستدرك على الصحيحين للحاكم:(17 / 359) حديث رقم(7609)، صحيح ابن حبان:(25 / 220) رقم(6193)، مسند أحمد بن حنبل:(17 / 132) حديث رقم(17458)، الألباني: السلسلة الصحيحة:(1 / 491) حديث رقم(492).

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص734.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص 734.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص 735.

(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ3، ص 239، ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ1، ص 246، الزبيدي: تاج العروس:، جـ17، ص 170.

(10) ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص 123، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص274.

(11) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 295، الحسيني: الإكمال، جـ1، ص 136.

كتب السُّنة بعض المرويات الحديثية[1].

20. سعد بن شرَاح المعافري : روى عن سُوَيْد بن عَفرى. روى عنه ابنه إبراهيم بن سعد، مر ذكره، ويعقوب بن عمرو بن كعب المعافري، وغيرهما[2].

21. سعيد بن أبي سعيد الحَجْري المعافري: روى عنه أيوب بن بُجَيْد، وعبد الله بن هُبَيْرَة، وغيرهما[3].

22. سعيد بن موسى بن وردان المعافري: كان أبوه من كبار العلماء بمدينة الفسطاط، فأحسن تربية ابنه، وحبب إليه علم الحديث منذ صغره، فروى سعيد عن هشام بن أبى رقية، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. كما روى عن أبيه عن جابر بن عبد الله، و عن أبى هريرة رضي الله عنهما. روى عنه حيوة بن شريح، ويحيى بن سعيد العطار، وغيرهم[4]. نال ثقة العلماء[5]، وروى له الإمام الطبراني في معجمه[6].

23. سهل بن عَلْقَمة بن مُبَرْح المعافري: روى عن بكر بن سَوادة[7].

24. سُويَدْ بن الخير المعافري: روى عنه عبد الله بن لهيعة[8].

25. شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَرِيك الْمَعَافِرِيُّ الِمصْرِيٌّ: روى عن علي بن رباح، وأبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، وغيرهم[9]. وثقه ابن حبان[10]. وقال أبو حاتم : «صالح الحديث». وقال النسائي: «ليس به بأس»[11]. روى عنه: حيوة بن شريح، وسعيد بن أبي

---

(1) مسند أحمد بن حنبل:(6 / 231) حديث رقـم(6651)،(7 / 1) حديث رقـم(6777) غاية المقصد في زوائد المسند:(2 / 2572)، النوري: المسند الجامع المعلل:(21 / 217)،المعجم الكبير للطبراني:(11 / 257) حديث رقم(524)،(10 / 134) حديث رقم(4580)، شعب الإيمان للبيهقي:(22 / 475) حديث رقم(10649)، مسند الشهاب القضاعي:(4 / 431) حديث رقم(1182)، (4 / 432) حديث رقم(1183).

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 291، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 200.

(3) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ 3، ص84، السمعاني: الأنساب، جـ2، ص179، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ 1، ص 207.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص516 .

(5) الرازي: الجرح والتعديل، جـ6، ص 65، ابن حبان: الثقات، جـ6، ص 373.

(6) الطبراني: المعجم الأوسط، جـ1، ص 193، حديث رقم(194).

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 7، ص 201، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص225.

(8) المصدران السابقان على الترتيب، جـ2، ص20، جـ1، ص 226.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص130.

(10) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ4، ص 284.

(11) المزي: تهذيب الكمال، جـ12، ص 422.

أيوب، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وجماعة[1]. روى له البخاري في «الأدب»، والباقون سوى ابن ماجة، إلا أن أبا داود سماه في روايته «شرحبيل بن يزيد»[2].

26. شَرَف بن محمد بن الحَكم المعافري الجَنَدي: روى عن خُنَيس بن عامر[3]، روى عنه العباس بن الوليد الزَّوْفيّ[4].

27. شُعيب بن أبي خَبِيَّة المصري المعافري: سمع من عقبة بن نافع المعافري. روى عنه ربيعة بن علقمة المعافري[5].

28. عُبَادة بن صُمَّل بن عَوْف الخُلَيْفيّ المعافري: كان أبوه ممن شارك في فتح مصر، وقد مر ذكره. ولد عُبادة بمصر بعد الفتح الإسلام لها، فاستحق لقب المصري. سمع من أبيه، ومن غيره. و وفد مع عتبة بن أبي سفيان على أخيه «معاوية بن أبي سفيان» في دمشق[6] مقر الخلافة الأموية.

29. عبد الرحمن بن عتبة بن يَعْفُر بن غَنْم المعافري: يروى عن أبيه. روى عنه عبد الرحمن ابن شريح، ولم يرو عنه غيره[7].

30. عبد العزيز بن عبيد بن سُلَيْم الجيشاني المعافري: يروى عن المفضل بن فضالة، وعبد الله بن وهب. روى عنه شعيب بن إسحاق بن يحيى[8].

31. عبد الله بن جنادة المعافري المصري: روى عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي المعافري، وغيره[9]. روى عنه يحيى بن أيوب، وسعيد بن أبي أيوب، وغيرهما[10]. وثقه ابن حبان[11]

(1) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 275، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 232.

(2) الأدب المفرد للبخاري:(ص179) حديث رقم(115)،(2 / 423) رقم(643)، صحيح مسلم:(2/ 1090) حديث رقم(1467)،(3/ 1500) حديث رقم(1883)، سنن أبي داود:(3/ 113) حديث رقم(2866)، سنن الترمذي:(4/ 333) حديث رقم(1944)،(4/ 575) حديث رقم(2348)، سنن النسائي:(6/ 15) حديث رقم(3119)،(6/ 69) حديث رقم(3232).

(3) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 96، مادة: «الجَنَدي»، الزبيدي: تاج العروس، جـ7، ص 524.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 295، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 13، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 232.

(5) ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ235،1.

(6) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ1، ص286، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ26، ص208، الهمداني: عجالة المبتدي، ص17، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص257 .

(7) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ1، ص18، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص308.

(8) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ2، ص 191، السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 145، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 320.

(9) البخاري: التاريخ الكبير، جـ5، ص 62، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص275.

(10) السمعاني: المصدر السابق، جـ5، ص334، الحسيني: الإكمال، جـ1، ص 231.

(11) ابن حبان: الثقات، جـ 7، ص 23.

وابن أبي حاتم[1]، وروى له أصحاب السنن[2].

32. عَبْدُ اللهِ بنُ شَهْرٍ، الخَبَشِيِّ المَعَافِرِيِّ: رَوَى عن أبي أيوب[3]. روى عنه أَبو قَبِيلٍ المعافري[4].

33. عُبيد الله بن عبد الرحمن بن شُرَيْح المعافري: يروى عن أبيه. روى عنه الحارث بن مسكين[5].

34. عتبة بن يَعْفُر بن غَنْم المعافري: يروى عن عقبة بن عامر، ومالك بن عبد الله الخَثْعَمي، وغيرهما. روى عنه ابنه عبد الرحمن[6].

35. علقمة بن عاصم المعافري، أبو سعيد القرافي: روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. روى عنه أبو قُبيل المعافري[7].

36. علي بن بَحِير بن ذاخر المَعَافري: كان أبوه أحد المؤرخين المصريين، غير أن ولده لم ينل حظه من الشهرة مثل أبيه. روى عنه إبراهيم بن نَشِيط[8].

37. عمران بن عبد الله المعافري المصري: روى عن الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. روى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم. ضعفه ابن معين[9].

38. عمرو بن أبي نعيمة المعافري المصري: روى عن مسلم بن يسار، وعلي بن عثمان الطنبذي، وغيرهما. روى عنه: بكر بن عمرو المعافري، وأبو شريح عبدالرحمن بن

---

(1) الرازي: الجرح والتعديل، جـ8، ص 26.

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (18/ 253) حديث رقم(7995)، المعجم الكبير للطبراني: (20/ 95) حديث رقم(1423)، المعجم الأوسط للطبراني: (2/ 396) حديث رقم(897)، تهذيب الآثار للطبري: (7/ 189) حديث رقم(2297)، سنن الدارمي: (7/ 430) حديث رقم(2534)، مسند عبد بن حميد: (1/ 384) حديث رقم(348)، مسند أحمد بن حنبل: (7/ 20) حديث رقم(6855).

(3) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص321، مادة: «الخبشي»، الزبيدي: تاج العروس، جـ17، ص 170.

(4) ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ1، ص 246، ابن نقطة: إكمال الإكمال، الطبعة الأولى، جـ3، السعودية، جامعة أم القرى، 1989م، ص 239.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص285، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص333.

(6) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ7، ص435، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص336.

(7) ابن ماكولا: المصدر السابق، جـ6، ص419، السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 465، مادة: «القرافي»، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص353.

(8) ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ1، ص33، ابن نقطة: إكمال الكمال، جـ3، ص 374.

(9) العقيلي: الضعفاء الكبير، جـ6، ص314، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص261، السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص294.

شريح الإسكندراني[1]. قال الدارقطني: «مصري مجهول يترك»[2]. وذكره ابن حبان في الثقات[3]. وقال الحاكم: «كان من الأئمة... وكان امرأ صدق»[4]. وقال أحمد بن حنبل: «يُروي له». وقال أبو حاتم: «شيخٌ»[5]. وقال ابن يونس: «كانت له عبادة وفضل»[6]. وأرى أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه. وقد روى له أصحاب السنن[7].

39. عمرو بن أسعد المعافري: يروى عن أبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، روى عنه عبد الرحمن بن شريح. لم أعثر على رواية له[8].

40. عمرو بن شراحيل المعافري: روى عن أبي عبد الرحمن الحبلي المعافري، وغيره. روى عنه أبو وهب الغافقي، وأحمد بن خازم المعافري، وغيرهما[9]. رحل إلى الأندلس واستوطنها، وكان له بها أولاد[10].

41. عمرو بن ماتع المعافرى: روى عن عبد الله بن عمرو. روى عنه سعيد بن أبى أيوب، وعبد الله بن سليمان، وخالد بن الوليد، وغيرهما[11]. وثقه علماء الجرح والتعديل[12]، وقال البخاري: «حديثه عن المصريين»[13].

---

(1) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 232، السيوطي: المصدر السابق، جـ1، ص 283.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ6، ص 376، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ8، ص 97.

(3) جـ7، ص 229.

(4) المزي: تهذيب الكمال، جـ22، ص 270، الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ3، ص290.

(5) الرازي: الجرح والتعديل، جـ9، ص 265.

(6) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 394.

(7) سنن أبي داود:(10 / 71) حديث رقم(3172)، المستدرك على الصحيحين للحاكم:(1 / 341) حديث رقم(321)، (1 / 342) رقم(322)، مشكل الآثار للطحاوي:(1 / 418) حديث رقم(355)، (9 / 314) حديث رقم(3649)، مسند أحمد بن حنبل:(8 / 87) حديث رقم(8249)، (8 / 206) حديث رقم(8761)،أمالي ابن بشران:(1 / 6) حديث رقم(5)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر:(3 / 232) حديث رقم(12026)، طرق حديث من كذب علي متعمدًا للطبراني:(1 / 99) حديث رقم(79)، مكارم الأخلاق للخرائطي:(2 / 289) حديث رقم(736).

(8) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 3، ص230، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 369.

(9) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 362، ابن يونس الصدفي: المصدر السابق، جـ1، ص 373.

(10) الحُميدي: جذوة المقتبس، جـ2، ص501، الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الطبعة الأولى، مصر، دار الكاتب العربي، 1967 م، ص 428.

(11) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 17، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 376.

(12) الرازي: الجرح والتعديل، جـ9، ص 259، ابن حبان: الثقات، جـ5، ص 182.

(13) البخاري: التاريخ الكبير، جـ6، ص 368.

42. عَمْرُو بن مُرَّة الثُّوْجَمِيُّ المصري: محدِّث، رَوَى عن عَمْرِو بن قَيْسٍ اللَّخْمِيِّ[1].

43. عيسى بن يزيد بن خالد المصري المعافري: روى عن: أبيه. روى عنه: هارون بن سعيد. كان بالإسكندرية[2].

44. قيس بن سالم المعافري: أبو جزرة المصري، روى عن أبي أُمامه بن سهل، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما[3]. روى عنه: يحيى بن أيوب، وبكر بن مضر، والليث بن سعد، وغيرهما[4]. ذكره ابن حبان في الثقات[5]، وروى له النسائي حديثًا في كتابه «اليوم والليلة»[6].

45. محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي الصقر، أبو عبد الله الدوري الخُنَاجِي – إحدى بطون المعافر ـ: حدث عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم الأموي. روى عنه أبو القاسم الشيرازي الحافظ[7].

46. محمد بن المبارك بن عبد الملك المعافري المصري: حدث عن: دُحَيْم بن اليتيم، وغيره. روى عنه: ابن يونس[8].

47. محمد بن عبد الرحمن الجَنَدَي: روى عن معمر بن راشد. روى عنه الإمام محمد بن إدريس الشَّافعي وغيره من المصريين[9].

48. محمد بن عميرة، أبو هريرة المعافري: روى عنه خالد بن حميد المهريّ[10].

---

(1) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 516، الزبيدي: تاج العروس، جـ31، ص352، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ22، ص 223، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(3) ابن ماكولا: الإكمال، جـ33، ص 241، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص 206، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 270.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 154، الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ3، ص 397، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ8، ص 353، وكتابه: لسان الميزان، جـ3، ص 236، الزبيدي: تاج العروس، جـ10، ص 425.

(5) جـ5، ص 313، الرازي: الجرح والتعديل، جـ10، ص 100، العقيلي: الضعفاء الكبير، جـ3، ص469، السخاوي: التحفة اللطيفة، جـ2، ص81.

(6) النسائي في اليوم والليلة:(ص372) حديث رقم(553)، الدعاء للطبراني:(2 / 382) حديث رقم(766)، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف:(9 / 295) حديث رقم(12189)، مسند البزار:(2 / 372) حديث رقم(7628).

(7) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص401، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 180، مادة: «خُنَاجِنُ».

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ23، ص642، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 461.

(9) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ2، ص 18، مادة: « الجند»، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 13.

(10) المقريزي: المقفى الكبير، جـ6، ص 462.

49. محمد بن موسى بن أبي مالك المعافري: روى عن إبراهيم بن أبي داود البرلسيّ، وإبراهيم بن منقذ، وبحر بن نصر، وغيرهم. روى عنه محمد بن أحمد بن العباس الإخميمي، ومحمد بن أحمد المهندس، والحسن بن رشيق، وغيرهم[1].

50. محمود بن وداعة المعافرى: روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. روى عنه حي بن ماتع[2]. وثقه ابن أبي حاتم[3].

51. مُنْصُورُ بْنُ وَرْدَان المعافري: روى عن سالم بن عبدالله بن عمر. وروى عنه يزيد بن أبي حبيب، وعمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وغيرهم من المصريين[4]. ذكره ابن حبان في الثقات[5]، وأثنى عليه ابن يونس في تاريخ مصر[6].

52. واهب بن قُرَّة المعافري المصري: روى عنه كَثير بن جُبَيْر الحضرمي[7].

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ7، ص 218.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 403.

(3) ابن أبي حاتم الرازي: بيان خطأ البخاري في تاريخه، الطبعة الأولى، جـ1، الهند، دائرة المعارف العثمانية،[بدون – تاريخ]، ص 119، وكتابه: الجرح والتعديل، جـ11، ص 292،.

(4) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، جـ2، ص 149، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ10، ص 280.

(5) جـ7، ص 475، الرازي: الجرح والتعديل، جـ11، ص 180، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ2، ص 216.

(6) المزي: تهذيب الكمال، جـ28، ص 559، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص91.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ7، ص 384، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 501.

المبحث الرابع:
المُحَدِّثون الغافقيون في مصر الإسلامية

ظهر في مصر كثير من المُحَدِّثين الغافقيين، بعضهم نال حظًا من الشهرة، وبعضهم الآخر كان مغمورًا، لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته. مع التذكير؛ بأنه قد يرد في القسم الأول مَن حفظت لنا المصادر التاريخية سنة وفاته، ولكنه عاش ومات مغمورًا. وبعضهم الآخر صمتت المصادر عن ذكر تاريخ وفاته، ولكنه كان عَلَمًا من أعلام عِلم الحديث في زمانه.

أولًا: عصر الولاة [21 - 254هـ/ 641 - 868م]:

والواقع أن مصر في عصر الولاة [21 – 254هـ/ 641 – 868م] قد شهدت نشاطًا علميًا بارزًا، نهض به علماء مصريون وغير مصريين، وصارت مصر مركزًا لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، وخاصة علم الحديث.

من أشهر المُحَدِّثين الذين عاشوا في مصر في عصر الولاة؛ موسى بن أيوب بن عامر الغافقي: سمع جماعة من أعلام المُحَدِّثين في عصره من أمثال: عكرمة مولى عبد الله بن عباس(25 – 105 ه/ 645 – 723 م)، وسهل بن رافع بن خديج، وعمه: إياس بن عامر الغافقي – سابق الذكر-، وعقبة بن عامر الجهني(المتوفى عام: 58 هـ / 678 م)، وغيرهم[1].

انتفع موسى بما سمع حتى صار أحد أعلام المُحَدِّثين في الفسطاط، لذا فقد روى عنه كثير من أهل العلم، مثل: الليث بن سعد(94 – 175 هـ/ 713 – 791 م)، وعبد الله بن لهيعة (97 – 174 هـ/ 715 – 790 م)، وعبد الله بن المبارك(118 – 181 هـ

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 644.

/ 736 – 797 م)، وعبد الله بن وهب (125 – 197 هـ/ 743 – 813 م)، ويحيى بن أيوب[1]، وسليمان بن حسان البغدادي[2]، وغيرهم.

حظي موسى بثقة علماء الجرح والتعديل، فوثقه الإمام يحيى بن مَعِين(158 – 233 هـ/ 775 – 848 م)، وابن حبان(المتوفى عام:354 هـ/ 965 م) [3]، وعلي بن المديني (161 – 234 هـ/ 777 – 849 م)، وأمثالهم. كما روى عنه أصحاب السُّنن[4]، توفى موسى بالفسطاط سنة (153هـ/ 770م)، ودفن بالمقطم[5].

ومن أشهر المُحَدِّثين الغافقيين المصريين، يحيى بن أيوب الغافقي: طلب العلم صغيرًا، فحفظ القرآن الكريم، ثم سمع الحديث من أئمة علماء الفسطاط[6]، وعلى رأسهم: يحيى بن سعيد الأنصاري(المتوفى عام: 143 هـ/ 760 م)، ويزيد بن أبي حبيب(53 – 128 هـ/ 673 – 745 م)، وحيي بن هانئ بن ناضر، أبو قُبَيْل المعافري المصري(المتوفى عام 128هـ/ 746م)، وعياش بن عباس القتباني، وغيرهم[7].

لم يكتفِ يحيى بما سمع في الفسطاط بل رحل في طلب علم الحديث – كما هي عادة كثير من المُحَدِّثين حينئذ – فدخل الشام والعراق ومكة المكرمة والمدينة، وغيرها من الأمصار الإسلامية. سمع خلال هذه الرحلة الطويلة أئمة أعلام المُحَدِّثين والفقهاء من أمثال: الإمام مالك ابن أنس(93 – 179 ه / 712 – 795 م)، والإمام أبي حنيفة النعمان(80 – 150 هـ/ 699 – 767 م)، بالإضافة إلى الإمام ربيعة بن عبد الرحمن، المعروف بربيعة الرأي(136 هـ/ 753 م)، وهِشَام بن عُرْوَة (61 – 146 هـ/ 680 – 763 م)، وجرير بن حازم، وغيرهم[8].

---

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 10، ص 299.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ4، ص 98.

(3) الثقات، جـ 7، ص 449.

(4) سنن أبي داود:(3/ 35) رقم(736)، (7/ 343) رقم(2340)، سنن ابن ماجه:(3/ 129) رقم(877)، (6/ 269) رقم(2072)، سنن النسائي:(5/ 349) رقم(9116)،(5/ 389) رقم(9226)، الطبراني: المعجم الكبير:(6/ 466) رقم (7061)، (12/ 290) رقم(14303).

(5) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 487.

(6) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، ط1، جـ1، بيروت، دار الكتب العلمية،1419هـ– 1998م، ص 227.

(7) ابن حجر: لسان الميزان، جـ 3، ص 261، العيني: مغاني الأخيار، جـ5، ص 228.

(8) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 8، ص 5، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، جـ1، ص17.

كانت رحلة يحيى بن أيوب، مباركة موفقة عاد بعدها إلى الفسطاط، فما لبث طلاب الحديث أن التفوا حوله للأخذ عنه، وذلك لما عُرف به من علو الإسناد، فسمع منه الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المبارك، وأشهب بن عبد العزيز(145 – 204 ه/ 762 – 819 م)، وسعيد بن أَبي مَرْيَم(المتوفى عام: 173 هـ/ 789 م)، وغيرهم[1]. قال ابن يونس: « كان يحيى أحد طلاب العلم، وحدث عنه الغرباء أحاديث ليست عند أهل مصر»[2].

ومع ذلك، فقد اختلف العلماء في الحكم عليه بين موثق ومجرح، فبعض أهل العلم ويأتي في مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام النسائي، وابن سعد، والدارقطني، قالوا إنه: «ضعيف»[3]. ولعل الطعن الموجه إليه يرجع إلى أنه كان إذا حدث من ذاكرته – بعد كبر سِنه – ربما أخطأ. على حين وثقه الإمام يحيى بن معين، وابن حبان، وابن أبي حاتم الرازي، والإمام البخاري[4]. ودافعوا عنه بقولهم: « إنه كان – عادة ما – يحدث من كتاب، وروايته صحيحة»[5].

ونظرة متأنية في أقوال العلماء يتضح لنا أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، وأن الطعن الموجه إليه كان بعد كبر سِنه وليس في شبابه. يضاف إلى ذلك؛ أنه كان غالبًا ما يروي من كتاب ولم يحدث من ذاكرته إلا قليلاً. وأخيرًا، فإن أصحاب الكتب السِّتة قد رووا عنه في كتبهم[6].

توفي – رحمه الله تعالى – سنة(168هـ/ 784م) ودفن بالفسطاط، بعد أن ملأ الدنيا علمًا، قال الذهبي: « كان كثير العلم فقيه النفس»[7].

وأما الماضي بن محمد بن مسعود الغافقي: فكان من المُحَدِّثين المغمورين بالديار المصرية، وكان يعمل في مهنة نسخ المصاحف[8]. سمع هشام بن عروة (61 – 146 هـ/

(1) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، جـ1، ص335 – 336.

(2) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 506.

(3) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ 7، ص 516، أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح جـ3، ص 148.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 13، ص 127، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 11، ص 164.

(5) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، جـ 1، ص 336، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 90.

(6) الذهبي: الكاشف، جـ 2، ص 362.

(7) الذهبي: العبر، جـ 1، ص 45.

(8) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 498، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 422.

680 – 763 م)، ومحمد بن عمرو بن علقمة، والليث بن أبي سليم، كما سمع مالك بن أنس؛ وروى عنه كتابه الموطأ.

لم يحظ الماضي بثقة العلماء، فقد جرَّحه كثير من أهل العلم[1]، ولم يروِ عنه سوى عبد الله ابن وهب في جامعه، وابن ماجة في سننه، وابن حبان في صحيحه[2]. توفي بالفسطاط سنة(183هـ/ 799م)، ودفن بجبل المقطم[3].

ومن المُحَدِّثين الغافقيين المغمورين – أيضًا – : عثمان بن عتيق الغافقي، اشتغل بعلم الحديث، ورحل من أجله إلى العراق[4]، ولم يرو عنه سوى عدد قليل، ويأتي في مقدمتهم، عبد الله بن وهب، وعثمان بن صالح، وإسحاق بن الفرات[5]. توفي عثمان سنة(184هـ/ 800م) ودفن بالفسطاط[6].

ومنهم: إسحاق بن يزيد بن أبي السكن الغافقي: كان من المغمورين في دراسة الحديث، قال عنه ابن يونس: «كان مؤذنًا في المسجد العتيق(عمرو بن العاص) بمصر، وكان مقبولًا عند القضاة»[7]. توفي في عام(224هـ/ 838م).

وممن عاش في مصر في عصر الولاة : عباس بن الوليد بن عبد الملك الغافقي، كان من موالي غافق، وعرف بـ « النقي «[8]، توفي في ربيع الآخر سنة(232هـ/ 846م)، ولم أظفر برواية له[9].

ولم تكد تمر سنتان على وفاة عباس بن الوليد حتى فجعت الفسطاط بوفاة المُحَدِّث: عمرو ابن عمرو بن يزيد الغافقي، المتوفى عام(234هـ/ 848م). كان من موالي غافق أيضًا. اشتغل بعلم الحديث، فسمع الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة. وكان أشهر مَن

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 12، ص 352، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 10، ص 3.

(2) صحيح ابن حبان:(3/ 403) رقم (705)، سنن ابن ماجة:(12/ 263) رقم(4208).

(3) الهمداني: عجالة المبتدي، ص 10، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 91.

(4) المقريزي: الخطط، جـ 3، ص69، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 251،.

(5) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 205، الزبيدي: تاج العروس، جـ 26، ص 126.

(6) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 339.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 196، السمعاني: الأنساب، جـ 2، ص 34، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 40. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(8) ابن ماكولا: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 511، السمعاني: نفس المصدر، جـ 5، ص 521.

(9) ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 108، ابن يونس: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 258.

روى عنه: يحيى بن عثمان بن صالح[1].

ولم يكد ينتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبالتحديد في عام(245هـ/ 859م) حتى فقدت مصر المُحَدِّث: عبد الواحد بن يحيى بن خالد الغافقي: المعروف بـ» سوادة». سمع ضمام بن إسماعيل، ورشدين بن سعد، وعبد الله بن وهب. روى عنه جماعة من أهل العلم كان آخرهم عبد الكريم بن إبراهيم بن حبان[2].

ثانيًا: عصر الدولة الطولونية (254 - 292هـ/ 868 - 905م):

سقطت الدولة الأموية في سنة(132هـ/ 749م)، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية التي امتد حكمها خمسة قرون. وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى عصرين متميزين، العصر العباسي الأول، وقد استمر مائة عام (132 - 232هـ/ 749 - 847م)، وتميزت فيه الدولة العباسية بالقوة، وكانت حكومة بغداد حكومة مركزية، والخليفة يحكم دولته حكمًا مطلقًا. أما العصر العباسي الثاني(232 - 656هـ/ 847 - 1258م)، فمن أهم مميزاته أن الخليفة العباسي لم يعد صاحب السلطة المطلقة، بل انقسمت الدولة إلى دول مستقلة تخضع للخليفة العباسي خضوعًا اسميًا.

وفي هذا العصر استفحل نفوذ الأتراك، واستبدوا بالسلطة دون الخلفاء العباسيين، وفي تلك الفترة كان الخلفاء يولون حكم مصر لبعض الأتراك، لكن هؤلاء كانوا لا يفضلون الابتعاد عن بغداد، خشية إبعادهم عن مسرح الأحداث السياسية، ويكتفون بإرسال مَن ينوب عنهم في حكم مصر. ومن هؤلاء النواب الذين قدموا إلى مصر سنة(254هـ/ 868م) أحمد بن طولون.

نجح أحمد بن طولون في تأسيس أول دولة مستقلة في مصر، والتي حكمت مصر ثمانية وثلاثين عامًا، انتعشت فيها البلاد، وانتشر في ربوعها الأمن والاستقرار والرخاء، وازدهرت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية؛ لذا فقد نبغ في عهد الدولة الطولونية عدد كبير من الفقهاء والمُحَدِّثين. يأتي في مقدمتهم: عيسى بن إبراهيم بن عيسى بن مثرود[3] الغافقي، المولد بأرض مصر في سنة(70هـ/ 786م). حفظ القرآن الكريم صغيرًا وجوَّده،

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 17، ص 290، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ 4، ص277، الذهبي: نفس المصدر، جـ 18، ص 336.

(3) يقال ثوب مثْرُود: إذا غُمِس في الصِّبْغ. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1، جـ1، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م، ص 227، ابن منظور: لسان العرب، جـ3، ص 102.

ثم طلب علم الفقه، واشتغل به فترة ليست بالقصيرة، مما جعل الإمام الذهبي يقول عنه: «الإمام الفقيه المُحَدِّث»[1].

حُبِّبَ إلى عيسى دراسة علم الحديث، فسمع من أئمة المُحَدِّثين في زمانه، من أمثال: سفيان بن عيينة (107 – 198 هـ / 725 – 814 م)، وعبد الرحمن بن القاسم(132 – 191 هـ / 750 – 806 م)، وعبد الله بن وهب، وغيرهم[2]. ثم ما لبث أن اشتهر برواية الحديث بين أقرانه، فأقبل طلاب العلم إليه يأخذون عنه، فكان من أشهرهم، الإمام أبو جعفر الطحاوي (239 – 321 هـ / 853 – 933 م)[3]، وأحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وزكريا بن يحيى الساجي (220 – 307 هـ / 835 – 920 م)، وأبو بكر بن خزيمة (223 – 311 هـ / 838 – 924 م)، وغيرهم[4].

كما حظي عيسى بثقة أهل العلم؛ قال الإمام النسائي: «لا بأس به»، وقال ابن يونس الصدفي: «ثبت، ثقة»[5]. هذه الثقة جعلت كثيرًا من أئمة علماء الحديث يروون عنه في كتبهم[6]. مات(261هـ/ 874م) ودفن بالفسطاط[7].

ومن المُحَدِّثين الغافقيين الذين عاشوا في ظل الدولة الطولونية: أحمد بن الفرج بن شاكر الغافقي، كان من المغمورين. وقد انفرد الإمام الذهبي بذكره، فقال عنه: «روى عن سعيد بن أبي مريم»[8].

وممن عاش في تلك الفترة المُحَدِّث: عفيف بن عبيد بن عفيف الغافقي، المكنى

---

(1) سير أعلام النبلاء، جـ 12، ص 362.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 88، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 2، ص 118، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ 1، ص 769، وكتابه: تهذيب التهذيب، جـ 8، ص 184.

(3) د. سليمان الحرشي: من أعلام الإسلام : الإمام الطحاوي، مقال في مجلة البيان، العدد(238)، جـ 7، ص 11.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 20، ص 145، وكتابه : ميزان الاعتدال، جـ 3، ص 310.

(5) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح و التعديل، جـ 6، ص 272، العيني: مغاني الأخبار، جـ 3، ص 497، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 387.

(6) الذهبي : الكاشف، جـ 2، ص 108، وانظر: سنن النسائي:(3 / 318) رقم (810)،(8 / 441) رقم (2578)،(8 / 494) رقم(2611)،المعجم الكبير للطبراني:(19 / 326) رقم(795)، المعجم الأوسط للطبراني:(4 / 472) رقم (2013)،(9 / 322) رقم (4269).

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 8، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 94.

(8) تاريخ الإسلام، جـ 20، ص 271. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

بأبي عبيد الدَّهْني، روى عن فضالة بن المفضل، وغيره[1]. ذكر الزبيدي: أنه توفي سنة(181هـ/ 897م)[2]، على حين يؤكد ابن يونس الصدفي: أنه توفي في شوال سنة(281هـ / 894م) وقال: « كذا قرأت على بلاطة قبره»[3]. وأعتقد أن رأي ابن يونس هو الصحيح ؛ لأنه المؤرخ المصري الخبير بأحوال مصر جيدًا، وقد قرأ بنفسه تاريخ الوفاة على بلاطة القبر، مما يؤكد لنا صحة قوله، وأظن أن الزبيدي – أو الناسخ – ربما أخطأ في نقله.

بعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر مرة ثانية إلى حكم الخلافة العباسية مباشرة، وعاد الولاة يعينون من قِبل الخليفة العباسي في بغداد، وخلال تلك الفترة ظهرت مجموعة من المُحَدِّثين الغافقيين المغمورين، منهم: عبد الله بن إسحاق الغافقي: المكنى بـ»أبي محمد»، المعروف بـ» ابن سحقون»[4]، المصري المولد والمنشأ. أشهر مَن روى عن الإمام الفقيه حَرْمَلَة بن يحيى التُّجِيبي(166 – 243 هـ/ 782 – 858 م)[5]، سمع منه ابن يونس الصَّدَفي(281 – 347 هـ/ 894 – 958 م)، المؤرخ المصري الشهير، وقال: «توفي في شهر المحرم سنة (303هـ/ 915م)»[6].

ومنهم: محمد بن عيسى بن إبراهيم بن مثرود: المعروف بأبي بكر المصري، روى عن أبيه – سبق ذكره – وعن يحيى بن بكير، وغيرهما[7]. توفي في عام(303هـ/ 915م).

وممن عاش خلال تلك الفترة : جعفر بن أحمد بن علي الغافقي: المعروف بـ» ابن أبي العلاء المصري». روى عن عبد الله بن يوسف التِّنيسي، ويحيى بن بكير(142 – 226 هـ/ 759 – 840 م)[8]، وغيرهم.

لم يسلم جعفر من الجرح فقد اتهم بأنه رافضي المذهب، قال ابن عدي: «كتبتُ عنه بمصر... وحدثنا بأحاديث موضوعة، وكنا نتهمه بوضعها، بل نتيقن في ذلك»[9]. ويبدو

---

(1) السمعاني: الأنساب، جـ 2، ص 518.

(2) تاج العروس، جـ 35، ص 44.

(3) تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 344.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 4، ص 266، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 349.

(5) الزبيدي: تاج العروس، جـ 25، ص 435.

(6) تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 260.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 23، ص 128، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 6، ص 464، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 460. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(8) الذهبي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 139.

(9) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، جـ 2، ص 161.

أن النقد لم يقتصر على ابن عدي وحده، بل شاركه فيه كثير من المُحَدِّثين والمؤرخين، يقول الدارقطني: «لا يساوي شيئًا» وقال أيضًا: «كان يضع الحديث، ويحدث بالأباطيل»[1]. وقال ابن يونس الصدفي: «كان رافضيًا يضع الحديث»[2]، وذكره ابن الجوزي في كتاب» الموضوعات»، وقال : «كان قدريًا يضع الحديث على مذهبه « ثم ذكر أسباب تضعيفه[3]، وقال ابن حجر: «وعامة أحاديثه موضوعة، وكان قليل الحياء في دعاويه على قوم لم يلحقهم، وفي وضع مثل هذه الأحاديث الركيكة، وفيها ما لا يشبه كلام رسول الله(ﷺ)»[4].

صفوة القول: أن جعفر بن أحمد بن علي الغافقي، كان ضعيف الرواية، وأن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه. وقد توفي في عام(304هـ/ 916م)، ودفن بالمقطم.

ومنهم: إبراهيم بن إسماعيل بن الفرج الغافقي: كان يعرف بـ» العدوي»، روى عن الحارث ابن مسكين، وغيره[5]. عاش بالفسطاط، ومات بها سنة(307هـ/ 919م).

ومن المُحَدِّثين المغمورين: الحسين بن علي بن عبد الواحد الغافقي: سبق ذكر جده. كان يُعرف بـ» أعمى قديد»، سمع الإمام يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي(170 – 264 هـ / 787 – 877 م)، وغيره[6]. توفي في عام(310هـ/ 922م).

ثالثًا: عصر الدولة الإخشيدية (323 - 358هـ/ 935 - 969م):

ينسب الإخشيديون إلى محمد بن طغج الإخشيد، من أولاد ملوك فرغانة[7] في بلاد ما وراء النهر. اتصل محمد بن طغج بخدمة أبي منصور تكين والي مصر، وشاركه في قتال الفاطميين أثناء المحاولات التي قاموا بها لدخول مصر، وأبدى شجاعة في الحروب التي خاضها ضدهم، واستطاع بذلك أن يحوز ثقة الخلافة العباسية وتقديرها، فكافأه الخليفة الراضي بأن ولاه حكم مصر سنة(323هـ/ 935م)، وبذلك قامت الدولة الإخشيدية

(1) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 400.

(2) الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ4، ص 16، برهان الدين الحلبي: الكشف الحثيث عمَن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط1، بيروت، مكتبة النهضة العربية، 1407 هـ– 1987م، ص 85.

(3) ابن الجوزي: الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، المدينة المنورة، المكتبة السلفية،1388 هـ – 1968م، جـ1، ص 184، 190، 340، جـ3، ص 23، 31، 104.

(4) ابن حجر: لسان الميزان، جـ1، ص 250.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 104، ترجمة رقم(56)، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ7، ص 103، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ5، ص 346. ولم أعثر على ترجمة وافية له تحت يدي من مصادر.

(7) الإصطخري: المسالك والممالك، ص167، ياقوت: معجم البلدان، جـ3، ص70، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص486.

التي قدر لها أن تحكم مصر نحو أربعة وثلاثين عامًا.

شهدت مصر في عصر الدولة الإخشيدية – رغم قصره – نشاطًا مزدهرًا في ميادين الآداب والعلوم. فقد تميز عهد الإخشيديين بظهور عدد من أعلام المُحَدِّثين المصريين كان لهم نشاط ملحوظ في مجال إثراء الحركة العلمية.

ومن أشهر أعلام المدرسة المصرية في علم الحديث خلال تلك الفترة عبد العزيز بن أحمد ابن الفرج الغافقي: سمع جماعة من أهل العلم، منهم: محمد بن زيدان الكوفي، وبَكَّار بن قُتَيْبَة (182 – 270 هـ / 798 – 884 م)، وإبراهيم بن مرزوق[1]. كما سمع من الإمام علي بن شيبة بن الصلت، المعروف بـ»بأبي الحسن السدوسي» البغدادي الأصل، الذي رحل إلى مصر وأقام فيها مدة ليست بالقصيرة، لازمه خلالها عبد العزيز، وسمع منه كل مروياته[2]. كما أخذ عن المُحَدِّث – البغدادي الأصل – الإمام يحيى بن الفضل، المعروف بـ»أبي محمد الكاتب»، أثناء إقامته بمصر[3].

هكذا كانت حياة عبد العزيز الغافقي جادًا في طلب العلم، وملازمًا للعلماء، آخذًا عنهم، ومنتفعًا بعلمهم وسمتهم، كل ذلك أهَّله لأن يتصدر التحديث في زمانه. فإذا أضفنا إلى ذلك توثيق العلماء له، عرفنا – حينئذ – أسباب رحلة طلاب العلم إلى الفسطاط للأخذ عنه، وكان من أشهرهم: الحسين بن محمد بن أحمد، المعروف بـ» أبي علي النيسابوري(المتوفى عام: 350ه/ 961م)،

والذي كانت له رحلة طويلة في طلب العلم، فنزل حلب[4]، ودمشق[5]، وصيدا[6]، ثم اختتم رحلته بمصر للأخذ عن عالمها عبد العزيز الغافقي[7].

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 25، ص 77.

(2) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، جـ 5، ص 217.

(3) الخطيب البغدادي : نفس المصدر، جـ 6، ص 269.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 282، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 183، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ 3/ ص1194.

(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ2، ص463، البغدادي: المصدر السابق، جـ2، ص 534.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ 4، ص 179، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص51.

(7) ابن العديم: بغية الطلب، جـ3، ص 88.

وعلى الرغم من الشهرة التي حققها الإمام عبد العزيز، إلا أنه لم يترك لنا كتابًا نقف به على طريقته في التأليف، ولعله - يرحمه الله تعالى - قد اكتفى بالتدريس. توفي في شهر جمادى الأولى، عام(332هـ/ 943م)، ودفن بجبل المقطم.

رابعًا: المُحَدِّثون المَغمورين:

إلى جانب هؤلاء المُحَدِّثين، فقد حفظت لنا مصادرنا التاريخية مجموعة من الرواة الغافقيين، ولكنها صمتت عن ذكر تاريخ وفاتهم - مع شهرة بعض منهم - لذا فقد رتبتهم على حروف المعجم، وهم كالتالي:

1. إبراهيم بن الأغلب الغافقي البحري: سمع الحديث من أبي الحسن الأنصاري، وأشهر مَن سمع منه: عبد الرحمن بن الحسين بن الخباب، وعساكر بن علي البري، وغيرهم[1].

2. إسماعيل بن فليح الغُمري الغافقي: سمع الحديث بمصر، وأشهر مَن روى عنه: يحيى بن عثمان بن صالح[2].

3. إسماعيل بن نشيط الغافقي: سمع الحديث من أئمة عصره من أمثال: عبد الله بن وهب، شَهْر بن حَوْشَب(20 - 100 هـ/ 641 - 718 م)، وجميل بن عمارة، ووَهْب بن مُنَبِّه (34 - 114 هـ/ 654 - 732 م)، وغيرهم. اختلاف العلماء في الحكم عليه بين مجرح وموثق، فوثقه ابن حبان[3]، وأبو زرعة الرازي[4]، كما دافع عنه الإمام الذهبي[5]، وابن حجر[6]. على حين غمزه ابن عدي بقوله: «كان عزيز الحديث جدًا، ولا يقع في حديثه ما فيه حكم، ولا يروي من الحديث إلا القليل»[7].

وإن كنتُ أرى أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، فلم يطعن في روايته سوى

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 111.

(2) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 11، السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 309، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ2، ص 17، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 43.

(3) الثقات، جـ6، ص 43.

(4) الجرح والتعديل، جـ2، ص 202.

(5) ميزان الاعتدال، جـ1، ص 252.

(6) لسان الميزان، جـ1، ص 183.

(7) الكامل في ضعفاء الرجال، جـ1، ص 179.

ابن عدي، وحتى ألفاظه غامضة لا توحي بالطعن الصريح. ومع ذلك فقد سمع منه جماعة من أهل العلم، منهم: يونس بن بُكَيْر(المتوفى عام: 199 هـ/ 815 م)، وعبيد الله بن موسى، وعيسى بن موسى المعروف بـ» غُنْجَار »[1](337 – 412 هـ/ 948 – 1028 م) مؤرخ بلاد ما وراء النهر[جمهوريات آسيا الوسطى حاليًا]، وغيرهم. وللأسف لم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

4. حكيم بن سعد الدَّهْني الغافقي: قال عنه الهمداني: «كان فصيحًا عالمًا»[2]، وأضاف السمعاني: «كانت له منزلة وقبول عند الناس»[3].

5. خالد بن زياد الغافقي: قال ابن يونس: «من أهل مصر، اشتغل بعلم الحديث»[4].

6. عبد الله بن رافع الغافقي: قال عنه ابن سعد: «له أحاديث، وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك[105 – 125 هـ/ 724 – 743م][5].

7. عبد الله بن محمد بن حكيم بن سعد الدَّهْني الغافقي: حدث عن أبيه عن جده، وكان ثقة، مقبولاً[6].

8. عيسى بن أبي الزبير الغافقي: كان من رواة الحديث[7]، وقال السمعاني: «كان له ذكر وشرف»[8].

9. موسى بن أبي حملة الغافقي: كان من ثقات المُحَدِّثين[9]، سمع عمران بن عوف الغافقي، روى عنه عبد الله بن وهب[10].

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 70.

(2) عجالة المبتدي، ص 18.

(3) الأنساب، جـ 2، ص 518.

(4) الهمداني: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 149.

(5) الطبقات الكبير، جـ 7، ص 514.

(6) السمعاني: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 518، الزبيدي: تاج العروس، جـ 35، ص 44، ابن يونس: تاريخ اين يونس، جـ 1، ص 135.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 3، ص 109.

(8) الأنساب، جـ 2، ص 200.

(9) ابن حبان : الثقات، جـ 7، ص 451.

(10) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 7، ص 281.

10 . وداعة الحميدي الغافقي: روى حديثًا واحدًا[1] عن مالك بن عبادة، المعروف بـ«أبي موسى الغافقي». وثقه علماء الجرح والتعديل[2]، وأشهر مَن روى عنه: يحيى بن مَيْمُون الحضرمي(المتوفى عام 114 هـ / 732 م)[3].

وفي نهاية هذا المبحث لي عدة ملاحظات، أجملها فيما يلي:

أولًا: أن الغافقيين كان لهم اهتمام كبير بعلم الحديث، مقارنة بباقي العلوم الأخرى، فقد وصل عددهم إلى نحو(سبعة وعشرين) محدثًا، ولكن معظمهم كان من المُحَدِّثين المغمورين. نعم، روى عنهم كثير من أصحاب السُنَّن، ولكني لم أجد فيهم محدثًا مشهورًا يسطع نجمه في سماء مصر، فيلتف الناس حوله، ويرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه، والسماع منه.

ثانيًا: إذا نظرنا إلى هذه الأرقام من منظور إحصائي، فإننا نجد أن عدد المُحَدِّثين في القرن(الثاني الهجري / الثامن الميلادي) قد وصل إلى نحو(أربعة) المُحَدِّثين، يأخذ هذا العدد في الارتفاع أثناء القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) ليصل إلى نحو(سبعة) المُحَدِّثين، ثم يعاود الانخفاض مرة ثانية خلال القرن(الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ليصل إلى نحو(ستة) المُحَدِّثين فقط.

هذا ولم يدخل في حساباتنا مَن لم أعثر على تاريخ وفاته، وإلا فإن هذا الإحصاء سوف يتغير جملةً وتفصيلاً. وعلى كل، فإن هذه نتيجة طبيعية تتماشى مع حركة الفكر الإسلامي؛ وذلك لأن القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كان القرن الذهبي لعلم

---

(1) عن وداعة الغافقي قال كنت بجنب مالك بن عتاهية الغافقي، وعقبة بن عامر إلى جنبه يحدث عن النبي(ﷺ) قال مالك : «إن صاحبكم هذا لغافل أو هالك إن رسول الله (ﷺ)عهد إلينا في حجة الوداع فقال: «عليكم بالقرآن وسترجعون إلى أقوام سيبلغون الحديث عني فمَن عقل شيئًا فليحدث به، ومَن قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيتًا أو مقعده في جهنم». القاسم بن سلام: فضائل القرآن، ط1، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، دمشق، دار ابن كثير،1415 هـ 1995 –م،(ص31)، الطبراني: المعجم الكبير: جـ14، ص206، رقم (16013). قال الإمام الألباني : «وعلى ذلك فينبغي أن ننظر في حال (وداعة الحمدي) هذا، فأقول: لم يذكروا فيه أكثر مما في هذا الإسناد : أنه روى عن مالك بن عبادة، وعنه يحيى بن ميمون . هكذا في كتاب البخاري وابن أبي حاتم و « ثقات ابن حبان»، ذكره أولاً في (التابعين)، وقال (5/ 496) :»عداده في أهل مصر والشام، روى عنه أهلها ويحيى بن ميمون « ثم ذكره ثانيًا في (أتباع التابعين)، وقال (7/ 566) :»وداعة الغافقي – مكان : (الحمدي) – روى عن أبي موسى الغافقي، روى عنه يحيى بن ميمون» ويتلخص مما ذكر : أن الرجل مجهول لا يعرف إلا بهذه الرواية، فهو علة هذا الحديث. الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1، جـ 13، الرياض، دار المعارف، 1412 هـ –ـ 1992م، ص 910.

(2) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 13، ص 49، ابن حبان: الثقات، جـ 7، ص 566.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 8، ص 188.

الحديث، فقد ظهر فيه علماء الأمة الأفذاذ الذين جابوا الآفاق لجمع الحديث. وفيه أيضًا ظهرت معظم كتب السُّنَّة المرتبة والمبوبة، كما سطع فيه نجم علماء الجرح والتعديل، الذين لم يتركوا شاردة أو واردة إلا قاموا بفحصها والتعليق عليها.

ثالثًا: من الملاحظ أن الغافقيين لم يصَنِّفوا لنا كتبًا في علم الحديث أو في إحدى علومه، فلم أعثر على مُصَنَّف واحد يحمل اسم أحدٍ منهم، وهي ظاهرة تستحق الدراسة من قِبل الباحثين في علوم السُّنَّة. ولعل المُحَدِّثين الغافقيين قد اكتفوا بالتحديث، ولم يشغلوا أنفسهم بالتأليف. أو لأن كتب السُّنَّة كانت قد دونت بالفعل، فلم يريدوا أن يثقلوا المكتبة الإسلامية بمؤلفات مكررة، لم تضف جديدًا في هذا العلم.

رابعًا: أن المُحَدِّثين الغافقيين، على الرغم من قلة شهرتهم، إلا أنهم قد ظفروا بتوثيق علماء الجرح والتعديل، هذا باستثناء بعض الأفراد القلائل الذين وجه إليهم بعض النقد، أما الباقون فكانوا من ثقات المُحَدِّثين، وقد روى عنهم أصحاب السُّنن في كتبهم.

خامسًا: أن المُحَدِّثين الغافقيين والذين وصل عددهم إلى (سبعة وعشرين) محدثًا - وهذا عدد كبير بلا شك - لم أعثر على تاريخ وفاة (عشرة) منهم، وهذا يعني أن ما يقرب من ثلث المُحَدِّثين الغافقيين يعد من المغمورين الذين لم يشغلوا بال المؤرخين قديمًا.

سادسًا - وأخيرًا ـ: أن جميع المُحَدِّثين الغافقيين كانوا محبين لمصر جدًا، بل حمل بعضهم لقب «المصري»، فلم يرحلوا عنها إلى أي قطر آخر. وذلك باستثناء بعض النماذج القليلة التي رحلت إلى بلاد الشام أو الحجاز لطلب العلم، ولكنها سرعان ما عادت مرة ثانية لتعيش في أرض مصر وتستظل بسمائها وتدفن في ترابها.



الفصل الرابع:
الفقه والفقهاء في مصر الإسلامية

- التمهيد:
- المبحث الأول: الفقهاء الصدفيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثاني: الفقهاء التجيبيون في مصر الإسلامية.
- المبحث الثالث: الفقهاء المعافريون في مصر الإسلامية.
- المبحث الرابع: الفقهاء الغافقيون في مصر الإسلامية.



التمهيد:

يعد الفقه من أبرز فروع العلوم الدينية التي اشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتسيير شئون المسلمين، ووضع الضوابط الحكيمة بين الرعايا في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم الدينية.

ويُعَّرف الفقه لغة، بأنه : الفهم مطلقًا. سواء كان المفهوم دقيقًا أم غير دقيق، وسواء كان غرضًا لمتكلم أم غيره. وفي الاصطلاح، هو:العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية[1].

ويعرفه ابن خلدون بقوله : « هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسُّنَّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[2].

يعد العصر الذي عاش فيه الرسول(ﷺ) هو عصر التشريع حقًا، ففي هذا العصر كان ينزل القرآن الكريم بالأحكام الشرعية، وتصدر عن النبي(ﷺ) الأحاديث المُبَيِّنة لما يعرض من الحوادث[3]. وفي عصر الخلفاء الراشدين اتسعت الفتوحات الإسلامية، واستجدت كثيرٌ من الحوادث التي لم تكن معروفة من قبل. ومن ثم ازدادت الحاجة إلى الفقه. وكان من أعظم المشتغلين بذلك الخليفة عمر بن الخطاب[4] [13 – 23 هـ/ 634 – 644 م]. ثم ازدهر علم الفقه في ظل الدولة الأموية [41 – 132 هـ/ 661 – 750 م] وظهر كثير من الفقهاء العظام؛ الذين مهدوا لظهور المذاهب الفقهية في عصر الدولة العباسية.

(1) محمد الخضر حسين : تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1988م، ص 96 وما بعدها.

(2) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، الطبعة الأولى، جـ3، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 947 .

(3) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى، مصر، دار الفكر العربي، 1996م، ص 243 وما بعدها.

(4) أحمد أمين : فجر الإسلام، ص 227 .

وكانت مصادر التشريع تتمثل في : القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، والإجماع، والقياس[1].

أما عن المذاهب الفقهية، فهي :

أ- الأحناف : نسبة إلى أبي حنيفة، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنة.

ب- المالكية: نسبة إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنة.

ت- الشافعية: نسبة إلى الإمام الشافعي، أحد أئمة الأربعة عند أهل السُّنة، وإليه نسبة الشافعية كافة.

ث- الحنابلة : نسبة إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة.

أما مصر فكان لها اتصالٌ قويٌ بالحجاز منذ الفتح الإسلامي، لأن الحجاز كان مركز الخلافة أيام الخلفاء الراشدين، ثم دام الاتصال بالرحلة الي الحج، وزيارة مسجد الرسول (ﷺ).

فمن ثم كان مذهب الإمام مالك أول ما صادف المصريون من تلك المذاهب فأقبلوا عليه ولم يكونوا يعرفون غيره . وذلك على عكس المشرق الإسلامي، الذي كان اتصاله بمركز الخلافة ببغداد، ومن المعروف أن بغداد كانت مركز المذهب الحنفي. ومن ثم فقد عملوا على نشر المذهب الحنفي في العراق والأمصار القريبة منه مثل خراسان وما وراء النهر.

ظل المذهب المالكي منتشرًا في مصر حتى قدم الإمام الشافعي إليها في سنة(199هـ/815م) وصار له بها اتباع، وتوطن هذا المذهب في مصر على إثر ذلك . ولم يكن للمصريين عهد بمذهب الإمام أبي حنيفة إلا عن طريق القضاة الذين كان الخلفاء ببغداد يرسلونهم من قِبلهم إلى مصر.

(1) د. عبد الفتاح حسيني الشيخ : تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة الأولى، مصر، مجمع البحوث الإسلامية،2004م، ص 10 – 11.

أما مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإنه لم يكتب له الانتشار بمصر إلا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لأن الإمام أحمد كان من أهل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكانت نشأته بالعراق، فلم يتيسر خروج مذهبه عن العراق إلا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وهو القرن الذي قامت فيه الدولة الفاطمية [358 – 567 هـ] في مصر[1]، وحاولوا نشر مذهبهم على المصريين . وبعد قيام الدولة الأيوبية السُّنية، زال الحائل الذي كان يمنع دون دخول المذاهب الأخرى – ومنها مذهب الإمام أحمد – إلى مصر ومنذ ذلك الحين وجد لهذا المذهب أتباع بها[2].

(1) المقريزي : الخطط، جـ 4، ص 156، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ 4، ص 94 ـ98، السيوطي : حُسن المحاضرة، جـ 2، ص 519.

(2) محمود مصطفى : الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، الطبعة الأولى، مصر، دار الكتاب العربي، 1967م، ص 96 .

المبحث الأول:
الفقهاء الصدفيون في مصر الإسلامية

شهد القرنين الثالث والرابع الهجريين تطورًا كبيرًا في علم الفقه، فقد استقر المذهب الشافعي في مصر وزاد انتشاره، وبالتالي زاد الصراع بينه وبين المذهب المالكي. وأخذ هذا الصراع أشكالًا عدة تتمثل في المناظرات، والمحاورات، والمؤلفات التي وضعها أئمة كل مذهب يدافعون فيها عن مذهبهم ويردون على المذاهب الأخرى. ولا شك أن هذه المؤلفات والمناظرات كانت في النهاية تؤدي إلى ظهور آراء فقهية جديدة[1].

أولًا: فقيه الشافعية: يونس بن عبد الأعلى:

من أشهر فقهاء الشافعية، الذي كان له قصب السبق، الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وقد سبق الحديث عنه كثيرًا، والذي يهمنا هنا كونه فقيهًا.

نشأ يونس في بيت علم وفضل، فقد كان أبوه عبد الأعلى الصدفي رجلاً صالحًا، يتميز برجاحة العقل، وقوة الذاكرة، ومن جميل كلامه الذي يدل على ذلك قوله: «مَنْ اشترى ما لا يحتاج إليه، باع ما يحتاج إليه»[2]. وولد عبد الأعلى الصدفي سنة (121هـ/ 739 م)، وتوفي في المحرم سنة (201هـ/ 816م)[3].

لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيء عن حياة الإمام يونس الأولى، غير أنه يبدو أن والده أحسن تربيته، فحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم تبحر في علم الحديث حتى صار علمًا من أعلام المحدثين، كما سبقت الإشارة.

ومن العلوم التي اشتغل بها الإمام يونس علم الفقه، ويبدو أنه اعتنق في بداية حياته المذهب المالكي[4]، بدليل مروياته عن أئمة المذهب المالكي؛ عبد الله بن وهب

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 192.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ7، ص 253.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 529.

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 409.

(125 – 197 هـ/ 743 – 813 م)، وأشهب بن عبد العزيز القيسي(145 – 204 هـ / 762 – 819 م)، وعبد الله بن عبد الحكم(150 – 214 هـ/ 767 – 829 م) وهؤلاء هم أخص تلامذة الإمام مالك بن أنس(93 – 179 هـ/ 712 – 795 م).

بعد قدوم الإمام الشافعي إلى مصر سنة (199هـ/ 815م)، ألتف طلاب العلم حوله ينهلون من علمه وخُلقه ؛ وذلك لما عُرف عنه من راجحة العقل، وقوة الحجة، وحُسن المنطق مع فصاحة اللسان. فاعتنق يونس المذهب الشافعي، وصار من أخص تلامذة الإمام الشافعي، والمكثرين في الرواية عنه، والملازمة له. ولدينا كثير من النصوص تدل على قوة ومتانة العلاقة بينهما، ولا بأس أن نسوق بعض الأمثلة التي تثبت صحة ذلك.

قال يونس عن الإمام الشافعي: «ما كان الشافعي إلا ساحرًا، ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كانت ألفاظه كأنها سكر»[1]، وقال مُعجبًا بعلمه : «كان الشافعي إذا أخذ في العربية، قلت: هو بهذا أعلم. وإذا تكلم في الشعر وإنشائه، قلت: هو بهذا أعلم. وإذا تكلم في الفقه، قلت : هو بهذا أعلم، وقال: كنت أولاً أجالس اصحاب التفسير، فكان الشافعي إذا أخذ في التفسير فكأنه شهد التنزيل»[2].

هذا، وكان الإمام الشافعي يحب يونس، ويعلمه – إلى جانب الفقه – الصبر على شدائد الحياة. قال يونس: «ما شاهدت أحدًا لقى من السقم ما لقى الشافعي ... دخلت عليه، فقال: اقرأ علي ما بعد العشرين والمائة من سورة آل عمران، فقرأت ولما قمت، قال: لا تغفل عني فإني مكروب. قال يونس: عنى بقراءة هذه الآيات ما لقى النبي(ﷺ) وأصحابه»[3]. هذا قليل من كثير من ثناء يونس بن عبد الأعلى على شيخه الإمام الشافعي.

والجدير بالذكر، أن الإمام الشافعي كان يبادل يونس حبا بحب، ويثني عليه ويرفع من شأنه بين أقرانه، ومن ذلك قول الشافعي: «ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى»[4].

صار يونس بن عبد الأعلى إذًا فقيهًا شافعيًا[5]، وأحد رواة المذهب الشافعي الجديد

---

(1) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 21، ص 356.

(2) ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الطبعة الأولى، جـ5، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1991م، ص 201.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 14، ص 70.

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 7، ص 249، الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ 2، ص 527.

(5) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص99، الأسنوي: طبقات الشافعية، جـ27،1ـ28، ابن كثير: طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، جـ1، ليبيا، دار المد الإسلامي، 2002م، ص 163، ابن هداية الله الحسيني: طبقات الشافعية، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الثالثة، دولة لبنان، دار الآفاق الجديدة،1982 م، ص28.

الذي ألفه الإمام في مصر. ويبدو أن يونس لم يكن مقلدًا لشيخه، وإنما كان يناقشه ويناظره، بل ويختلف معه أحيانًا. فقد تناظرا يومًا، ثم افترقا، وعندما لقيه الشافعي، أخذ بيده، وقال له : أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا، وإن لم نتفق في مسألة؟![1].

والغريب، أن كتب فقهاء الشافعية لم تذكر لنا شيء عن اجتهادات يونس بن عبد الأعلى في تطور الفقه الشافعي، كما فعلت مع الأئمة الآخرين من أمثال: أبي يعقوب البويطي(ت231هـ/ 846 م)، وأبي إبراهيم المزني (175 – 264 هـ/ 791 – 878 م)، وغيرهم. كما صمتت عن ذكر مؤلفات الإمام يونس. ولعله – يرحمه الله تعالى – اكتفى بنشر علمه بين طلابه، الذين رحلوا إليه من الآفاق للأخذ عنه.

هذا، ولم يقتصر طلاب الإمام يونس في علم الفقه على الشافعيين فقط، بل كان منهم المالكية والأحناف.

جدول إحصائي لتلاميذ الإمام يونس بن عبد الأعلى

المسلسل	العدد	البلد	المذهب	القرن
1.	3	مصر	2. حنفي(23) 1. شافعي(24)	4هـ/ 10 م (بدون – تاريخ)
2.	2	قرطبة	مالكي(25) شافعي(26)	3هـ/ 9م 4هـ/ 10 م
3.	2	بلاد المغرب	مالكي(27) حنفي(28)	4هـ/ 10 م (بدون – تاريخ)
4.	1	قزوين	شافعي(29)	4هـ/ 10 م
5.	1	بلاد ما وراء النهر	شافعي(30)	3ه/ 9م
6.	1	شيراز	شافعي(31)	3هـ/ 10م

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 10، ص 16.

ونظرة متأنية في قائمة تلاميذ الإمام يونس بن عبد الأعلى، نجد الملاحظات الآتية:

أولاً: من خلال الجدول الإحصائي نلاحظ، أن عدد الفقهاء الذين أخذوا عن الإمام خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، قد بلغ نحو(ثلاثة) فقهاء. على حين زاد هذا الرقم فبلغ خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، نحو (خمسة) فقهاء.

ثانيًا: إذا نظرنا على المستوى الفقهي، فإننا نجد أن فقهاء الشافعية قد وصل عددهم نحو (خمسة) فقهاء، على حين بلغ عدد فقهاء الأحناف (ثلاثة)، ويأتي فقهاء المالكية في المرحلة الثالثة والأخيرة، فقد ساهموا بفقيهين فقط. وأعتقد أن هذه النتيجة طبيعية، وتتناسب مع انتشار هذه المذاهب في العالم الإسلامي حينذاك.

ثالثًا: - وأخيرًا - إن لم نعثر على شيء من مُصَّنفات الإمام يونس العلمية التي تحمل اسمه في الفقه الشافعي، إلا أنه أحد الذين يرجع إليهم الفضل في نشر هذا المذهب في مصر - وغيرها من أقطار الإسلام ـ، ومَنْ يُطالع كتب الفقه الشافعي يجدها زاخرة بما رواه عن الإمام الشافعي مشافهة، وكفاه بهذا شرفًا وفخرًا[1].

ثانيًا: فقهاء الأحناف والمالكية:

كذلك ظهر من الصدفيين في مصر مَنْ اشتغل بالفقه الحنفي، ومنهم: عبد الأعلى بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي، ولد بالفسطاط غداة يوم الثلاثاء لثماني عشرة خلت من جمادى الأولى سنة(274هـ/ 887م). كان فقيهًا حنفيًا، صاحب الطحاوي(239 - 321 هـ/ 853 - 933 م)، ولم يترك لنا مُصَّنفًا في الفقه الحنفي. توفي بمصر سنة (347هـ/ 958 م)، ودفن في مقابر الصدفيين بالمقطم[2].

ومنهم، محمد بن علي بن أبي زيد، المعروف بأبي بكر الصدفي البزاز، سمع - أيضًا - من الطحاوي، وتوفي سنة (376هـ/ 986م[3].

وفي الفقه المالكي لم أعثر إلا على فقيه واحد، هو: أحمد بن موسى بن عيسى،

---

(1) د. محمد جبر أبو سعده: بنو عبد الأعلى الصدفيون في مصر، ص 127.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 529.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ26، ص 601، المقريزي: المقفى الكبير، جـ6، ص 272.

المشهور بأبي بكر الزيات الصدفي، أخذ الفقه عن محمد بن عبد الحكم(182 - 268 هـ/ 798 - 882 م). ثم اشتغل بعلم الفقه فأقبل الطلاب عليه للأخذ عنه، ومن أشهرهم أبي إسحاق بن سفيان، وأبو إسحاق القوصي، وغيرهما. توفي ابن الزيات الصدفي بالفسطاط سنة(ت 306هـ/ 918 م)[1].

صفوة القول، أن عدد المشتغلين بعلم الفقه من الصدفيين قليل جدًا إذا ما قورن بباقي العلوم الشرعية الأخرى. وإن كان المذهب الحنفي قد ساهم بفقيهين، والمالكي بفقيه واحد، إلا إن شهرة الفقه الشافعي كانت أطغى ؛ وذلك لظهور الإمام يونس بن عبد الأعلى الذي اعتنق هذا المذهب وعمل على نشره. أما المذهب الحنبلي فلم أعثر على أحد من الصدفيين اعتنقه أو عمل به.

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 291، ابن فرحون : الديباج المذهب، جـ1، ص 153، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 449، محمد محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، المطبعة السلفية،1930م، ص 80.

المبحث الثاني:
الفقهاء التجيبيون في مصر الإسلامية

بداية، لم أعثر على أحد من التجيبيين اشتغل بالفقه الحنبلي؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن مذهب الإمام أحمد بن حنبل لم يُكتب له الانتشار بمصر إلا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لأن الإمام أحمد كان من أهل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكانت نشأته بالعراق، فلم يتيسر خروج مذهبه عن العراق إلا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو القرن الذي قامت فيه الدولة الفاطمية [358 - 567 هـ/ 969 - 1171م] في مصر[1]، وحاولوا نشر مذهبهم على المصريين بالقوة. وبعد قيام الدولة الأيوبية السُّنية، زال الحائل الذي كان يمنع دون دخول المذاهب الأخرى، - ومنها مذهب الإمام أحمد - إلى مصر ومنذ ذلك الحين وجد لهذا المذهب أتباع بها[2].

ولنبدأ بفقهاء المالكية، ثم نتبعهم بفقهاء الشافعية.

أولًا: فقهاء المالكية:

المالكية: نسبة إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. كان مولده ووفاته بالمدينة [93 - 179 هـ/ 712 - 795 م][3]. انتشر مذهبه بين أهل المغرب والأندلس[4]. أما في بلاد المشرق فلم يظهر بها أحد ممن ينشر مذهبه ويتفقه به، وذلك لإقامة كثير من تلاميذه بمصر وتونس، وسرى هذا المذهب منهما إلي كل البقاع في غرب أفريقيا[5].

---

(1) المقريزي : الخطط، جـ 4، ص 156، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 4، ص 94 ـ98، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 2، ص 519.

(2) محمود مصطفى: الأدب العربي في مصر، ص96 .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 4، ص 135 - 138، الزركلي : الأعلام، جـ 5، ص 257 .

(4) ابن خلدون : المقدمة، جـ 3، ص 954 .

(5) الخضر حسين : تاريخ التشريع الإسلامي، ص 167 .

كان لمصر اتصالٌ قويٌ بالحجاز منذ الفتح الإسلامي، لأن الحجاز كان مركز الخلافة أيام الخلفاء الراشدين، ثم دام الاتصال بالرحلة إلي الحج، وزيارة المسجد النبوي. فمن ثم كان مذهب الإمام مالك أول ما صادف المصريون من تلك المذاهب فأقبلوا عليه ولم يكونوا يعرفون غيره. وذلك على عكس المشرق الإسلامي، الذي كان اتصاله بمركز الخلافة ببغداد، ومن المعروف أن بغداد كانت مركز المذهب الحنفي، ومن ثم فقد عملوا على نشر المذهب الحنفي في العراق والأمصار القريبة منه مثل خراسان وما وراء النهر.

أول وأقدم مَن اشتغل بالفقه المالكي من التجيبيين، الفقيه : عبد الله بن السمح بن أسامة التجيبي المصري . ولد بمدينة الفسطاط سنة(125هـ/ 743م)، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم درس علم الحديث فسمع عبد الله بن الحارث، وعمر بن صبيح، ومالك بن أنس[1]، وغيرهم.

أُعجب عبد الله بعلم وذكاء الإمام مالك، فلازمه في المدينة المنورة مدة ليست بالقصيرة، لذا صار من أخص تلامذته . حتى وصفه ابن القاسم بقوله : «كان فقيهًا، ثقة»[2]. كما وثقه ابن حبان، وأبو حاتم الرازي[3]، وغيرهما.

بعودة عبد الله التجيبي إلى مدينة الفسطاط، كان من الطبيعي أن يلتف طلاب العلم حوله ليأخذوا عنه علم وفقه مالك بن أنس، فسمع منه كثير من الطلاب، من أشهرهم: يحيى بن بكير، ومحمد بن أبي زكير، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، وأبو بكر بن زنجويه[4]، وغيرهم.

هكذا، أصبح عبد الله محدثًا فقيهًا، غير أنه لم يترك لنا مُصّنَّفًا في الفقه نقف به على طريقته في التصنيف. وعلى كل، فقد مات بالفسطاط سنة(182هـ/ 798م).

العَلم الثاني من أعلام المدرسة المالكية في مصر، إسحاق بن الفرات التجيبي، ولد بالفسطاط سنة(135هـ/ 753م)، تعلم الحديث في صغره فسمع يحيى بن أيوب، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، والمفضل بن فضالة، ومعاذ بن محمد الأنصاري[5]، وآخرين.

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 311، السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 448.

(2) عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص178.

(3) ابن حبان: الثقات، جـ5، ص 114، الرازي: الجرح والتعديل، جـ5، ص77.

(4) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 33، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ3، ص 101.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، جـ2، ص 55.

لم يكتفِ إسحاق بما سمع من أعلام المدرسة المصرية، بل عَنَّ له[1] السفر إلى المدينة للأخذ عن إمامها مالك بن أنس، فلازمه مدة طويلة، قرأ عليه الموطأ؛ وأتقنه[2].

ولأن إسحاق كان يمتلك همة عالية في طلب العلم، فلم يكتفِ بما سمع وحصَّل في مصر والحجاز، بل رحل إلى العراق، فأخذ عن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم[3]؛ إمام الأحناف في زمانه . وبذلك يكون قد جمع في رحلته العلمية بين المدرستين؛ أعني مدرسة الرأي بالعراق، ومدرسة الحديث بالحجاز. وهذا ما سوف يكون له أكبر الأثر في تكوينه الفكري فيما بعد.

عاد إسحاق إلى الفسطاط بغير الوجه الذي ذهب به، عاد عالمًا فقيهًا محدثًا. يمتلك عقلية علمية قادرة على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، مما جعل كثير من العلماء يثنون على علمه وحفظه. قال عنه فقيه المالكية محمد بن عبد الله بن الحكم: «ما رأيت فقيهًا أفضل منه؛ كان علمًا»[4]. وقال إبراهيم بن إسماعيل بن عُليّه عندما هم بالخروج من مصر: «ما رأيت في بلدكم أحدًا يحسن العلم إلا إسحاق بن الفرات»[5]. وقال المؤرخ المصري ابن يونس الصدفي: «كان فقيهًا»[6]. وقال أبو عوانة الإسفراييني: «كان ثقة». وقد رد الإمام الذهبي على كلام أبي حاتم الرازي، عندما سُئل عنه، فقال: «شيخٌ ليس بالمشهور» قال: «ما هو مشهور بالحديث، بلى هو مشهور بالإمامة في الفقه»[7]. ثم قال في موضع آخر: «صدوق، فقيه»[8]. وهذه شهادة لها ثقلها من الإمام الذهبي.

هذه المكانة التي تبوأها الإمام إسحاق بن الفرات أهلته ليتولى منصب القضاء في مصر، وجعلت طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه، والسماع منه، ومن أشهرهم: أحمد بن سعيد الهمداني، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وبحر بن نصر الخولاني،

---

(1) عَنَّ لَهُ الأمرُ: عَرَض، ظهر، خَطَر في بالِه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1985م، جـ2، ص 632، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ2، ص 1565.

(2) عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 266، ابن فرحون: الديباج المذهب، جـ1، ص 297.

(3) الغزي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الرياض، دار الرفاعي،1403هـ – 1983م، جـ1، ص 168.

(4) الذهبي: العبر، جـ 1، ص 64.

(5) ابن حبان: الثقات، جـ 8، ص 110.

(6) الرازي: الجرح والتعديل، جـ2، ص 231،

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ14، ص53، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 503.

(8) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ1، ص 195.

وسفيان بن محمد المصيصي، وعيسى بن أحمد العسقلاني[1]، وغيرهم.

وعلى الرغم من هذا العلم الذي جمعه الإمام إسحاق بن الفرات، غير أنه لم يترك لنا مُصَنَّفًا في الفقه المالكي، نقف به على جهوده في إثراء هذا المذهب، وكل ما وصلنا من تراثه الفكري، مجموعة من الأحكام الرائعة ؛ سوف يأتي الحديث عنها في فصل القضاء. توفى – رحمه الله تعالى – بالفسطاط[2] سنة (204هـ/ 820م).

العَلم الثالث من أعلام فقهاء المالكية في مصر؛ فتيان بن عبد الله بن السمح، المعروف بأبي الخيار المصري. ولد بالفسطاط سنة (150هـ/ 767م). كان أبوه من أكابر فقهاء المالكية في زمانه، فاعتنى به، وأحسن تربيته، فنشأ الولد محبًا للعلم؛ معتنقًا للمذهب المالكي، مدافعًا عنه، متعصبًا له. حتى صار من أكابر فقهاء المالكية في زمانه ؛ ومن أعيان أصحاب الإمام مالك، حتى كان يشار إليه بالبنان.

ومن الجدير بالذكر، أنه جرت بينه وبين الإمام الشافعي مناظرات كثيرة[3]، كانت غالبًا ما تنتهي بالغلبة للإمام . ولكنها تثبت – في نفس الوقت – مدى علم وفقه فتيان بن عبد الله، وتمسكه بالمذهب المالكي الذى اعتنقه منذ صغره. توفى بالفسطاط سنة (205هـ/ 821م)[4]، ولم يترك لنا مُصَنَّفًا في الفقه المالكي.

الفقيه الرابع من التجيبيين، خالد بن محمد بن عبيد، المعروف بابن عين الغزال التجيبي. حفظ القرآن الكريم في صغره، وسمع الحديث من عبيد الله بن أبي جعفر الدمياطي، وعبيد بن خنيس، وبكر بن سهل[5]، وغيرهم. ثم تفقه على المذهب المالكي، وبرع فيه، حتى كانت تعقد له حلقة في المسجد الجامع بمدينة دمياط لتدريس الفقه المالكي[6]. ونظرًا لغزارة علمه، وحُسن منطقه، وقوة حجته، التف طلاب العلم حوله للأخذ عنه، ومن أشهرهم: محمد بن إسحاق الأنماطي، وغيره. كان خالدٌ ثقة، توفي بمدينة دمياط سنة (330هـ/ 942م)[7].

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ1، ص215، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ1، ص 84.

(2) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص97.

(3) لمزيد من التفاصيل، انظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 265.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 14، ص 292، السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 346.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ7، ص 22، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ1، ص 243.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 494، المقريزي: المقفى الكبير، جـ3، ص 739.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ25، ص 203.

أما آخر فقهاء المالكية من التجيبيين؛ فهو: عبد الرحمن بن عمر، أبو محمد التجيبي[1] المصري المالكي، البزار، المعروف بابن النحاس. ولد بمصر ليلة الأضحى سنة (323هـ/ 934م). وقد اعتنى ابن النحاس بالعلوم الإسلامية منذ طفولته، وبدأ يتردد على مجالس العلماء ويتلقى الحديث والفقه وغيرهما، فأوّل سماعه كان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة (942م) حينما كان عمره ثماني سنين فقط[2].

وحج سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة(950م)، وجاور بمكة، وسمع من ابن الأعرابي شيخ الحرم في وقته فأكثر عنه[3] حتى صار من أبرز تلامذته، وقد روى عنه المعجم[4].

عرف ابن النحاس بالجد والاجتهاد في طلب علم الحديث والفقه، وبرع حتى صار محدثًا وفقيهًا، ومسندًا للديار المصرية في وقته، فهو كما قال الإمام الذهبي: «الشيخ الإمام الفقيه المحدث الصدوق، مسند الديار المصرية»[5]. وقد ذاع صيته في العالم حتى عزم الخطيب البغدادي على الرحلة إليه فلم يقضِ[6].

لم تشر المصادر التاريخية إلى أنه ارتحل إلى خارج الديار المصرية، غير أنه حج سنة تسع وثلاثين - كما سبقت الإشارة، وجاور البيت الحرام وسمع من ابن الأعرابي[7].

مشايخه:

سمع بمكة وبمصر من خلق كثير لا يمكن حصرهم، واكتفي بذكر بعضهم مرتبًا إياهم على حروف المعجم مع ذكر تاريخ وفياتهم - إن وجدته -:

1 - أحمد بن بهزاد السيرافي، مسند مصر (المتوفى في عام: 346هـ/ 957م).

2 - أحمد بن عبد الله بن الحسن، أبو هريرة العدوى (المتوفى في عام: 346هـ/ 957م).

3 - أحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد، ابن الأعرابي (المتوفى في عام: 340هـ/ 951م).

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 33، ص303، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 4، ص263.
(2) السمعاني: الأنساب، جـ 5، ص465.
(3) الزركلي: الأعلام، جـ3، ص 319.
(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ6، ص 87.
(5) تاريخ الإسلام، جـ28، ص 403.
(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ33، 304، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 4، ص263 .
(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 117.

4 – أحمد بن محمد الصابوني، أبو الفوارس (المتوفى في عام: 349هـ/ 960م).

5 – أحمد بن محمد بن عمرو، أبو طاهر المديني (المتوفى في عام: بمصر: 341هـ/ 952م).

6 – أحمد بن محمد بن فضالة الدمشقي (المتوفى في عام: بمصر: 339ه/ 950م).

7 – الحسن بن مروان القيسراني.

8 – الحسن بن يوسف بن مليح الطرائفي (المتوفى في عام: 340هـ/ 951م)

9 – سليمان بن داود العسكري (المتوفى في عام: 338 هـ/ 949م).

10 – عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، أبو سعيد صاحب تاريخ مصر (المتوفى في عام: 347 هـ/ 958م).

11 – عبد الله بن جعفر بن الورد (المتوفى في عام: 351 هـ/ 962م).

12 – عبد الله بن محمد بن الخصيب.

13 – عثمان بن شعبان، أبو عمرو القرظي.

14 – عثمان بن محمد، أبو عمرو المحدث السمرقندي (المتوفى في عام: 345 هـ/ 956م).

13 – على بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني، قاضي إسكندرية ومسندها (المتوفى في عام: 339 هـ/ 950م).

16 – الفضل بن وهب.

17 – محمد بن إبراهيم بن حفص البصري.

18 – محمد بن أيوب بن الصموت، الرقى نزيل مصر (المتوفى في عام: 341 هـ/ 952م)

19 – محمد بن بشر، أبو بكر العكري الزنبري، مسند مصر (المتوفى في عام: 332 هـ/ 943م).

20 – محمد بن وردان العامري. وغيرهم[1] .

---

(1) الذهبي: العبر، جـ 3، ص122، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ3، ص402 .

تلامذته:

⏮ **قد سمع منه خلق أذكر بعضهم:**

1 - إبراهيم بن سعيد بن عبد الله، أبو إسحاق الحبال (المتوفى في عام: 482 هـ/ 1089م).

2 - أحمد بن أبى نصر.

3 - الحسين بن أحمد العداس.

4 - خلف بن أحمد.

5 - عبد الرحيم بن أحمد بن نصر البخاري (المتوفى في عام: 461 هـ/ 1068م).

6 - عبيد اللهّ بن سعيد بن حاتم، أبو نصر السجزي (المتوفى في عام: 444 هـ/ 1052م).

7 - عثمان بن سعيد القرطي، أبو عمرو الداني (المتوفى في عام: 444 هـ/ 1052).

8 - علي بن الحسن، أبو الحسن الخلعي صاحب الخلعيات (المتوفى في عام: 492 هـ/ 1098م).

9 - محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (المتوفى في عام: 454 هـ/ 1062م).

10 - محمد بن عبد الله بن علي أبو عبد الله الصوري (المتوفى في عام: 441 هـ/ 1049م).

وغيرهم .

مؤلفاته:

⏮ **لم يصلنا من مؤلفات ابن النحاس سوى كتابين، هما:**

أ - مشيخته، وهي في جزئين كما ذكره الذهبي[1].

(1) تاريخ الإسلام، جـ 28، ص 404، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ33، ص 304.

ب – كتاب في رؤية الله تعالى[1].

توفي ابن النحاس بمصر في يوم الثلاثاء، الثالث عشر من صفر، الموافق الثالث من شهر إبريل سنة(416هـ/ 1025م).

أُسرة مالكية:

ومما يستلفت النظر، ويجب الوقوف عنده، هو: ظهور أُسرة تجيبية عملت بالفقه المالكي لعقود طويلة؛ وهي أُسرة « بني برد». رأس هذه الأسرة ؛ سليمان بن برد بن نجيح التجيبي، سمع من أعلام المدرسة المصرية، من أمثال: الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وغيرهم.

ثم رحل إلى المدينة المنورة، وتتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس، وأخذ عنه الفقه، وروى عنه الموطأ. وقد أثنى على حفظه، فقيه المالكية في زمانه؛ محمد بن عبد الله بن الحكم بقوله: «الموطأ الذى سمع ابن برد أصح موطأ»[2]. وهذه شهادة تكتب بماء الذهب في حق ابن برد، خاصة وهي صادرة من فقيه مالكي، ورأس أسرة عملت بالفقه المالكي لعقود طويلة.

وعلى كل حال؛ كان سليمان فقيهًا، عالمًا، حظى بثقة أهل العلم، ومن أشهرهم: قول المقداد بن داود: «ما رأيت أحدًا أعلم بالفقه من سليمان»[3]. توفي يوم الأربعاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة(212هـ/ 828م).

أنجب سليمان ولدين، اشتغلا بالعلم وحب الفقه المالكي. أولهما: حُبَيش بن سليمان، المكنى بأبي القاسم التجيبي، روى عن أبي ضمرة[عاصم بن أبي بكر الزهري] روى عنه: يحيى بن عثمان بن صالح[4]، وغيرة.

أنجب حُبَيش هو الآخر، ولدين، هما: القاسم، وعبد الرحمن. الأول: روى عن هارون بن سعيد الإيلي، وروى عنه: ابن يونس الصدفي[5].

(1) كحالة: معجم المؤلفين، جـ5، ص 162، د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، جـ2، ص478. وقد حقق هذا المخطوط الأستاذ أحمد الناصر الحمد، لنيل درجة التخصص (الماجستير)عام(1423هـ/ 2002 م)، انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، جـ 23، ص64.

(2) عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 267.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 235.

(4) عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 269، السمعاني: الأنساب، جـ1، ص316.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 333.

أنجب القاسم ولدًا، أسماه على اسم أخيه: «عبد الرحمن»، فهو إذًا: عبد الرحمن بن القاسم بن حُبَيش بن سليمان بن برد، المكنى بأبي القاسم المصري المالكي. روى عن فقهاء المالكية، من أمثال: مالك بن يحيى السوسي، وأشهب بن عبد العزيز. قال الذهبي: «كان أعرف الناس باختلاف أشهب»[1]. توفى في شهر صفر سنة(325هـ/ 937م).

الابن الثاني لحُبَيش، هو: عبد الرحمن، لم أعثر على ترجمة وافية له. غير أن المصادر التاريخية أكدت لنا أنه أنجب ولدًا أسماه « أحمد»، فهو: أحمد بن عبد الرحمن بن حُبَيش بن سليمان بن برد. اشتغل - أيضًا - بعلم الفقه المالكي. وبوفاته انتهت أسرة « حُبَيش»، الفرع الأول من أسرة سليمان بن برد.

أما الفرع الثاني (أعني الابن الثاني) لسليمان، فهو: أحمد. روى عن الحارث بن مسكين، وبكار بن قتيبة. كان ثقة، مقبولاً عند القضاة[2]. توفي في ذي الحجة سنة(257هـ/ 871م).

أنجب أحمد ولدًا، أسماه « محمدًا»، المعروف بأبي بكر المصري المالكي[3]. سمع أشهر علماء عصره، والفقيه يونس بن عبد الأعلى الصدفي. توفي في شهر ربيع الأول سنة (316هـ/ 928م).

انجب محمد هو الآخر ولدًا فأسماه على اسم جده الأعلى سليمان. فهو إذًا: سليمان بن محمد بن أحمد بن سليمان بن برد، ولد بالفسطاط سنة (279هـ/ 893م)، وأخذ الفقه عن أبيه وجده، وأتقن هذا العلم، حتى صار فقيهًا مالكيًا ثقةً، أشهر من روى عنه المؤرخ المصري ابن يونس الصدفي. توفي سنة (333هـ/ 945م). وهو آخر من عثرت عليه من هذه الأسرة.

ختام القول، أن هذه الأسرة افتتحت بسليمان(بن برد)، واختتمت أيضًا بسليمان(بن محمد)، ولكن الفرق بين وفاة الأول وميلاد الثاني، ما يقرب من قرن من الزمان، عمل الجميع خلالها بالفقه المالكي ؛ حفظًا ودراسة وتعليمًا، حتى قال فيهم أحد المؤرخين: « وهو بيت جلالة في العلم بمصر، تكرر فيهم العلم والحديث والفقه، من سليمان جدهم، صاحب مالك(بن أنس) رضي الله عنه إلى هذا الوقت (544هـ / 1149م)»[4].

---

(1) تاريخ الإسلام، جـ 24، ص 174.

(2) السمعاني: الأنساب، جـ 1، ص 235.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 174، ابن يونس : تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 43.

(4) عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 267.

غير أنه مما يؤسف له أن هذه الأسرة العريقة لم تترك لنا مُصَنَّفًا في الفقه المالكي؛ حتى نقف على طريقتهم في التأليف، ودورهم في إثراء المذهب المالكي، وما أضافوه إلى المدرسة الفقهية المصرية . ولعلهم قد اكتفوا ببث علومهم وفقههم إلى طلابهم وأبنائهم، وفي هذا شرف كبير، وهمة عالية، لا تقل عن التصنيف . ويكفيهم شرفًا أنهم رفعوا راية الفقه المالكي في الديار المصرية ما يقرب من قرن من الزمان، وتوارثوا هذا العلم جيلاً بعد جيل.

ثانيًا : فقهاء الشافعية:

الشافعية: نسبة إلى الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة . ولد في غزة بفلسطين [150 - 204 هـ/ 767 - 820 م]، وحمل منها إلي مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين[1] وقصد مصر سنة [199 هـ/ 814 م] فتوفى بها . انتشر المذهب الشافعي في العراق ومصر وخراسان وما وراء النهر[2] وقاسموا الحنفية الفتوى والتدريس[3].

ظل المذهب المالكي منتشرًا في مصر حتى قدم الإمام الشافعي إليها في سنة(199هـ/ 815م) وصار له بها أتباع، وتوطن هذا المذهب في مصر على إثر ذلك. ولم يكن للمصريين عهد بمذهب الإمام أبي حنيفة إلا عن طريق القضاة الذين كان الخلفاء ببغداد يرسلونهم من قِبلهم إلى مصر .

ومن أشهر فقهاء الشافعية عامة، وفقهاء مصر خاصة، وفقهاء التجيبيين على وجه أخص؛ الإمام أبي عبد الله، حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي. ولد بمدينة الفسطاط[4] سنة(166هـ/ 783م)، ونشأ في بيت علم وفضل، فجده الأعلى كان أحد العلماء المحدثين - كما سبق القول ـ. حفظ حرملة القرآن الكريم صغيرًا، ثم بدأ في طلب العلم الحديث، فسمع من ثقات المحدثين، وعلى رأسهم: عبد الله بن وهب، وأيوب بن سويد الرملي، وبشر بن بكر التنيسي، وسعيد بن أبي مريم، وكثير غيرهم.

انتفع حرملة بما سمع ودون من علم الحديث، حتى صار مضرب المثل في ذلك. قال ابن عدي: «وقد تبحرت حديث حرملة، وفتشته كثيرًا، فلم أجد في حديثه ما يجب أن

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 4، ص 163، الزركلي : الأعلام، جـ 6، ص 26 .

(2) ابن خلدون : المقدمة، جـ 3، ص 950 - 953 .

(3) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 466 - 467 .

(4) المقريزي: المقفى الكبير، جـ3، ص 262، الزركلي: الأعلام، جـ2، ص 174.

يضعف من أجله»[1]. وهذه شهادة هامة في حق حرملة، خاصة وهي صادرة من إمام كبير في علم الجرح والتعديل. ومما يقوي هذا القول، ويعضضه، أن الإمام مسلم بن الحجاج قد أكثر من الرواية عن حرملة في صحيحه.

هذه كانت وجهة الإمام حرملة في بداية حياته العلمية، أن يكون محدثًا كبيرًا، يحظى بثقة العلماء، وكان مثله الأعلى - الذي يقتفي أثره - جده حرملة بن عمران.

ولكنه بدأ منذ عام(199هـ/ 815م) يغير وجهته العلمية، ويختار المذهب الشافعي، لماذا؟ لأنه: العام الذي دخل فيه الإمام الشافعي مصر، ونزل علي حرملة في بيته . ومنذ هذه اللحظة، سمع من كلام الشافعي، وأعجب بعلمه أيما إعجاب، فلازمه حتى صار من أقرب تلامذته إليه. وكتب عنه من الكتب ما لم يروها الربيع بين سليمان المرادي نفسه ؛ ومنها: كتاب» السنن»، وكتاب « ألوان الإبل والغنم وصفاتها وأسنانها» وكتاب» النكاح»، وكتب أخرى كثيرة انفرد بروايتها عن معاصريه[2]. قال المقريزي: «وحدث عن الشافعي بالكتب والحكايات المنثورة التي لم يروها أحدٌ غيره. وكُتب الشافعي التي رواها حرملة عنه فيها زيادات كثيرة ليست عند أحد «[3].

هكذا أصبح حرملة من أخص تلاميذ الإمام الشافعي في مصر، ومن كبار رواة مذهبه الجديد. وقد حفظت لنا كتب طبقات الشافعية[4] كثير من الفوائد التي رواها حرملة عن شيخه الإمام الشافعي. قال ابن خلكان: « كان أكثر أصحاب الشافعي اختلافًا إليه واقتباسًا منه»[5]. ولكن - والحق يقال - لم يكن حرملة مقلدًا لشيخه وإمامه على طول الطريق، بل كان يجتهد في كثير من المسائل ويخرجها على أصول المذهب، وقد ينفرد بذكر بعض المسائل، ويخرج عن المذهب تأصيلاً وتفريعًا[6]، كما قد يفعل ذلك باقي فقهاء المذهب كالربيع والمزني وغيرهما.

---

(1) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 165، المزي: تهذيب الكمال، جـ5، ص 551.

(2) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، جـ2، ص 150، د. السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية في مسجد عمرو بن العاص في عصر الولاة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1990م، ص 70.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 264.

(4) انظر بعض هذه المسائل في: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ2، ص 97، الأسنوي: طبقات الشافعية، جـ 1، ص 26، ابن كثير: طبقات الشافعية، جـ1، ص 136 - 137، النووي: تهذيب الأسماء واللغات، جـ1، ص 207.

(5) وفيات الأعيان، جـ 2، ص 64.

(6) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص 99، الحسيني: طبقات الشافعية، ص 22.

على كل حال؛ جمع حرملة بين علم الحديث وعلم الفقه، فصار كما يقول الذهبي: «الإمام الفقيه، المحدث، الصدوق»[1]. وقال أيضًا في موضع آخر: «كان إمامًا، جليلًا، رفيع الشأن، كثير الرواية والحديث»[2]. ويكفيه فخرًا أن إمام الجرح والتعديل في زمانه ؛ الإمام يحيى بن معين قد أثنى عليه، مع أنه كان أكبر منه سنًا.

ومن الجدير بالذكر، أن حرملة قد جمع كل هذا العلم في مصر، فلم يثبت عنه أنه رحل إلى خارجها، حتى أكد الذهبي ذلك بقوله: «لم يرحل حرملة، ولا عنده عن أحد من الحجازيين»[3]. ومع ذلك، فقد طارت شهرته في الآفاق، فأقبل إليه طلاب العلم في مدينة الفسطاط، يتعلمون منه علمي الحديث والفقه. ويطول بنا القول لو ذكرت كل تلاميذ الإمام، ولكنني اكتفي بالإشارة إلى بعضهم، وهم: إبراهيم بن أحمد الأصم المصري، وأحمد بن داود الحراني، وأحمد بن عثمان المعروف بالنسائي الكبير، وأحمد بن الهيثم الطرسوسي، وإسحاق بن موسى الإستراباذي، وإسحاق ابن عمران النيسابوري، والحسين بن الهيثم الرازي، ومحمد بن الحسين العسقلاني، وإبراهيم بن عبد الله الختلي، والطفيل بن زيد النسفي، وعبدالله بن عبدويه النسفي، وبقي بن مخلد الأندلسي[4]، وغيرهم .

ونظرة متأنية في هذه القائمة المقتضبة ؛ نلحظ أن تلامذة الإمام حرملة كانوا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي :(مصر - بلاد ما وراء النهر[5][الخُتَّل[6]، نَسَف[7]] - بلاد الشام [حرَّانُ[8]، عَسْقَلانُ[9]، طَرَسُوسُ[10]] - الرِّيّ[11] - خُراسَانُ[12][نَسَا[13]،

(1) سير أعلام النبلاء، جـ11، ص 389.

(2) ميزان الاعتدال، جـ 1، ص 472، وكتابه: الكاشف، جـ1، ص 317.

(3) تاريخ الإسلام، جـ18، ص 217.

(4) المزي: تهذيب الكمال، جـ5، ص 549، السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 40.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ5، ص 5، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1223، ولمزيد من التفاصيل انظر: د. محمود محمد خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص20، وما بعدها.

(6) الإصطخري: المسالك والممالك، ص156، دائرة المعارف الإسلامية: مادة الختل، م16، جـ128، ص490، د. محمود محمد خلف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين، القاهرة، دار المعارف، 2015م، ص19.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ب. ت، ص413، السمعاني: الأنساب، جـ5، ص486، د. محمود محمد خلف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، ص 15.

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 235، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 389.

(9) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص 122، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ2، ص 940.

(10) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص 28، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ2، ص 883.

(11) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص116، البغدادي، مراصد الاطلاع،جـ2، ص 651.

(12) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص350، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ1، ص 455.

(13) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ5، ص 281، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1369.

نَيْسَابُور[1]،أَسْتَرَاباذ[2]] – الأندلس. إذًا، كانت الرحلة إلى الإمام من أقصى مشارق العالم الإسلامي(بلاد ما وراء النهر) إلى مغربه (بلاد الأندلس)، بالإضافة إلى إقليمي خراسان وبلاد الشام. وهذا – بلا شك – فيه إثراء كبير للحركة الفكرية والعلمية في مدينة الفسطاط، التي سعدت بإقامة هذا الإمام الكبير فيها.

فإذا أُضيِف إلى ما سبق أن الإمام لم يكتفِ بالتعليم فقط، بل ساهم في إثراء المكتبة الإسلامية بمؤَلفين في فروع الفقه الشافعي؛ هما: «المبسوط» و«المختصر»[3]، علمنا مقدار هذا الفقيه الشافعي حقًا.

وبعد رحلة طويلة من العطاء، رحل الإمام حرملة إلى جوار ربه ليلة الخميس لتسع بقين من شهر شوال سنة(243هـ)، الموافق 20 يناير(858م)، ودفن بالمقطم.

ومن فقهاء الشافعية كذلك، أحمد بن يحيى بن وزير، المعروف بأبي عبد الله التجيبي(171ـ 250هـ – 788 – 864م)، أحد الأئمة الأعلام، صحب الإمام الشافعي وتفقه على يديه[4]. كما سمع عبد الله بن وهب، وشعيب بن الليث بن سعد، وإسحاق بن الفرات، وغيرهم. روى عنه: الإمام النسائي، وأحمد بن حماد بن سفيان، وعلي بن أحمد بن علان[5]، وآخرين.

ولكن مما يؤسف له أنني لم أعثر على شيء من آراءه الفقهية، ولعل شهرته في مجال الشعر والأدب قد طغت على شهرته في مجال الفقه . وسوف يأتي الحديث عنه في الفصل القادم.

ولي في النهاية عدة ملاحظات، أجملها فيما يلي:

أولاً: أن الفقهاء التجيبيين قد ساهموا بشكل ملحوظ في تطور علم الفقه بمدينة الفسطاط خاصة، وبمصر عامة. فقد احتل المذهب المالكي مكان الصدادرة في ذلك. حيث بلغ عدد المشتغلين به نحو [خمسة] فقهاء، ناهيك عن هذه الأسرة (سليمان بن برد) التي عمل جميع أفرادها بهذا المذهب لعقود طويلة.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ5، ص 331، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1411.
(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 174، البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ1، ص 70.
(3) العيني: مغاني الأخيار، جـ1، ص 183، كحالة: معجم المؤلفين، جـ3، ص 190.
(4) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ 2، ص 52، ابن كثير: طبقات الشافعية، جـ1، ص 126.
(5) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 737.

ثانيًا: أن الفقهاء التجيبيين كان لهم قصب السبق في الرحلة لطلب العلم - خلافًا للمحدثين التجيبيين الذين لم يرحلوا خارج مصر - وخاصة إلى المدينة المنورة للأخذ عن الإمام مالك بن أنس. وعن طريقهم انتقل فقه المالكية إلى بلاد المغرب والأندلس.

ثالثًا: أن الظاهرة الغالبة على الفقهاء التجيبيين - وذلك على عكس المحدثين - أنهم قاموا بالتأليف والتصنيف، وقد ساهموا بذلك في إثراء المكتبة الإسلامية بكثير من المؤلفات التي مازال طلاب العلم ينهلون منها حتى الآن.

المبحث الثالث:
الفقهاء المعافريون في مصر الإسلامية

ظهر في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان المتوفى سنة(150هـ/ 767م)، ومذهب الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة(179هـ/ 795م)، فانحاز إلى كل مذهب فريق من المسلمين. وكذلك كان الحال في مصر، فقد انقسم المصريون قسمين، قسم تبع مذهب أبي حنيفة، وآخر تبع مذهب مالك، وحدث بين أتباع المذهبين نزاع ونقاش.

ومن أشهر فقهاء المالكية في مصر خلال عصر الولاة؛ عقبة بن نافع المعافري الإسكندراني، نشأ بمدينة الفسطاط، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم أخذ في طلب العلم، وعنَّت له الرحلة في طلبه، فسمع خالد بن يزيد، وربيعة بن أبي عبدالرحمن؛ المعروف بربيعة الرأي، وعبد المؤمن بن عبد الله بن هبيرة[1]، وغيرهم. عاد عقبة مرة ثانية إلى مسقط رأسه بالفسطاط، قال ابن يونس: «كان له شرف ومنزلة، وكان يسكن بالفسطاط»[2] ولكن يبدو أن إقامة عقبة بهذه المدينة لم تطل، بل غادرها إلى مدينة الإسكندرية، وهناك ذاع صيته، وأرتفع نجمه، حتى عُرِف بـ»شيخ الإسكندرية وفقيهها»[3]، فرحل إليه طلاب العلم من الآفاق للأخذ عنه، ومن أشهرهم: عبد الله بن وهب. توفى عقبة بالإسكندرية سنة(163هـ/ 780م) [4].

ومن هؤلاء العلماء أيضًا عبد الرحمن بن شُريح المعافري، الذي أشتغل أيضًا بعلم الفقه المالكي، قال عنه السيوطي: «كان ذا جلال وفضل وعبادة»[5]، عاش ومات بمدينة

---

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 535، السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 210.

(2) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 349.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ10، ص 363.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 191، مادة: «الأعموقي»، جـ5، ص127، ومادة: «اللبواني».

(5) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 96.

الإسكندرية سنة(167هـ/ 784م).

أما سعد بن عبد الله بن سعد، أبو عمر المعافري، الإسكندراني الفقيه. فكان من كبراء أصحاب الإمام مالك بن أنس، قال ابن حارث: «كان فاضلاً مأمونًا». روى عن: موسى بن علي بن رباح، ويحيى بن أيوب، وأبي معشر السندي، وغيرهم. روى عنه: ابن القاسم، وابن وهب، وإسماعيل بن بكير، وخالد بن نزار، وغيرهم. قال ابن يونس: «كانت له عبادة وفضل وفقه، وهو الذي أعان ابن وهب على تصنيف كتبه»[1]. قال فتح بن حماد المهدي: «لقيت الليث بن سعد عند قدومي من الإسكندرية، فقال لي: كيف تركت إخواننا بالإسكندرية؟ فقلت له: مات سعد بن عبد الله. فاسترجع وقال لو كان في عدوة[2] وكنت أنا وسعد في عدوة لرجوت أن أكون به[3] مليئًا»[4]. توفي سعد في سنة (173هـ/ 789م).

ومن أشهر تلاميذ الإمام مالك بن أنس من المعافريين؛ زين بن شعيب المعافري، أبو عبد الله المصري، روى عنه: عبد الله بن وهب، ومرة البرلسي، ويحيى بن بكير، وسعيد بن تليد، وغيرهم[5]. وكان فقيهًا كبير القدر، فاضلًا، عابدًا[6]. قال الحارث بن مسكين: «كان من عِلْيَة أصحاب مالك». وقال ابن شعبان: «كان مالك إذا فقده، قال: كيف الشيخ الصالح؟!». وكان تلميذه يحيى بن بكير، إذا حدث عنه قال: «حدَثني زين بن شعيب، وكان والله زيَنًا»[7]. وقال عنه ابن حبان: «مستقيم الحديث»[8]. وأثنى عليه ابن الجوزي بقوله: «كانت له عبادة وفضل»[9]. مات كهلًا ودفن بالإسكندرية سنة(184هـ/ 800م)[10].

ظل المذهب المالكي منتشرًا في مصر حتى قدم الإمام الشافعي إليها في سنة(199هـ/ 815م) وصار له بها أتباع، وتوطن هذا المذهب في مصر على إثر ذلك. وقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، تطورًا كبيرًا في علم الفقه، فقد استقر

---

(1) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 105، ابن فرحون: الديباج المذهب، جـ1، ص 68.

(2) هي: المكان المرتفع، وشاطئ الوادي وجانبه، ابن منظور: لسان العرب، جـ4، ص2850.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ11، ص130، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 148.

(4) المَلِي: الزمان الطويل، ومدة العيش. فكأن الإمام الليث أراد الانفراد به أطول وقت ممكن ؛ لفقهه وعلمه. ابن منظور: لسان العرب، جـ6، 4272.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ4، ص 21، السمعاني: الأنساب، جـ2، ص313.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص 165.

(7) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 106.

(8) ابن حبان: الثقات، جـ8، ص 257.

(9) ابن الجوزي: المنتظم، جـ3، ص 149.

(10) ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ1، ص 140، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص201.

المذهب الشافعي في مصر وزاد انتشاره، وبالتالي زاد الصراع بينه وبين المذهب المالكي. وأخذ هذا الصراع أشكالًا عدة تتمثل في المناظرات، والمحاورات، والمؤلفات التي وضعها أئمة كل مذهب يدافعون فيها عن مذهبهم ويردون على المذاهب الأخرى. ولا شك أن هذه المؤلفات والمناظرات كانت في النهاية تؤدي إلى ظهور آراء فقهية جديدة[1].

كان الإمام أشهب بن عبد العزيز المعافري: (145 - 204 هـ/ 762 - 819 م): فقيه الديار المصرية في زمانه[2]. اسمه مسكين، وأشهب لقبه، وكنيته أبو عمرو. حفظ القرآن الكريم في صغره، وجوده وحسنه، ثم رحل إلى المدينة المنورة فأخذ القراءة عرضًا عن الإمام نافع بن أبي نعيم(ت 169هـ/ 785م) [3]. ثم أخذ في طلب علم الحديث، حتى روى له أبو داود، والنسائي، وأبو جعفر الطحاوي[4].

أما الشهرة الحقيقية للإمام أشهب فقد جاءت في علم الفقه، فقد سمع خلال رحلته إلى المدينة المنورة ؛ الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - والذي حَببَ إليه علم الفقه . يقول القاضي عياض: «كان أشهب فقيهًا نبيلاً، حسن النظر، من المالكيين المحققين، ثقة فيما روى عن مالك»[5]. وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهًا على مذهب مالك، ثقة في الحديث، ثبتًا»[6]. وإلى جانب الإمام مالك سمع من أساطين أهل العلم في زمانه، من أمثال: الليث ابن سعد، والفضيل بن عياض، وسليمان بن بلال، وعبد الله بن لهيعة، ويحيى بن أيوب، وبكر بن مضر، والمنذر بن عبد الله الحزامي، وغيرهم[7]. قال الشيرازي: «تفقه بمالك وبالمدنيين والمصريين»[8].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام أشهب كان عاف اللسان، كثير الذكر والثناء على شيوخه. قال في حق شيخه الليث بن سعد: «كان له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها، أما أولها: فيجلس ليأتيه السلطان[الوالي] في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان فإن أنكر من القاضي أمرًا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل. ويجلس

---

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 192.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 500، الزركلي: الأعلام، جـ1، ص 333.

(3) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 161.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ3، ص263، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ1، ص 314.

(5) القاضي عياض: ترتيب المدارك، نفس الجزء، ونفس الصفحة.

(6) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ1، ص 111.

(7) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 113، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 202.

(8) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص 150.

لأصحاب الحديث، وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم. ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه. ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده، كبرت حاجته أو صغرت. قال: وكان يُطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر»[1].

وصفه:

كان أشهب «مهيبًا، أزرق العينين، فإذا كلمه إنسان في مسألة يرفع عينيه إليه إذا تعذرت المسألة. وكان يلبس قلنسوة سوداء. وكان آمرهم بمعروف، أنهاهم عن منكر»[2]. يبث العلم بين الناس جميعًا، وخاصة بين تلامذته، قال له يومًا ابن عبد الحكم: لو أمسكت قليلاً. قال: لقد علمت الذي تقول. ولو فعلت ذلك لكنتُ أجلَّ في عيون الناس، ولقطعت بعض كلامهم، ولكن والله لا أعمل شيئًا أبدًا إلا أريد به وجه الله»[3]. وكان جوادًا كريماً ذا مال وحشمة وجلالة[4]، قال عنه تلميذه سحنون: وقعت بمصر مجاعة فحضرته يتصدق بالدنانير من الغدوة إلى الليل. ويتصدق بما كان معه من طعام. وذكر عنه أيضًا، أنه رآه يتصدق في يوم واحد بألف دينار[5].

تلامذته:

علا صيت الإمام أشهب في سماء مصر، خاصة بعد عودته من المدينة المنورة، وأخذه العلم عن إمام دار الهجرة؛ مالك بن أنس. فرحل إليه طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ليأخذوا عنه، ولينهلوا من خُلقه وعِلمه، وكان من أبرزهم:

أ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن عمرو البرقي(ت 245هـ/ 859م): مولى سبأ ويقال مولى رعين، حدث عن أشهب بن عبد العزيز، توفي بمصر يوم الاثنين لست خلون من شعبان[6].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ4، ص 131، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ6، ص390، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ8، ص150.

(2) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 162.

(3) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ1، ص61، ابن الجوزي: المنتظم، جـ3، ص251.

(4) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ1، ص222، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 11، ص254.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص238.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 324.

ب – أبو عثمان الأندلسي(ت236هـ / 851م): فقيه محدث، رحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن عبد الحكم، وغيرهما من أصحاب مالك بن أنس[1].

ت – عبد المِلِك بن الحَسَن بن مُحمد بن زُرَيق(ت232هـ/ 847م) من أهْل قُرطُبة؛ يُكنّى: أبا مَروان، ويُعْرَف: بزُونان. كانَ: مُفْتيًا في أيّام الأمير هِشام بن عبد الرّحمن، وأيّام عبد الرّحمن بن الحَكَم، ولهُ رِحلَةٌ سمع فيها: من أشْهب بن عبد العزيز[2].

ث – محمد بن أشهب بن عبد العزيز(ت249هـ/ 863م): ابن الإمام، ذكره ابن يونس وقال: روى عن أبيه[3].

ج – محمد بن سعيد بن حسان الصائغ(ت 260هـ/ 874م): مولى الحكم بن هشام، من أهل قُرْطُبَة. سمع: من أبيه، ومن يحيى بن يحيى، وعبد الملك بن حبيب ونظرائهم. رحل فسمع: من أشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن نافع، وعبد الله بن عبد الحَكَم، ثُم قدم الأنْدَلُس فعاجلته منيته[4].

ح – موسى بن الفَرَج: من أهل قُرْطُبَة، كان فقيهًا في المسائل على مَذْهب مَالك بن أنس، وروى عن أشهب بن عبد العزيز[5].

خ – هارون بن سالم الأندلسي(ت 238هـ/ 852م) فقيه محدث. روى عن أشهب بن عبد العزيز[6].

د – هارون بن سعيد بن الهيثم السعدي، أبو جعفر الأيلي(170هـ – 253هـ/ 786 – 867م)، من أهل أيلة [فلسطين]، روى عن أشهب بن عبد العزيز، وكان ثقة[7].

ذ – يَحيى بن مَعْمر بن عمران بن مُنِير، من أَهْلِ إشْبِيليَّة؛ يُكَنَّى: أبَا بكر، كانت له رحلة إلى المشرق، لقي فيها أشهب بن عبد العزيز، وسمع منه ومن غيره. وكان مالكي

(1) الحُميدي: جذوة المقتبس، جـ1، ص 82.
(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 100.
(3) ابن فرحون: الديباج المذهب، جـ1، ص 165، لم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.
(4) الحُميدي: جذوة المقتبس، جـ1، ص 21، المقري: نفح الطيب، جـ2، ص 140.
(5) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 193، الحُميدي: المصدر السابق، جـ1، ص121.
(6) ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء الأندلس، ص 25، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ17، ص 376.
(7) العيني: مغانى الأخيار، جـ5، ص 198.

المذهب، ورعًا، زاهدًا، فاضلاً[1].

ر – يونس بن عبد الأعلى الصدفى، أبو موسى المصري(ت 264هـ/ 878م)، روى عن أشهب بن عبد العزيز[2].

التنافس العلمي:

ذاعت شهرة الإمام أشهب ليس في مدينة الفسطاط وحسب، بل تعدتها إلى سائر العالم الإسلامي. فكان من الطبيعي أن تقوم المنافسة بينه وبين أقرانه من العلماء. ويأتي في مقدمتهم عالِمان شهيران، كان الأول منهما فقيهًا مالكيًا، والثاني: إمامًا شافعيًا.

أما الفقيه المالكي؛ فهو الإمام ابن القاسم؛ عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري (132 – 191 هـ/ 750 – 806 م). جمع بين الزهد والعلم. وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. مصري المولد والوفاة. له كتاب (المدونة) في ستة عشر جزءًا، وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك بن أنس[3]. ومن الطبيعي أن تكون المنافسة بين الفقيهين المالكيين شديدة في مَنْ يلي زعامة المذهب المالكي في مصر. لذا فقد عُقدت بينهما كثير من المناظرات، كانت في الغالب تنتهي بتفوق الإمام أشهب، وإذعان ابن القاسم له. يقول سحنون: «ما كان أحد يناظر أشهب، إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله. ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم في أصول العلم، ويفسّر ويحتج، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفًا»[4]. وقال ابن عبد البر: «كان فقيهًا حسن الرأي والنظر، وقد فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم في الرأي»[5]. بل إن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: «أشهب أفقه من ابن القاسم مائة مرة»[6]. وهكذا، يتضح لنا تفوق الإمام أشهب على قرينه المالكي.

أما المنافس الثاني، بل المنافس الحقيقي للإمام أشهب، فكان الإمام الشافعي (150 – 204 هـ/ 767 – 820 م)، الذي رحل إلى مصر واستقر به المُقام في مدينة الفسطاط.

(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 204، ابن حيان القرطبي: المصدر السابق، جـ1، ص 16.

(2) العيني: المصدر السابق، جـ5، ص 309.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص 276، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 121.

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 163.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 500، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ1، ص 314.

(6) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 113، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 202.

وقد بدأت العلاقة بين الإمامين طيبة، يقول الذهبي: « كان الشافعي وأشهب يتصاحبان بمصر ويتذاكران الفقه، وكان ما بينهما متقاربًا»[1]، وبمرور الوقت ذاع صيت الإمام الشافعي، وطغت شهرته في سماء الفسطاط، فالتف الناس حوله يستمعون له، ويأخذون عنه. فإذا تذكرنا حب الإمام أشهب لمذهبه، وتذكرنا ما قاله عنه ابن حبان: «.... كان فقيهًا على مذهب مالك متبعًا له ذابًا عنه»[2]. وقول القُضاعي في كتابه – المفقود – خطط مصر: «كان لأشهب رياسة في البلد [مصر]، ومال جزيل، وكان من أنظر أصحاب مالك بن أنس»[3]، وتذكرنا تلكم المناظرات التي دارت بينهما، حتى قال الشافعي : «ما رأيتُ أفقه من أشهب»[4]، وفي رواية ثانية: «ما أخرجت مصر أفقه من أشهب»[5]، وفي رواية ثالثة: «ما نظرت أحدًا من المصريين مثله»[6]. وإذا تذكرنا أيضًا أن كل هذه المناظرات كانت تنتهي دائمًا لصالح الإمام الشافعي، علمنا مقدار المنافسة الشديد التي كانت بين الإمامين.

ولا يخفى علينا، أن في هذه المنافسة العلمية مكسب كبير لعلم الفقه، وفيه إثراء للفكر. ومع ذلك، فقد ظل المذهبان؛ المالكي والشافعي يتنافسان على مركز الصدارة في مصر[7].

مُصَنَّفاته: ألف الإمام أشهب كتابين في الفقه المالكي، يعرف الأول منهما بـ«المدونة»، رواه عنه تلميذه سعيد بن حسان الصائغ، وغيره . وهو كتاب – كما يقول ابن النديم – : «جليلٌ كبيرٌ كثير العلم»[8] . وله أيضًا كتاب «اختلاف القسامة»، وكتاب واحد في التاريخ، يحمل عنوان «في فضائل عمر بن العزيز». وللأسف الشديد لم تصل إلينا هذه المُصنَّفات الهامه، للوقوف على طريقة الإمام أشهب في التأليف، ولعلها فُقدت مع ما فقدنا من تراثنا الفكري والحضاري.

وفاته: عاش الإمام أشهب حياته كلها من أجل العلم، حتى كان آخر عهده بالدنيا كتبه التي ألفها لينفع بها الطلاب. قال يونس بن عبد الأعلى: دخلت على أشهب في مرضه

---

(1) الذهبي: المصدر السابق، ونفس الجزء، ونفس الصفحة.

(2) ابن حبان: الثقات، جـ8، ص 136.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص238.

(4) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص 150، القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، 161.

(5) الذهبي: العبر في خبر مَنْ غبر، جـ1، ص 64، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 202.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص238.

(7) المقريزي: الخطط، جـ4، ص 156، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 4، ص94 ـ98، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ2، ص519.

(8) ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دولة لبنان، دار المعرفة،1997م، ص 252.

الذي مات فيه، فقال لي: يا يونس. قلت لبيك. قال: انظر ما هاهنا وأشار إلى كتبه، فإذا جمعت من الحجج على هذا البدن الضعيف ما أستريح. قال: وكانت كتبه في زنبيل بجلد كبير. وتوفي بمصر سنة أربع ومائتين في رجب، وقيل لثلاث وعشرين ليلة خلت من شعبان. قال الشيرازي: بعد الشافعي بشهر. وقال ابن عبد البر: ثمانية عشر يومًا. وقيل بثلاثة وعشرين يومًا. وهذا هو المشهور من تاريخ وفاته[1].

هكذا كانت حياة الإمام الفقيه المالكي أشهب بن عبد العزيز المعافري، محبًا للعلم، ناشرًا له، متحملاً الأذى في سبيل تبليغه، والصبر على نشره حتى استحق أن يُطلق عليه: «أحد فقهاء مصر، وذوي رأيها»[2].

صفوة القول: أن معظم الفقهاء المعافريين كانوا خاملي الذكر، لم يسطع في سماء الفكر الإسلامي سوى الإمام أشهب بن عبد العزيز. ربما يرجع ذلك إلى المناظرات الفقهية[3] التي عُقدت بينه وبين الإمام الشافعي، حيث كان كل منهما ينتصر لمذهبه. وربما يرجع ذلك أيضًا إلى سُكنى الإمام أشهب في مدينة الفسطاط، فمصر لها دور فاعل في إضفاء الشهرة على مَنْ وطئت أقدامه تراب أرضها، فضلاً عن أن يكون أحد أبنائها.

وإلى جانب هؤلاء الفقهاء الأعلام، ذكرت لنا المصادر التاريخية، مجموعة أخرى، غير أنها اكتفت بذكر أسمائهم فقط، ولم أعثر على ترجمة وافية لهم، وهم:

1. أبناء عثمان المعافري: أبو عثمان وأخوه حاتم وأخوه أبو طالب أبناء عثمان المعافري؛ المعروف بالابزاري. قال القاضي عياض: «لهم سماع من ابن أنعم، ومن مالك بن أنس، وأحسب أن رحلتهم كانت مع ابن غانم. روى عنهم داود بن يحيى الصدفي، وغيره. قال أبو عثمان: سمعت مالكًا يقول: ينبغي للقاضي أن يحترس من الناس، بسوء الظن. وقال حاتم: أكلت معه[مالك] فرايته يأكل بثلاثة أصابع. قال: وسمعته يقول: حياة الثوب طيّه، وعيبه قصر أكمامه»[4].

2. حيي بن ماتع المعافري، من جلة أهل مصر[5].

---

(1) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص162.

(2) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص46.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص238، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ11، ص254.

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ1، ص 177.

(5) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 298.

3. عمر بن مالك الشَّرْعَبِيّ المعافري المصري: روى عن عُبيد الله بن أبي جعفر، وخالد بن أبي عمران، وغيرهما[1]. روى عنه حيوة بن شريح، وضمام بن إسماعيل، وغيرهما[2]. قال ابن يونس: «كان فقيهًا»[3]. وثقه علماء الجرح والتعديل[4].

4. عمران بن يحيى المعافري، من جلة المصريين[5].

5. محمد بن يحيى المعافري، ذكره ابن شعبان في أصحاب مالك الإسكندرانيين[6].

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ9، ص 545، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 281.

(2) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 725.

(3) المزي: تهذيب الكمال، جـ21، ص 493، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ7، ص 434.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ9، ص 135.

(5) الرازي: المصدر السابق، جـ9، ص 135.

(6) ابن فرحون: الديباج المذهب، جـ1، ص16.

المبحث الرابع:
الفقهاء الغافقيون في مصر الإسلامية

نلمح منحىً جديدًا في دراسة الجانب العلمي لقبيلة غافق، فقد ظهر من بين أبناء هذه القبيلة من اعتنق المذهب الليثي، إلى جانب فقهاء المالكية، والشافعية. وهم كالتالي:

أولًا: فقهاء المالكية:

من أشهر فقهاء المالكية في مصر خلال عصر الولاة، أحمد بن موسى بن مخلد الغافقي: ولد سنة(207هـ/ 822م) بالفسطاط، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم رحل في طلب العلم إلى بلاد المغرب العربي، فنزل بمدينة القيروان[1]، وأقام بها فترة ليست بالقصيرة، لازم فيها الإمام سحنون بن سعيد(160 - 240 هـ/ 777 - 854 م) حتى صار من أخص تلامذته. كما سمع من أقرانه من أمثال: عبد العزيز بن يحيى المدني، وهارون بن سعيد الأيلي، وأبي إسحاق البرقي، وغيرهم[2].

انتفع أحمد بما سمع من العلم، فكان زاهدًا، ورعًا، متعبدًا، فاضلاً، ثم صار مضرب المثل بين أقرانه، مما جعل طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه، ومنهم: أبو القاسم بن تمام، وعبد الله بن مسرور، ومحمد بن يونس السدري، ولقمان بن يوسف. ويطول بي المقام لو ذكرت جميع تلامذته، وأكتفي بما قاله القاضي عياض: «وتلامذته غير واحد من الأجلة، وعالم كثير»[3].

ومن الجدير بالذكر، أن الإمام أحمد عُرِض عليه القضاء، فأبى خوفًا من أن يظلم أحدًا، أو يميل بفتواه إلى الولاة، ولكنه اكتفى بالتعليم، فسطع نجمه في سماء العلم، وذاع

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص 420، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ3، ص1139

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 22، ص 76.

(3) ترتيب المدارك، جـ 1، ص 344.

صيته بين الفقهاء، حتى قال ابن فرحون عنه: «كان فقيهًا، عالمًا، ثبتًا، ضابطًا، حسن التقييد»[1].

وعلى الرغم من كل هذا العلم الذي حصله الإمام أحمد، لم يترك لنا مُصَنَّفًا واحدًا يحمل اسمه. ولكن ذكرت لنا كتب طبقات المالكية كثيرًا من المسائل الفقهية التي وجهت إليه من بعض تلامذته، نلمح فيها زهده و ورعه وشفقته على الناس، مع القطع في الإجابة، والتعبير بأقل الألفاظ التي تصل إلى مسامع السائلين، مع وضوح المعنى، وجزالة الأسلوب، وسهولة العبارة.

ظل الإمام أحمد الغافقي يعلم الناس في مسجد القيروان أمور دينهم، حتى توفي - رحمه الله تعالى - سنة(275هـ/ 888 م)، ودفن بالقيروان[2].

عصر الدولة الفاطمية في مصر(358 - 567هـ/ 969 - 1171م):

لما تولى المُعِزّ لدين الله (319 - 365 هـ/ 931 - 975 م) عرش الخلافة الفاطمية سنة (341هـ/ 945م) في بلاد المغرب العربي، اشتدت رغبته في دخول مصر، فجهز جيشًا ضخمًا بلغ تعداده مائة ألف مقاتل، بقيادة القائد جَوْهر الصقلي(المتوفى عام:381 هـ/ 992م)؛ والذي نجح في القضاء على الدولة الإخشيدية في سنة(358هـ/ 969م)، وأسس مدينة جديدة هي القاهرة، ولم يمضِ عامان حتى انتهى من تأسيسها وبناء جامعها الأزهر[3].

ولما استقر الأمر في مصر للقائد جوهر كتب إلى الخليفة المعز لدين الله يستدعيه ليتولى بنفسه حكم مصر. وفي رمضان سنة(362هـ/ يوليو 973م) انتقل المعز إلى القاهرة على رأس أفراد أسرته، وأصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية.

وقد نجح الفاطميون في جعل مصر مقرًا للعلوم والفنون، ومركز إشعاع جذب إليه كثيرًا من العلماء، يأتي في مقدمتهم، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي: المعروف بـ«أبي القاسم الجوهري»، كان من أعيان فقهاء المالكية[4]، بل «من جلة الفقهاء» كما قال

---

(1) الديباج المذهب، جـ1، ص 18.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ1، ص 61.

(3) د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، ص 49.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ16، ص 435.

السيوطي[1]. تعلم الجوهري على يد مجموعة ضخمة من فقهاء المالكية في زمانه، من أمثال: أحمد بن محمد المكي، وأحمد بن بهزاذ، وعبد الله بن الورد، وعلي بن عبد الله بن مضر، ومؤمل بن يحيى، وغيرهم[2].

انتفع الجوهري بما سمع، واجتهد في طلب العلم، فجمع بين الحديث والفقه، حتى قال صاحب الديباج المذهب: «كان فقيهًا، كثير الحديث من شيوخ الفسطاط، وكبار فقهاء المالكية، وشيوخ السُنَّة»[3]. كل هذه المؤهلات جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه. فمن المصريين: أبو الحسن بن فهد، وأبو العباس بن نفيس المقري، وأبو علي الحراني. ومن القيروان: أبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو محمد الأجدابي. ومن الأندلس: خلف الجعفري، ومحمد بن الوليد، وأبو عمر الطلمنكي. ومن صقلية[4]: أبو بكر بن عقال الصقلي، وغيرهم[5].

لم يكتفِ الإمام الجوهري بالتعليم فقط، بل قدم للمكتبة الإسلامية كتابين من أروع الكتب التي جمعت بين الحديث والفقه. الكتاب الأول: بعنوان : «مسند الموطأ، بعلله، واختلاف ألفاظه، وايضاح لغته، وتراجم رجاله، وتسمية مشيخة مالك»[6]. بهذا الكتاب ذاعت شهرة الإمام الجوهري في الآفاق، وحظي بثقة العلماء قديمًا وحديثًا. قال الإمام الذهبي عن الكتاب: «إنه جوَّده»[7]. وأضاف أحد الباحثين المُحَدِّثين: «أنه جمع الأحاديث المُسَندة؛ أي المرفوعة المتصلة من عدد من روايات «الموطأ» وبيَّن اختلاف الرواة إذا كان بعضهم اختلف بوصل هذا الحديث أو قطعه أو إرساله أو وقفه أو رفعه، وحاول أن يرجح في بعض الأحيان»[8].

وهذه عملية شاقة ومُضنية لا يقدر عليها إلا مَن كانت له قدم راسخة في العلم،

---

(1) حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 150.

(2) الصفدي : الوافي بالوافيات، جـ 6، ص 74.

(3) ابن فرحون: جـ 1، ص 480.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص 416، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 215، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 847.

(5) القاضي عياض: ترتيب المدارك، جـ 2، ص 135.

(6) الكتاني: الرسالة المستطرفة، جـ 1، ص 13، كحالة: معجم المؤلفين، جـ 5، ص 151. وطُبع الكتاب في دار الغرب الإسلامي، بتحقيق: لطفي بن محمد الصغير، و طه بو سريح، 1994م.

(7) سير أعلام النبلاء، جـ 16، ص 436.

(8) د. الشريف حاتم بن عارف العوني: مصادر السنة ومناهج مصنفيها، جـ 1، ص 29.

جامعًا بين علمي الحديث والفقه « ولمّا كان هؤلاء المتقدمون موجودين في زمن الإسناد والإخراج، جاءت مُصَنَّفاتهم جامعةً بين التخريج والإخراج، فمن حيث إنّها مسندة كانت أصولاً يعزى إليها ويخرج منها، ومن حيث إن أصحابها قصدوا وصل ما في مُصَنَّفات غيرهم من المراسيل والمعلقات كانت كالتخاريج لتلك المُصَنَّفات»[1].

أما الكتاب الثاني: فيحمل عنوان « مسند ما ليس في الموطأ»، وللأسف الشديد لم يصلنا، ولعله فُقِد مع ما فقدنا من تراثنا الحضاري. وعلى كل، فقد احتل الإمام الجوهري مكانة عالية بين علماء الأمة بهذه المُصَنَّفات، حتى قال القاضي عياض: «كان كبير فقهاء المالكية في زمانه»[2].

وبعد رحلة من العطاء المتواصل، رحل الإمام الجوهري، في شهر رمضان من سنة(381هـ/ 991م)، ودفن بالفسطاط[3].

ومن أشهر فقهاء المالكية الذي سطع نجمه في سماء الدولة الفاطمية، الفقيه: إبراهيم بن عبد الله بن حصن، أبو إسحاق الغافقي. بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ في دراسة الحديث، ولكنه حُبِّبَ إليه علم الفقه، فرحل من أجله في الآفاق. ولا بأس أن نقف قليلاً مع هذه الرحلة، لنتعلم كيف تكون الهمم العالية في طلب العلم.

بدأ الغافقي حياته العلمية بالأخذ عن علماء مصر، وعلى رأسهم فقهاء المالكية في زمانه، من أمثال: القاضي أبي الطاهر الذُّهْلي (280 - 367 هـ/ 893 - 978 م)، والحسن بن يحيى، وغيرهما. لم يكتفِ الغافقي بذلك بل عنَّتَ له الرحلة إلى خارج مصر، فبدأ ببلاد الشام، وطاف في مدنها؛ فنزل مدينة الرملة[4]، وسمع بها من أبي محمد بن عبد الحميد بن داود، وبطرابلس الشام[5] تتلمذ على يد عمر بن داود بن سلمون، وأبي عبد الله بن أبي كامل، وغيرهما. وكان من الطبيعي أن يرحل إلى دمشق للأخذ عن علمائها من أمثال: عبد الوهاب الكلابي، ويوسف بن القاسم الميانجي، وغيرهما[6]. ثم رحل إلى

---

(1) د. عبد الغفور عبد الحق البوشلي: علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية، ص 24.

(2) ترتيب المدارك، جـ 2، ص 135.

(3) محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، جـ 1، ص 94.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص69، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 633.

(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ4، ص 26.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ 7، ص 8.

بغداد[1] - حاضرة العباسيين - والتي كانت تنافس مدينة القاهرة - حاضرة الفاطميين - فسمع بها من أبي بكر بن مالك القطيفي، ومحمد بن إسحاق الصفار، وعلي بن الحسن الحرامي، ومحمد بن إسماعيل الوراق، وغيرهم[2].

لم تُشبع هذه الرحلة نَهم الغافقي، فقرر السفر إلى مشرق العالم الإسلامي؛ لسماع المزيد من العلم، فإذا تذكرنا أن الدول المستقلة - عن الخلافة العباسية في بغداد - كانت آخذة في الظهور في هذا الوقت، وكان ملوكها وأمراؤها يشجعون العلماء للإقامة إلى جوارهم، لإضفاء مزيد من الشرعية على حكمهم. علمنا أسباب ازدهار العلم في هذه العواصم.

وعلى كل حال، دخل الغافقي مدينة جرجان[3] وسمع من إمامها أبي أحمد الغطريفي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي. ثم زار مدينة إستراباذ[4] وأخذ عن عالِمها الإمام علي ابن أحمد بن موسى الطيبي.

ثم رحل إلى إقليم خراسان[5] وطوَّف في مدنه، فبدأ بمدينة نيسابور[6] - حاضرة الدولة الطاهرية - فسمع من عالِمها محمد بن القاسم. ثم واصل سيره حتى مدينة همذان[7] فسمع بها من إمامها أحمد بن عبد الله الوراق. وكانت مدينة آمل[8] بطبرستان، على أطراف نهر جيحون [سير دريا حاليًا] آخر بقعة وطأتها أقدام الغافقي، فأقام بها مدة ليست بالطويلة سمع خلالها من عالِمها وإمامها أبي الحسن بن محمد[9].

هذه إذن كانت رحلة الإمام الغافقي في طلب العلم، من القاهرة إلى الشام، إلى العراق، إلى طبرستان، وخراسان، ونيسابور، وهمذان. وهي رحلة طويلة وشاقة، لاشك

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 119، ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ1، ص 456، البغدادي: المصدر السابق، جـ2، ص 725.
(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 28، ص 98.
(3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ2، ص 119، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص 323.
(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ1، ص 174، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص 70.
(5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ2، ص350، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 361، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص 455.
(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ5، ص 331، البغدادي: المصدر السابق، جـ3، ص 1411.
(7) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ5، ص 410، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 483، البغدادي: المصدر السابق، جـ3، ص 1464.
(8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ1، ص 57، القزويني: المصدر السابق، ص 286، البغدادي: المصدر السابق، جـ1، ص 6.
(9) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ 1، ص 470.

في ذلك، ولكنها أكسبته علمًا كثيرًا، عاد بعدها ليقيم في مدينة دمشق - والتي كانت تتبع حينئذ الخلافة الفاطمية بالقاهرة - فكان من الطبيعي أن يلتف طلاب العلم حوله للأخذ عنه، فجلس بالمسجد الأموي في دمشق ليعلم الناس أمور دينهم، وعلى رأسها الفقه المالكي.

الغافقي يتولى الحَسَبة[1]:

ذاعت شهرة الإمام الغافقي في مدينة دمشق، وسطع نجمه بين فقهائها، فوقع اختيار الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي[386 - 411هـ/ 696 - 1020م] عليه ليتولى نظام الحِسْبة، ويشرف على الأسواق، ويضبط الأسعار.

وإذا عنَّ لنا سؤال: لماذا وقع اختيار الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي الشيعي على الفقيه المالكي أبي إسحاق الغافقي ليتولى هذا المنصب؟! لماذا لم يولِ أحدًا من فقهاء الشيعة هذا المنصب المهم؟!.

في الحقيقة، أن الدولة الفاطمية كانت تمر خلال هذه الفترة بمرحلة من أهم المراحل التي مرت بها خلال وجودها في مصر. فقد كانت تعاني من الأزمات الاقتصادية الطاحنة، والتي أعقبها قيام كثير من الثورات الاقتصادية[2]، والتي أخذت تهدد الخلافة بشكل مباشر. هذا في الوقت الذي تزامنت فيه الدعاوى بألوهية الحاكم بأمر الله، فكانت تهديدًا للخلافة الفاطمية في الجانب الديني والعقدي . كل ذلك جعل الحاكم بأمر الله يتقرب إلى المسلمين السُّنَّة، بتعيين أحد فقهائهم في هذا المنصب المهم.

ونطرح سؤالاً آخرا: هل تأثر الإمام الغافقي بهذا المنصب؟! هل اعتنق المذهب الشيعي ؟! هل هادنهم ؟ هل تقرب إليهم على حساب دينه أو علمه أو فقهه؟

في الحقيقة، ظل الإمام أبو إسحاق الغافقي مستمسكًا بمذهبه، وبمعتقده. فلم

---

(1) الحسبة لغة: اسم من الاحتساب، وهو ادخار الأجر والثواب عند الله تعالى، وفي الشرع: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، لقوله تعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». [سورة آل عمران، آية 104]. ومن شروط المحتسب: أن يكون حرًا، عدلاً، ذا رأي وصرامة، وعلى علم بالمنكرات الظاهرة؛ لذا فقد شرط العلماء ألا يتولى هذه الوظيفة إلا رجل وجيه في دينه ودنياه، وللمحتسب أن يتخذ الأعوان الذين ينوبون عنه في المدن وسائر الأعمال. ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص51، الماوردي: الأحكام السلطانية، ص247. ابن خلدون: المقدمة، جـ2، ص611.

(2) د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، ص159 ما بعدها.

يهادن الشيعة الروافض، أو يتقرب إليهم، بل كان يؤدب كل مَن يتطاول على أحد من صحابة رسول الله(ﷺ). ومنها - على سبيل المثال - أن رجلاً من الشيعة الروافض استهزأ في سوق دمشق بالشيخين؛ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما ـ، فأمر بجلده حتى مات تحت الضرب، ثم قال الإمام: «هذا جزاء مَن ينتقص السلف الصالح»[1]. والغريب أن الخليفة الحاكم بأمر الله أرسل إليه يشكره على فعله هذا. قال ابن تغري بردي - معلقًا على هذا الحادث ـ: « ثم أبطل الحاكم المنجمين من بلاده، وأعتق مماليكه، وجعل ولي عهده ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس وخُطب له بذلك، وأمر بحبس النساء في البيوت، وصلحت سيرته»[2].

أما فيما يخص الحسبة، فقد استطاع الإمام أن يضبط الأسواق، وأن يعاقب التجار المخالفين، وأن يقضي على الاحتكار. وبهذا أعاد الهدوء إلى الأسواق مرة ثانية، فأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، ومن ثم عاد النشاط الاقتصادي إلى أسواق دمشق، وعم الرخاء البلاد، فسعد الناس بالإمام الغافقي كثيرًا.

هكذا كانت حياة الإمام أبي إسحاق الغافقي، جادًا في طلب العلم وتحصيله، جادًا في تعليم الناس أمور دينهم، جادًا في تولي المناصب السياسية والدينية. ظل في منصبه - رحمه الله تعالى - حتى توفي في ذي الحجة سنة (404هـ/ 1013م)، ودفن بدمشق.

صفوة القول، أنه على الرغم من شهرة وقوة الدولة الفاطمية واهتمامها بالعلم، لم تقدم لنا قبيلة غافق خلال حكم هذه الدولة العتيدة سوى فقيهين اثنين، سطع نجمهما في سماء العالم الإسلامي.

ثانيًا: الفقيه الشافعي:

ظل المذهب المالكي منتشرًا في مصر حتى قدم الإمام الشافعي إليها في سنة(199هـ/ 815م) وصار له بها أتباع، وتوطن هذا المذهب في مصر على إثر ذلك. وقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، تطورًا كبيرًا في علم الفقه، فقد استقر المذهب الشافعي في مصر وزاد انتشاره، وبالتالي زاد الصراع بينه وبين المذهب المالكي. وأخذ هذا الصراع أشكالًا عدة تتمثل في المناظرات، والمحاورات، والمؤلفات التي وضعها

---

(1) الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ 2، ص 233.

(2) النجوم الزاهرة، جـ 4، ص 235.

أئمة كل مذهب يدافعون فيها عن مذهبهم ويردون على المذاهب الأخرى. ولا شك أن هذه المؤلفات والمناظرات كانت في النهاية تؤدي إلى ظهور آراء فقهية جديدة[1].

هذا، ولم أعثر بين الغافقيين على مَن اشتغل بالفقه الشافعي إلا الفقيه، حميد بن يحيى بن يوسف الغافقي. سمع هارون بن عبد الله الزهري، وروى عنه محمد بن الربيع بن سليمان الجيزي. كان الغافقي فقيهًا شافعيًا حسن المذهب، عاش في مدينة الفسطاط في ظل عصر الولاة، وتوفي بها يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رجب في سنة(255هـ / 868م)[2].

ثالثًا: فقهاء المذهب الليثي:

إلى جانب المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، كانت هناك بعض المذاهب الأخرى، مثل المذهب الجريري؛ نسبة للإمام محمد بن جرير الطبري(224 - 310 هـ / 839 - 923 م). والمذهب الظاهري؛ نسبة للإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني (201 - 270 هـ / 816 - 884 م). وغير ذلك من المذاهب التي اندثرت. ربما لطغيان المذاهب الأخرى عليها، وربما لقلة المشتغلين بها، أو لعدم شهرة مؤسس المذهب، أو لاعتناق الخلفاء مذهبًا فقهيًا بعينه، وإجبار الناس على اعتناقه والإفتاء به. كما حدث - مثالاً - مع تبني الخلفاء العباسيين للمذهب الحنفي؛ الذي ذاع صيته وانتشر في باقي العالم الإسلامي، بسبب تولي بعض علماء المذهب، - من أمثال أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم(113 - 182 هـ/ 731 - 798 م)، ومحمد بن الحسن الشيباني(131 - 189 هـ/ 748 - 804 م) - بعض المناصب السياسية في الدولة[3].

أما عن المذهب الليثي، فهو نسبة إلى الفقيه المصري الليث بن سعد أبي الحارث الفهمي المصري(94 - 175هـ/ 713 - 791 م)، ولد في قلقشندة وتفقه بالحجاز[4]، قال الشافعي: «الليث أفقه من مالك(بن أنس)، إلا أن أصحابه لم يقوموا به»[5]. وقد حزن المصريون جدًا على فقده. قال خالد بن عبد السلام الصدفي: «جالست الليث بن سعد

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 192.

(2) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 683. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(3) لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ 2، ص 14 وما بعدها.

(4) ابن حجر: سيرة وفضائل الإمام الليث بن سعد، ص 23.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 3، ص 544، ابن العماد: شذرات الذهب جـ2، ص 240.

وشهدت جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزي بعضهم بعضًا، فقلت لأبي: يا أبتِ؛ كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة!! فقال لي: يا بني كان عالمًا كريمًا حسن العقل كثير الإفضال، يا بني لا ترى مثله أبدًا»[1].

كان هذا المذهب أحد المذاهب الفقهية المعروف في العالم الإسلامي، وقد اشتغل اثنين من فقهاء الغافقيين بهذا المذهب، أولهما: حماد بن صفوان الغافقي: كان من أبرز تلاميذ الإمام الليث بن سعد. قال السمعاني: « كان يحفظ مذهب الليث بن سعد»[2]، ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

ثانيهما: لبيب بن عبد المؤمن بن لبيب الغافقي: تتلمذ على يد الإمام الليث بن سعد، وكانت له حلقة في مسجد عمرو بن العاص. قال السمعاني: « كان يفتي الناس، عالمًا بأصول الدين»[3]، ولم تذكر لنا المصادر - أيضًا - تاريخ وفاته.

وفي نهاية هذا المبحث لي ملاحظتين مهمتان:

أولاً: أن عدد الفقهاء الغافقيين في مصر قد وصل إلى ستة فقهاء، وهو عدد قليل جدًا مقارنة بالمُحَدِّثين. يأتي المذهب المالكي في المرتبة الأولى، فقد ساهم بنحو ثلاثة فقهاء، والمذهب الليثي في المرتبة الثانية، فقد ساهم بفقيهين، على حين يأتي المذهب الشافعي في المرتبة الأخيرة، فقد ساهم بفقيه واحد. وأزعم أن هذه نتيجة طبيعية تتماشى مع طبيعة الحركة الفكرية في مصر الإسلامية. فقد كانت الغلبة للمذهب المالكي، وعندما سطع نجم الليث بن سعد في سماء الفسطاط، كان من الطبيعي أن يلتف الناس حوله للأخذ عنه، ثم ظهر من بين المصريين مَن اشتغل بهذا المذهب لفترة ليست بالقليلة. حتى إذا رحل الإمام الشَّافِعي(150 - 204 هـ/ 767 - 820 م) إلى مصر واتخذها سكنًا له، فأُعجب الناس بفصاحته وعلمه، والتف الكثير منهم حوله، فاشتغلوا بمذهبه، ومن ثم تقلص عدد المعتنقين للمذهب الليثي والمالكي، وكانت الغلبة في النهاية للمذهب الشافعي. هذا، وإن لم تسهم قبيلة غافق إلا بفقيه شافعي واحد فقط.

(1) ابن حجر : المصدر السابق، ص 69.

(2) الأنساب، جـ 4، ص 572، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

(3) نفس المصدر، جـ 2، ص 200، ابن ماكولا: الإكمال، جـ 3، ص 109. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

ثانيًا: على الرغم من قلة الفقهاء الغافقيين، إلا أن بصماتهم كانت واضحة في مجال الفقه. فقد ساهم الإمام الجوهري بمُؤَلفٍ فريدٍ جمع فيه بين الفقه والحديث، وخط بذلك خطوات واسعة في هذا النوع من العلم. أما الإمام أبو إسحاق الغافقي فعلى الرغم من توليه الحسبة للفاطميين إلا أنه ذب عن عرض الصحابة، مؤدبٌ كل مَن تطاول عليهم، كما استطاع في نفس الوقت أن يضبط الأسواق، وأن يقضي على الاحتكار. وأن ينشر العلم في ربوع العالم الإسلامي وبخاصة في مدينتي الفسطاط ودمشق.

الفصل الخامس:
الأدب وعلوم اللغة في مصر الإسلامية

- التمهيد:
- أولًا: الشعر
- ثانيًا: الخطابة
- ثالثًا: علوم اللغة



التمهيد:

ساهمت قبيلة تجيب - دون غيرها من القبائل موضوع الدراسة - بنصيب وافر في مجال الأدب العربي، فكان منهم الشعراء، والخطباء، وعلماء اللغة، وأستطيع القول: إنهم أثروا الحياة الأدبية في مصر، وتركوا بصمات واضحة على صفحة الأدب المصري في عصوره الإسلامية.

هذا، ولم تكن قبيلة تجيب بعيدة عن الشعر العربي، فقد ورد ذكرها على ألسنة كثير من الشعراء حين يتحدثون عن مصر، ومنها قول عمران بن حطان (المتوفى في عام: 84 ه/ 703 م)، يذكرها وهو يرحب بالخوارج من أهل العراق الذين نفاهم زياد بن أبيه (1 - 53 ه/ 622 - 673 م) - والي البصرة - إلى مصر سنة(45 - 53هـ/ 665 - 672 م)، فنزلوا بالفسطاط. فقال:

فأمسوا بـدار لا يفزع أهلها وجيرانهم فيها تجيب وغافق[1].

كما ذكرها جميل وهو يتحدث عن بثينة حين سكنت مصر، فقال[2]:

أشاقك عالجُ، فإلى الكثيب إلى الداراتِ من هضب القليب
إذا حلت بمصر، وحل أهلي بيثرب، بـين آطـام ولـوب
مجـــاورة يمسكنها نحيبًا وما هي حين تسأل من مجيب
وأهوى الأرض عندي حيث حلت بجدب في المنازل، أو خصيب

أولًا: الشعر:

الشعر - عادة - يعبر عن مكنون النفس، وما يختلج في الصدر. وكانت أغراض الشعر في الجاهلية تدور حول الفخر والرثاء والغزل.... إلخ. وبعد ظهور الإسلام أصبح وسيلة التعبير القوية عن حوادث الفتح وأعمال الجهاد في سبيل الله تعالى، وبذلك تطورت أغراض الشعر. فأصبح - بحق - مرآة صادقة لمعظم الأحداث التي مرت بها الدولة الإسلامية.

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 2، ص 21، د. إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 146.

(2) جميل بن معمر: ديوان جميل بثينة، بيروت، دار بيروت، 1402هـ - 1982م، ص 63، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ4، ص 117، والأبيات من بحر الوافر.

وقد شجع على ذلك وجود طائفة من الصحابة الذين شاركوا في أحداث فتح مصر واختطوا بها، وكانوا من الشعراء البارزين، نذكر منهم:

شريك بن أبي الأغفل التجيبي، وفد على رسول الله(ﷺ)، وكان أحد جيش عمرو بن العاص الذي توجه إلى فتح مصر، وكان من الشعراء المخضرمين[1]. ومن لطيف شعره في باب النصح:

ومستعجِل والمكثُ أدنى لرشدِه ولم يدْرِ في اسْتعجاله ما يُبادرْ

تُهيِّبكَ الأسفارَ من خشية الرَّدَى وكائنْ رأينا من ردٍ لا يسافِرُ

ولو كان يبدو مقبل الأمر للفتى كمُدبره ألفَيتَه لا يدامِرُ[٢]

وقد أثنى النقاد على شعره، وخاصة البيت الثاني، وقد قيل فيه: «إنه أول من أتى بهذا المعنى، وعنه أخذه الشعراء فيما بعد»[3]، ومن جميل شعره في الفخر:

ظنت ثقيف بأني غير مصدرها إن الركائك[٤] منهم بئس ما زهدوا

وعلى كل، فإن ألفاظه جزلة، وقوية، استطاع أن يعبر بها عن مكنون نفسه. ولا غرابة فهو أحد الشعراء المخضرمين.

ومن الشعراء التجيبيين المخضرمين - أيضًا - الصحابي أبو قتبان بن نعيم بن بدر التجيبي، الذي امتدح قيسبة بن كلثوم عندما تنازل عن مسكنه لبناء جامع عمرو بن العاص، فقال[5]:

وبابليون قد سعدنا بفتحها وحزنا لعمر الله فينا ومغنما

وقيسبة الخير بن كلثوم داره أبـاح حماها للصلاة وسلما

فكل مصل في فنانا صلاته تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ6، ص 280، ابن حجر: الإصابة، جـ2، ص 14.

(2) الدامر: قضاء الليل بالسهر. وفلان دامر: لمن يهاجم ويغامر ولا يخشى الهلاك. الزمخشري: أساس البلاغة، جـ1، ص 297، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جـ1، ص296.

(3) الخالديان: محمد بن هاشم، عثمان بن سعيد: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، تحقيق محمد علي دقة، دمشق، وزارة الثقافة، 1995م، ص 19.

(4) الرَّكاكةُ: مَصْدَرُ الرَّكيكِ وَهُوَ الْقَلِيلُ والضعيف. ابن منظور: لسان العرب، جـ10، ص 433.

(5) المقريزي: الخطط، جـ3، ص 108، البري: القبائل العربية في مصر، ص 306.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الأبيات ظلت تتردد بين أروقة المسجد في أعقاب بنائه سنة(21هـ/ 641م) ولفترات طويلة(1).

هذا، وقد ظل الشعراء يمتدحون ذرية قيسبة بن كلثوم من بعده على هذا الفعل الجميل، فقال شاعرهم قيس بن سلمة التجيبي(2) ممتدحًا عبد الرحمن بن قيسبة بن كلثوم(3):

وأبـوك سلم داره وأباحها لجـباه قـوم ركـع وسجود

بل إن قيسبة نفسة كان شاعرًا، ومن ذلك قوله في الفخر(4):

تالله لولا انكسار الرمح قد علموا ما وجدوني كليلاً كالذي وجدوا

قد يخطم الفحل كسرًا بعد عزته وقد يرد على مكروهه الأسد

وألفاظه كما يبدو قوية، استطاع أن يعبر بها عن مكنون نفسه، وتدل على نفس واثقة طامحة، تحمل همة عالية. ولا غرابة فإنه أحد القادة الأفذاذ الذين شاركوا في فتح مصر.

ومن الشعراء المخضرمين من قبيلة تجيب؛ الشاعر: مسعود بن معتب التجيبي، ومن لطيف شعره في باب الفخر(5):

ومتى أدع في تجيب يجبني أَسدُ غِيلٍ(٦) ودار عون كثير

وهم المـوت لا يغازون حيًا حيث كانوا هناك إلا أُبِيرُوا(٧)

ومن شعرائهم - أيضًا - أنيس بن دارم التجيبي، المكنى بأبي شبيب. عُرِف بالهجاء، وكان لسانه حادًا في النقد، لذا فقد تجنبه الناس، ومن ذلك قوله(8):

---

(1) السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية في مسجد عمرو بن العاص، ص 104.

(2) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ10، ص 80.

(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ35، ص 352، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ5، ص 21.

(4) المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م، ص71، اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1401هـ - 1981م، جـ1، ص 254.

(5) المرزباني: معجم الشعراء، ص 88، ابن حجر: الإصابة، جـ3، ص 145.

(6) الغِيل: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ يُسْتَتَرُ فِيهِ كالأَجَمَة؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ11، ص 512.

(7) أُبِيُروا: أهلكوا. ابن منظور: لسان العرب، جـ7، ص 456، الزبيدي: تاج العروس، جـ20، ص 258.

(8) وقد أعرضت عن ذكر القصيدة بطولها نظرًا لقبح ألفاظها، انظرها في : الكندي: أخبار قضاة مصر، تحقيق: د. حسين نصار، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1426هـ - 2005م، ص 303، ابن حجر: رفع الإصر، ص 313 - 314، والأبيات من بحر مجزوء الرمل.

قَبَّح اللهُ زمانًا رَاسَ فيه ابنُ تَلِيدِ
بعد مِقْراضٍ[1] وخَيْطٍ وأُبَيرَاتٍ[2] حَديدِ
وأبو الزِّنباعِ خنّاقٌ غَرَامِيلَ[3] العبيد
وابن بَكّار كَرَاكِيرَ[4] غَطّاسٍ[5] الثَّرِيدِ
وأبو الرُّوس المَرِيسِيُّ ابن دَبَّاغِ الجُلُودِ

أما أخر شعراؤهم، فهو : الحجاج بن عثمان التجيبي، كان من فحول الشعراء في مصر، وله قصيدة في المدح، جاء فيها:

ولي صاحبٌ ما خانَني مذ حملتُه ولا كانَ إلاَّ مُسعدًا لي على الدَّهرِ
شبيهيَ إرهافًا[6] وإن كنتُ فوقه بياناً إذا ما قوبلَ الأمرُ بالأمرِ
أنستُ به من دون أهلي ولو غد ضجيعيَ في قبري لما هالني قَبْري
وما خفتُ مذ يوم ارتدَيتُ نِجادَهُ ظلامة والٍ أو مباذهةَ الفقرِ[7].

قال عنه النقاد: «هذا معنى جيد، قد تشارك فيه جماعة من الشعراء»[8].

صفوة القول: أن قبيلة تجيب قد شاركت في إثرا الحياة الأدبية في مصر الإسلامية.

---

(1) المقراضُ: المقصٌّ. ابن منظور: لسان العرب، جـ7، ص 216، دوزي، رينهات: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم، بغداد، دار الرشيد، 1980م، جـ8، ص 283.

(2) أُبَيْرَات: مفردها إِبرة: مسلة صغيرة وتطلق على الشيء الذي لا قيمة له. دوزي: تكملة المعاجم العربية، جـ1، ص64. وقيل: هي : أداة دقيقة يُخاط بها، أحد طرفيها محدَّد والآخر مثقوب. أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ1، ص 52.

(3) الغراميل: مفردها: غرمول، وهو: الذّكر الضخم الرخو. وَيُقَال لَهُ: الغرمول قبل أَن تقطع غرلته، ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ6، ص 92. الزبيدي: تاج العروس، جـ30، ص 90.

(4) الكَرْكَرة: ضربٌ من الضحك فوق القرقرة. وتعني: تصريف الرياح السحاب. ويقال: كَرْكَرَهُ عني: أي دَفَعَه وحَبَسَه. وكركر بالدجاجة: إذا صاح بها. الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1420 هـ – 1999 م،11، جـ9، ص 5732.

(5) غطس: غاص في البحر لصيد اللؤلؤ أو غيره من الأشياء. غَطَسَ قلبُه: فقد الشجاعة والجرأة. غَطَّس خبزه. غمسه. دوزي: تكملة المعاجم العربية، جـ7، ص 414.

(6) رهفَ يُرهف، إرهافًا، يقال: أَرهف الشيَّءَ: رهَفَه، رقّقه وحدَّده. مُرْهَف الحِسّ: حسَّاس. أرهف أُذنَه: دَقَّق السَّمْعَ. أرهفَ سمعَه: أنصت باهتمام. أرهف المرضُ جِسمَه: نَحلَه وأَرَقَّه، فرسٌ مُرهَف: ضامر البطن متقارب الأضلاع. أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ2، ص 950.

(7) الأبيات من بحر الطويل.

(8) الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، ص43.

وكان يغلب على شعرائها أسلوبي الفخر والمدح، وفي هذا دلالة على مدى ثقتهم بأنفسهم، ولا غرابة في ذلك، فهم ينتمون إلى قبيلة عرفت بالشجاعة والإقدام في الجاهلية والإسلام.

ثانيًا: الخطابة:

كذلك شارك التجيبيون في مجال الخطابة، ومن أشهرهم: القاسم بن سعيد بن شريح التجيبي[1]، كان أحد الخطباء البلغاء الذين وفدوا على مروان بن محمد(72 – 132 ه/ 692 – 750 م) آخر خلفاء الدولة الأموية، فأعجب به أيما إعجاب، ووصل الأمر أن جعله المسؤول عن اختيار الخطباء قبل إرسالهم إلى أنحاء العالم الإسلامي.

ثالثًا: علوم اللغة:

لم يقتصر دور التجيبيين على الشعر والخطابة، بل كانت لهم إسهامات عديدة في مجال علم اللغة، ومنهم[2]: إبراهيم بن إسحاق التجيبي، فقد عمل في بداية حياته بعلم الحديث، فروى عن عبد الله بن وهب، وعنبسة بن خالد. ثم تعلم النحو وبرع فيه، حتى صار مضرب المثل بين أقرانه، وكان يعرف بالنحوي[3].

ومنهم: أحمد بن بشر التجيبي، المعروف بابن الأغبس (المتوفى في عام: 326هـ/ 938م)، كان عالمًا حافظًا للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والضبط للكتب»[4] كما يقول ياقوت الحموي.

ومنهم: أحمد بن علي بن مجاهد التجيبي، كان نحويًا ماهرًا[5].

أما أحمد بن محمد بن إسماعيل التجيبي، فكان أديبًا جَزْلًا[6]، روى عنه: محمد بن بكار، ومحمد بن آدم، وأحمد بن سعيد المروزي[7]، وغيرهم.

---

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ49، ص 57، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ6، ص 309.

(2) لم أعثر على تاريخ وفاة كثير منهم، لذا فقد رتبتهم على حروف المعجم.

(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 91.

(4) ياقوت الحموي: إرشاد الأريب، جـ1، ص 84.

(5) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ب – ت، جـ1، ص 344.

(6) جزل: جزالة، عظم، وَيُقَال: جزل اللَّفْظ استحكمت قوته، وَفُلَان صَار ذَا رَأْي جيد قوي محُكم. ويقال: جزُل الكلامُ: استحكمت قُوَّتُه، فصُح ومتُن «تميَّز أسلوبُه بجزَالة اللَّفظ». مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جـ1، ص 121، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ1، ص 371.

(7) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 258.

ومن أشهرهم على الإطلاق، أحمد بن يحيى بن الوزير التجيبي(171 ـ251هـ / 787 - 865 م)، كان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب[1]، جالس الإمام الشافعي في مسجد عمرو ابن العاص، وتفقه على يديه، وأخذ منه - إلى جانب الفقه، كما سبقت الإشارة - اللغة والشعر، ولا غرابة في ذلك، فإن الإمام - إلى جانب كونه فقيهًا - كان عالمًا كبيرًا من علماء اللغة العربية، وله ديوان شعر مطبوع.

واشتهر أشعث بن سهيل التجيبي، بعلم النحو، فنسب إليه، كما يقول السيوطي[2].

وأخيرًا، محمد بن داود التجيبي، ذلكم النحوي، الأديب، الذي عاش ومات بالإسكندرية[3].

ختام القول: أن قبيلة تجيب قد ساهمت في جميع مجالات الأدب المصري الإسلامي؛ من: شعرٍ، ونثرٍ، وخطابةٍ، وعلمِ لغةٍ، ونحوٍ. وكان لهم دورٌ بارزٌ في هذا المجال. غير أنه - مما يؤسف له - أنني لم أعثر على ديوان شعر، أو نموذج نثري لأحدهم، حتى نقف به على طريقتهم في التعبير عن أنفسهم، وفي اختيارهم للألفاظ، ونعقد مقارنة بينهم وبين شعراء وخطباء عصرهم.

وأخيرًا؛ لعل الزمان يجود علينا أو على أحد الباحثين المجدين في علوم اللغة العربية، فيجمع لنا شتات ما تفرق من شعرهم ونثرهم في بطون كتب اللغة العربية، ويعيد ترتيبها وتنسيقها، وحينئذ - فقط - نقف على ما أضافوه - حقًا - للأدب العربي عامة، والأدب المصري خاصة.

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ5، ص 149 - 150، القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1428هـ - 2007م، جـ1، ص 187، السيوطي: بغية الوعاة، جـ1، ص 398

(2) السيوطي: بغية الوعاة، جـ1، ص 458.

(3) السيوطي: بغية الوعاة، جـ1، ص102.

الفصل السادس:
التاريخ و المؤرخون في مصر الإسلامية

- التمهيد:
- المبحث الأول: جهود المؤرخين الصدفيين في مصر الإسلامية.
- المبحث الثاني: جهود المؤرخين التجيبيين في مصر الإسلامية.
- المبحث الثالث: جهود المؤرخين المعافريين في مصر الإسلامية.



التمهيد:

كان بجانب الحركة الدينية - التي ظهرت في أعقاب الفتح الإسلامي - لمصر حركة تعني بتدوين أحداث التاريخ، وتسلك في منهجها مسلك المحدثين. فقد كان علم التاريخ عند المسلمين يهدف في البداية إلى دراسة سيرة النبي ﷺ وأعمال الصحابة رضي الله عنهم والجماعة الإسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد. وهكذا نرى أن طبيعة علم التاريخ لم تكن تختلف أولاً عن طبيعة علم الحديث، اللهم إلا في هدف كل منهما، ونوع الروايات التي يعنى بها، فالمحدثون يعنون بالروايات التي تقرر مبادئ فقهية. بينما يعني المؤرخون بالروايات التي تتجه إلى سرد الحوادث. وحسبنا دليلاً على اشتراك العِلْمين في المصادر والمنهج؛ أن كل جيل كان يأخذ الروايات عن الجيل الذي سبقه، وأن المتن في كل رواية كان مسبوقًا بالسند أو الإسناد. ولذلك نرى أن منهم مَنْ تخصص في التاريخ إلى جانب دراسته في الحديث أو الفقه[1].

ولا يخفى علينا أن علم التاريخ الإسلامي خرج من عباءة علم الحديث، فمعظم المؤرخين بدأوا محدثين، ثم انتهى بهم المطاف مؤرخين. وكان عماد المدرسة التاريخية في مصر - بالطبع - هم رجال الفتح الإسلامي، وخاصة الصحابة والتابعين الذين سمعوا منهم، لذلك توجهت الأسئلة التاريخية إليهم وأخذت رواياتها عنهم. وهنا يبرز الصحابي الذي يمكن أن يعتبر بحق رائد وعماد ومؤسس مدرسة التاريخ في مصر، إنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (ت 63هـ/ 682م) أو (65هـ/ 684م). أسلم قبل أبيه وشهد فتح مصر، وجاهد في أفريقية، ونقل الكثير من الأحاديث عن الرسول(ﷺ)، ولكنه أضاف إلى هذا ولعًا بقصص التاريخ[2].

---

(1) د. هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص175.

(2) فتوح مصر، ص 32، 33، 40، 49، 149 وما بعدها، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 20، 22، 45 وما بعدها.

المبحث الأول:
جهود المؤرخين الصدفيين
في مصر الإسلامية

تتلمذ على يد عبد الله بن عمرو بن العاص كثير من الصدفيين الذين سمعوا منه أخبارًا تتعلق بالفتح الإسلامي لمصر، ومن أبرزهم: مالك بن ناعمة الصدفي[1]، ومحمد بن هدية الصدفي[2]، وعبد الله بن حبان بن يوسف الصدفي[3]، وعيسى بن هلال الصدفي[4]، وأخوه عباس بن هلال الصدفي[5].

إن هؤلاء الصدفيين كانوا من أوائل مدرسة مصر التاريخية، وإن لم تصل إلينا مروياتهم بصورة مباشرة في بعض المصادر التاريخية، ولكنها وصلت إلينا عن طريق تلامذتهم الذين أخذوا عنهم، والذين ظهرت على أيديهم - بوضوح - المدرسة التاريخية المصرية، ومن أشهرهم:

1. يزيد بن أبي حبيب، واسمه سويد الأزدي المصري(53 - 128 هـ/ 673 - 746 م) . وقد ذكر السيوطي أنه : «أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن «[6]. وكان من أبرز شيوخ يزيد الذين روى عنهم كثيرًا من الأخبار المتعلقة بفتح مصر؛ عيسى بن أبي هلال الصدفي[7]، وسعيد بن أبي هلال الصدفي[8]. وقد وردت إلينا كثير من النصوص التاريخية

---

(1) الرازي: الجرح و التعديل، جـ 8، ص 217.

(2) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 1، ص 257، السيوطي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 262.

(3) ابن ماكولا : الإكمال، جـ1، ص 177.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 528، السيوطي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص261.

(5) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص 221.

(6) السيوطي : المصدر السابق، نفس الجزء، ص 299.

(7) د. شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص 151 - 153.

(8) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 4، ص 83.

برواية يزيد بن أبي حبيب لدى ابن عبد الحكم، والكندي، والبلاذري، وابن سعد[1]، والفسوي[2]، وغيرهم.

صفوة القول، أن مدرسة مصر التاريخية بدأت بعبد الله بن عمرو بن العاص، وحمل لوائها من بعده يزيد بن أبي حبيب، وأن عيسى وسعيد ابنا أبي هلال الصدفي كانا أحد المصادر التاريخية التي اعتمد عليها يزيد بن أبي حبيب في كتابه - المفقود ـ« فتح مصر»، والذي يعد البداية الحقيقية لحركة التأليف في التاريخ المصري.

2. ابن لَهِيَعة : أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي المصري(97 - 174هـ/ 715 - 790 م)[3]. كان مكثرًا من رواية الحديث والأخبار، فسمع جابر بن ماجد الصدفي[4]، وعمران بن ربيعة بن حُبيش الصدفي[5]، وعبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي[6]، وعبد الرحمن بن ميمون الصدفي[7]، وسيار بن عبد الرحمن الصدفي[8]، وكان من أكبر تلامذته: خالد بن عبد السلام بن خالد الصدفي[9].

3. الليث بن سعد: أبو الحارث الفهمي المصري(94 - 175هـ/ 713 - 791 م)، ولد في قلقشندة وتفقه بالحجاز[10]، وكان أحد مؤسسي المدرسة التاريخية المصرية، فقد ساهم بمُؤَلف في التاريخ المصري، لم يذكر لنا ابن النديم اسمه[11]، كان أحد مصادر الكندي في كتابه « ولاة مصر وقضاتها». وقد نقل عن الليث كثير من المؤرخين اللاحقين، من أمثال ابن عبد الحكم، والمقريزي، وابن تغري بردي، والسيوطي[12].

4. الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب التُجِيبي (283ـ 350 هـ/ 897 - 961م) ولد في الفسطاط، والراجح أنه تلقى العلم في مصر إذ ليس لدينا ما يُشير إلى أنه

---

(1) أحمد أمين : ضحى الإسلام، جـ 2، ص 87، د. فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي، جـ 2، ص196 - 197.

(2) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ص 297.

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 3، ص 39.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 2، ص 494، د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص150.

(5) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، جـ 2، ص 186، السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 528.

(6) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، جـ 5، ص 577.

(7) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 5، ص 351، السخاوي: التحفة اللطيفة، جـ 1، ص 434.

(8) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 268.

(9) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 747.

(10) ابن حجر: سيرة و فضائل الإمام الليث بن سعد، ص 23.

(11) ابن النديم: الفهرست، ص 199.

(12) أحمد أمين : ضحى الإسلام، جـ 2، ص88.

رحل إلى غيرها من البلاد[1]، وهو فقيه عارف بأحوال الناس وسير الملوك، بل يعد بحق شيخ مؤرخي مصر قبل الدولة الفاطمية. درس الحديث على يد الإمام النسائي(215 - 303 هـ/ 830 - 915 م)، والأخبار على يد محمد بن عبد الصمد بن هشام، أبو بكر الصدفي(ت 319 هـ/ 931م)[2].

أولًا: القصاصون والقصص:

كان القصص يمثل أقدم ألوان النشاط العلمي في المسجد الجامع بمدينة الفسطاط [3]، وكان يقوم في البداية على ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم السابقة، ثم ما لبث أن أصبح يُمثل مصدرًا من مصادر التاريخ، حيث كان يتصدى له في البداية بعض العلماء الثقات، الذين اضفوا علية نوعًا من أنواع الثقة عند عوام الناس. فإذا تذكرنا أن مصر فُتِحت سنة (20هـ/ 641 م) فإن هذا الخبر يعني أن القصص قد ظهر على لسان أحد الفقهاء في الدين بعد عشر سنوات فقط من الفتح[4]. مما يدل على سرعة تسربه الثقافي. ويبدو أن هذا النوع التاريخي وجد هوى في نفوس الناس فتلقفوه وشاع فيما بينهم، حتى عُرِف به بعض التابعين والمحدثين، من أمثال:

أ - أبو عمرو موسى بن وردان القاص المصري(ت 117 هـ/ 735 م)[5].

ب - أبو محجن تُوْبة بن نمر بن حرمل الحضرمي المصري(ت120 هـ/ 738 م)[6].

ت - محمد بن يحيى بن زكريا بن عبد الله، المعروف بابن بلغارية الصدفي[7]، كان يقص في جامع عمرو بن العاص.

---

(1) د . سيدة إسماعيل سيد كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1989م، ص 327.

(2) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 6، ص 78.

(3) حول التطور التاريخي لهذا اللون من القصص انظر: د. السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص، ص 31 وما بعدها.

(4) د. شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص 146

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 5، 18، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 10، ص 335، وكتابه : لسان الميزان، جـ 3، ص 254.

(6) الرازي: الجرح والتعديل، جـ 2، ص 446، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 2، ص 360، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص 44.

(7) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 6، ص 95، لم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

ثانيًا: يونس بن عبد الأعلى مؤرخًا:

سبق الحديث عن الإمام يونس بن عبد الأعلى محدثًا، وفقيهًا، وأضيف هنا، أنه كان أحد المهتمين بالتاريخ والمشتغلين بروايته، وكان مصدرًا لكثير من المؤرخين المسلمين، من أمثال: الطبري، وابن الأثير، وابن خلكان، والفسوي، وابن كثير، وابن حجر، وابن الجوزي. بالإضافة لبعض المحدثين: كالبخاري، وابن حبان . واللغويين : كالقفطي، وغيرهم.

ولابأس أن أسوق بعض الأمثلة على ذلك:

يعد كتاب « تاريخ الرسل والملوك» للإمام محمد بن جرير الطبري، من أقدم وأفضل مصادر التاريخ الإسلامي، حيث كان مصدرًا لكثيرٍ من المؤرخين الذين جاءوا من بعده . وقد اعتمد الإمام الطبري على كثير من الرواة، يأتي في مقدمتهم الإمام يونس بن عبد الأعلى، الذي اعتمد عليه في اثنين وثلاثين خبرًا [1]، ويمكن تقسيمها إلى أربعة مجموعات، وهي كالتالي:

أ - في تاريخ الأنبياء قبل الإسلام:

توجد روايات ثلاث، رواها عن ابن وهب تتعلق بقصص أنبياء الله تعالى. داود، ويونس، وإسماعيل[2].

ب - في أحداث السيرة النبوية:

وهي تتحدث عن موقف السيدة خديجة من الرسول (ﷺ) لما رأى الوحي أول مرة، وحالته (ﷺ) لما اتصل به الوحي، ففر منه الرسول (ﷺ)، ونزلت آيات سورة المدثر، والأنصار في بيعة العقبة الثانية، وأول خطبة خطبها الرسول (ﷺ) بالمدينة، وتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة[3].

---

(1) د. محمد جبر أبو سعده: بنو عبد الأعلى الصدفيون في مصر، ص 131.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الثانية، جـ 1، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م، ص 483، 484، جـ 2، ص 16، 268.

(3) المصدر السابق: جـ2، ص 298، 299، 306، 394، 396، 417.

ت – في تاريخ الخلفاء الراشدين:

فقد ذكر رواية تتعلق باسم أبي بكر : عتيق، وحوارًا دار بين أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما على فراش أبي بكر في مرضه الذي مات فيه، بث من خلاله شجونه ومخاوفه على المسلمين، و جزءًا من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تبرز عظم تحمله مسؤولية الخلافة، وخشيته من الله تعالى، ورواية تفيد شدة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصرامته في الحفاظ على مال المسلمين[1].

ث – في تاريخ مصر:

حيث أورد خبرًا واحدًا، وهو يتعلق بولاية عبد الله بن طاهر على مصر[2].

كما روى عن الإمام يونس بن عبد الأعلى المؤرخ الكبير يعقوب بن سفيان الفسوي، فنقل عنه بصورة مباشرة في سبعة مواضع من كتابه « المعرفة والتاريخ»[3]، يمكن تقسيمها كالآتي:

خبران متعلقان بالصحابة، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (10 ق هـ – 73 هـ/ 613 – 692 م)، وعبد الله بن أبي بكر الصديق(11 هـ/ 632 م)، وخبران متعلقان بالخليفة عمر بن عبد العزيز(61 – 101 هـ/ 781 – 720 م)، يدلان على مدى خوفه وخشيته من الله تعالى. جاء في أحدهما: «حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرني أشهب قال: قال مالك: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته في كنيسة بالشام، فطرح عليها خلق ساج عليه، ثم ضرب على فخذها فقال: يا فاطم ؛ نحن في ليالي دابق أنعم منا اليوم – فذكرها ما قد نسيت من عيشها – فضربت يده ضربة فيها عنف تنحيها عنها، وقالت: لعمري لأنك اليوم أقدر منك يومئذ. فاكتنفه ذلك – أي عبس – وتحرى مقام يزيد آخر الكنيسة، وهو يقول بصوت حزين: يا فاطم إني أخاف النار، يا فاطم إني أخاف النار، يا فاطم أني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم بصوت حزين، فبكت فاطمة فقالت: اللهم أعذه من النار». وثلاثة أخبار متعلقة بالتابعين: سعيد بن المسيب(13 – 94 هـ/ 634 – 713 م)، وأيوب السختياني(66 – 131 هـ/ 685 – 748 م)، ومسعر بن كدام (ت 152 هـ/ 769 م).

---

(1) المصدر السابق: جـ3، ص 425، 429، 431، جـ 4، ص 202، 203، جـ5، ص 156.

(2) المصدر السابق: جـ 8، ص 613.

(3) جـ1، ص 255، 306، 315، 329، 358، جـ2، ص 136، جـ 3، ص 43.

كما اعتمد عليه ابن خلكان في موضع واحد من كتابه« وفيات الأعيان»[1]. والذهبي في كتابه « تاريخ الإسلام»[2]، وابن كثير في كتابه « البداية والنهاية»[3] ؛ ومنها قصة احتجاج موسى على آدم – عليهما السلام – . وقصة أيوب‍ ودخول بخت نصر مدينة دمشق وتدمير كنيسة القيامة، وقصة الذبيح، وبيعة العقبة الثانية، وخطبة النبي (ﷺ) في أول جمعة صلاها بالمدينة المنورة في بني سالم بن عمرو بن عوف.

أما ابن حجر فقد نقل عنه في موضع واحد في كتابه « تهذيب التهذيب»[4]، وفي أربع مواضع في كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر»[5]. وابن الجوزي روى عنه في موضعين في كتابه « المنتظم في تاريخ الأمم والملوك»[6]، أولهما : حول أول خطبة للنبي(ﷺ) بالمدينة المنورة، وثانيهما: حول امتناع ابن وهب عن تولي منصب القضاء. أما ابن الأثير فقد روى عنه في موضع واحد في كتابه» الكامل في التاريخ»[7] حول ولاية عبد الله بن طاهر على مصر.

هؤلاء هم أشهر المؤرخين الذين رووا عن الإمام يونس بن عبد الأعلى بصورة مباشرة.

أما المحدثون، فقد روى عنه ابن حبان في كتاب « الثقات»، والإمام البخاري في كتاب « التاريخ الكبير»، كل منهما في موضع واحد فقط[8].

ومن اللغويين، روى عنه القفطي في كتابه « المحمدون من الشعراء»، خبرًا واحدًا حول دخول الإمام الشافعي مدينة سامراء، وما قاله من الشعر حينذاك[9].

صفوة القول، أن اهتمام يونس بن عبد الأعلى بالمعرفة التاريخية وحرصه على رواية وقائع التاريخ كان جزءًا من جهوده العلمية التي تنوعت وامتدت لتشمل معظم علوم الإسلام في عصره: القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ . مما كان له أكبر الأثر في شخصية حفيده عبد الرحمن بن يونس الصدفي.

---

(1) جـ 3، ص 37.

(2) جـ 2، ص 256، جـ 3، ص 424، 451، 473، جـ 4، ص 58، 62، جـ 5، ص 63.

(3) جـ 1، ص 93، 256، جـ2، ص 47، 307، جـ3، ص 198، 259.

(4) جـ 6، ص 66.

(5) ص 6، 48، 202، 187.

(6) جـ 1، ص 283، جـ 3، ص 216.

(7) جـ 3، ص 172.

(8) جـ 7، ص 533/ جـ 3، 382.

(9) ص 41.

ثالثًا: المؤرخ ابن يونس الصدفي:

هو: عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي[1] المصري مولدًا ونشأةً ووفاةً، سليل بيت الصدفيين في مصر، وأحد أشهر مؤرخي مصر الإسلامية العظام . ولد بالفسطاط سنة(281هـ/ 894م)، وتوفي يوم 25 جمادى الآخرة سنة 347هـ/ 14 من سبتمبر 958م.

نشأ عبد الرحمن نشأة علمية، ولا غرابة، فإن أباه وجده كانا من كبار المحدثين في مصر، فكان من الطبيعي أن يبدأ حياته العلمية - بعد حفظ القرآن الكريم - بدراسة الحديث الشريف، فسمع من أعلام عصره، ومن أشهرهم : أبيه أحمد بن يونس(ت 302 هـ/ 915 م)، وأحمد بن حماد زغبة(ت 296هـ/ 909م)، وأبي يعقوب المنجنيقي(ت 304هـ/ 916 م)، وعلي بن قديد (ت 312هـ/ 924م)، وأحمد بن عبد الوارث العسال المصري(ت 321هـ/ 933م)[2]، وغيرهم.

لم يرتحل ابن يونس، ولم يسمع بغير مصر، لكنه تتلمذ على أيدي العلماء المصريين - والذي سبقت الإشارة إلى بعضهم-، وعلى أيدي العلماء الوافدين إليها من كافة الأقاليم الإسلامية الأخرى.

ومِن أشهر مَن روى عنهم من الأندلسيين: عبد الله بن محمد بن حسين(318هـ/ 930 م)، وعبد الله بن حُنين بن عبد الله المالكي(ت 319هـ/ 931 م)، وعيسى بن محمد الأندلسي، ومحمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج القرطبي (315- 380هـ/ 927 - 990 م)[3].

وأخيرًا، من شيوخه الذين روى عنهم من غير مصر والأندلس: أحمد بن شعيب النسائي (215 - 303 هـ/ 830 - 915 م)، وعلي بن سعيد الرازي، ومحمد بن إدريس بن وهب البغدادي، عبد السلام بن سهل البغدادي، العباس بن يوسف بن عدي الكوفي، ومحمد بن أحمد بن جعفر الكوفي، ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الدمشقي، ومحمد بن

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 3، ص 137، الذهبي: العبر في خبر مَنْ غبر، جـ 2، ص 77، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ11، ص 265، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ص 368،.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 25، ص 382، وكتابه : سير أعلام النبلاء، جـ 15، ص 579.

(3) الحُميدي: جذوة المقتبس، ص 76، ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ 14، ص 717، ابن فرحون: الديباج المذهب، جـ 1، ص 436، الداودي: طبقات المفسرين، الطبعة الثانية، مصر، مكتبة وهبه،1994م، ص 227 -228.

عبد السلام بن عثمان الدمشقي، ومحمد بن عيسى بن عيسى بن تميم المصيصي[1]، وغيرهم.

هؤلاء هم أشهر شيوخ ابن يونس الذين سمع منهم علم الحديث والتاريخ، ثم ما لبث أن تخصص في العلم الأخير، وذاع صيته وحظى بثناء المؤرخين عليه، ولا بأس أن نقتبس بعض هذه الأقوال :

قال الصفدي: « كان إمامًا في فن التاريخ ... وله كلام في الجرح والتعديل يدل على بصره بالرجال، ومعرفته بالعلل»[2]، ويقول ابن خلكان : «كان خبيرًا بأحوال الناس، ومطلعًا على تواريخهم عارفًا بما يقوله»[3]، وهذه شهادة لها ثقلها من ابن خلكان المؤرخ. كذلك أثنى عليه الإمام السيوطي، بقوله: « كان إمامًا في هذا الشأن متيقظًا «[4]، أما اليافعي فقال: «كان خبيرًا بأحوال الناس، ومطلعًا على تواريخهم»[5]. كل هذه الألفاظ (إمامًا، عارفًا بما يقول، متيقظًا، مطلعًا) كلمات لها دلالة قوية تدل على قدر مؤرخنا ابن يونس، خاصة وأنها صادرة عن مؤرخين كبار.

ولا شك في ان ابن يونس قد سلك مسلك أهل الحديث في الدقة والإسناد، فقد كان محدثًا موصوفًا بالإثبات واليقظة[6].

تلاميذه:

رحل إلى مصر كثير من طلاب العلم للأخذ عن ابن يونس، فحدثوا عنه، ثم نقلوا علمه إلى سائر أقاليم العالم الإسلامي . ولا غرابة، فإن من يدقق النظر في قائمة طلابه من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه، ومن أشهرهم:

ابنه علي، وسوف يأتي الحديث عنه في الفصل القادم، والحسن بن علي بن سوادة الفهمي المصري[7](ت 323 هـ / 935م) وعبد الرحمن بن عمر بن النحاس[8]، وعبد

(1) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 530، الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ 3، ص 898.

(2) الوافي بالوفيات، جـ 18، ص 65.

(3) وفيات الأعيان، جـ 3، ص 137.

(4) ذيل طبقات الحفاظ، ص 368.

(5) مرآة الجنان، جـ 2، ص 240.

(6) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 212.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 24، ص 128.

(8) الذهبي: المصدر السابق، جـ 25، ص 382، وكتابه : تذكرة الحفاظ، جـ 3، ص 898، و كتابه : سير أعلام النبلاء، جـ 15، ص 579.

الرحمن بن محمد الأزدي[1]. ومن غير المصريين: عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخي[2] (ت 378 هـ / 988م)، و أبو عبد الله بن منده[3](ت 395هـ/ 1005م)، ومحمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرج القرطبي[4](ت 380 هـ/ 990م)، وإبراهيم بن محمد الغافقي، قاضي طرابلس[5] (ت 253هـ / 867م)، وإسحاق بن إبراهيم البغدادي[6]، والحسين بن علي الحلبي[7](ت 308هـ/ 920م)، وغيرهم .

وهكذا، يتضح لنا أن تلاميذ ابن يونس الذين سمعوا منه لم يكونوا من المصريين فقط، بل كانوا من جميع أنحاء العالم الإسلامي (بلخ، أصفهان، قرطبة، طرابلس، بغداد، حلب)، وفي هذا أكبر دليل على سعة وشهرة ابن يونس على مستوى العالم الإسلامي.

مُصَنَّفاته:

رغم تعدد نواحي ثقافة ابن يونس، إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا شيء عن مؤلفاته في علم الحديث، وأكتفت بذكر مؤلفاته التاريخية، وهي[8]:

أ – كتاب: «تاريخ المصريين».

ب – كتاب: «تاريخ الغرباء».

ت – كتاب: «العقيد في تاريخ الصعيد»[9].

(1) القاضي عياض : ترتيب المدارك، جـ 2، ص 615.

(2) الذهبي: المصدر السابق، جـ 15، ص 579.

(3) أبو نُعيم : تاريخ أصفهان، جـ 2، ص 117، الصفدي : الوافي بالوفيات، جـ 18، ص 138 .

(4) المقري: نفح الطيب، جـ 2، ص 218.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 1، ص 257.

(6) الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ 3، ص 899.

(7) ابن العديم : بغية الطلب، جـ 1، ص 2678.

(8) وردت أسماء هذه الكتب بصيغ مختلفة في المصادر التاريخية القديمة، انظر – على سبيل المثال – : ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 3، ص 137، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 15، ص 578، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ملحق بكتاب روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، الطبعة الثانية، دولة لبنان، مؤسسة الرسالة،1983م، ص 592، حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ2، ص 1159، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، جـ3، ص 137، وذكره خطأ باسم» الصفدي». د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، جـ2، ص237، أحمد أمين: ظُهر الإسلام، جـ1، ص165، د. سيدة إسماعيل سيد كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 327، د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص 200.

(9) شك أحد الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الكتاب لابن يونس، حيث قال: «إن الكتاب الثالث والأخير لم نعثر على نص واحد منه في أي من المصادر التي طالعناها. وهذا يلقي ظلالاً من الشك حول صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤرخنا، إضافة إلى تفرد حاج خليفة بذكره من بين كافة المصادر الأخرى المتاحة» . د. عبد الفتاح فتحي : تاريخ ابن يونس الصدفي، جـ2، ص300 – 301.

ويلاحظ على هذه المُصنَّفات التاريخية أنها مفقودة، وأن ما ورد إلينا منها في بطون المصادر التاريخية يدل على أن ابن يونس تأثر فيها بثقافته الحديثية.

ومما يؤسف له أن هذه المُصنَّفات مفقودة مع ما فقدنا من تراثنا الإسلامي. أما عن ظروف فقدها، فلعلها الظروف العامة التي مرت بتاريخ أمتنا من حروب و ثورات وفتن. وغيرها من الكوارث التي ألمت بالأمة خلال مسيرتها الحضارية.

وأخيرًا، لعل ابن يونس - بهذا الكتاب المهم، الذي نرجو من الله تعالى العثور عليه قريبًا - يكون قد عوض الصدفيين شيئًا عن قلة تأليفهم في تاريخ مصر الإسلامية، وكَتَبَ لهذه الأسرة العريقة المجد والرفعة.

وفاته:

وأخيرًا، بعد حياة مليئة بالجد والعطاء رحل ابن يونس سنة(347هـ/ 958م) - كما سبقت الإشارة - فرثاه معظم شعراء مصر، وعلى رأسهم تلميذه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله الخولاني المصري النحوي(ت366هـ/ 976م)، بقصيدة رائعة، جاء فيها:

بثثت علمك تشريقًا وتغريبًا ... وعدت بعد لذيذ الْعَيْش مَنْدُوبًا

أَبَا سعيد وَمَا نألوك إِن نشرت ... عَنْك الدَّوَاوِين تَصْدِيقًا وتصويبًا

مَا زلت تلهج بالتاريخ تكتبه ... حَتَّى رَأَيْنَاك فِي التَّارِيخ مَكْتُوبًا[1]

ونختم هذا الفصل بقول السمعاني عن ابن يونس: «كان إمامًا، حافظًا، ثقةً، صدوقًا، مكثرا من الحديث، جمع « تاريخ مصر» وأحسن فيه، واعتمد الناس على تصانيفه»[2].

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 3، ص 137، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ 18، ص 65.

(2) الأنساب، جـ 3، ص 530.

المبحث الثاني:
جهود المؤرخين التجيبيين
في مصر الإسلامية

تتلمذ على يد عبد الله بن عمرو بن العاص كثير من التجيبين الذين سمعوا منه أخبارًا تتعلق بالفتح الإسلامي لمصر، ومن أبرزهم: سويد بن قيس التجيبي[1]، وعقبة بن مسلم التجيبي[2]، ومحُيس بن ظبيان الأوابي التجيبي[3].

وأستطيع القول، أن هؤلاء التجيبيين كانوا من أوائل مدرسة مصر التاريخية، وإن لم تصل إلينا مروياتهم بصورة مباشرة في بعض المصادر التاريخية، ولكنها وصلت إلينا عن طريق تلامذتهم الذين أخذوا عنهم، والذين ظهرت على أيديهم - بوضوح - المدرسة التاريخية المصرية، ومن أشهرهم :

أ - يزيد بن أبي حبيب، واسمه سويد الأزدي المصري(53 - 128 هـ/ 673 - 746 م) . وقد ذكر السيوطي أنه : «أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن «[4]. وكان من أبرز شيوخ يزيد الذين روى عنهم كثيرًا من الأخبار المتعلقة بفتح مصر؛ سويد بن قيس التجيبي[5]، ومحيس بن ظبيان التجيبي[6]. وقد وردت إلينا كثير من النصوص التاريخية برواية يزيد بن أبي حبيب لدى ابن عبد الحكم والكندي والبلاذري وابن سعد[7] والفسوي[8]، وغيرهم.

---

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 4، ص 245،الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ2، ص 253.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 7، ص 425، البخاري: التاريخ الكبير، جـ 6، ص 437.

(3) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 63، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 131.

(4) السيوطي : حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 299.

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ4، ص 143، ابن حبان: الثقات، جـ 4، ص 322.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 63.

(7) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ 2، ص 87، د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، جـ 2، ص196 - 197.

(8) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ 2، ص 297.

وعلى ذلك، فإن مدرسة مصر التاريخية بدأت بعبد الله بن عمرو بن العاص، وحمل لوائها من بعده يزيد بن أبي حبيب، وأن سويد، ومحيس التجيبيين كانا أحد المصادر التاريخية التي اعتمد عليها يزيد بن أبي حبيب في كتابه - المفقود - «فتح مصر»، والذي يعد البداية الحقيقية لحركة التأليف في التاريخ المصري.

ب - ابن لَهِيَعة : أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي المصري(97 - 174هـ / 715 - 790 م)[1]. كان مكثرًا من رواية الحديث والأخبار، وقد سمع إسرائيل بن عباد التجيبي، صاحب « أخبار الملاحم» كما يقول السمعاني[2]، وعقبة بن مسلم التجيبي، وخالد بن أبي عمران التجيبي. إذًا، ساهم التجيبيون كأساتذة في معظم مرويات ابن لهيعة. فإذا كان من المعروف عنه أنه كان مصدر كثير من الأخبار التي سجلها مؤرخو مصر منذ ابن عبد الحكم وحتى السيوطي[3]، فلا نستبعد أن يكون التجيبيون قد ساهموا بشكل أو بأخر في معظم هذه الأخبار.

ت - الليث بن سعد: أبو الحارث الفهمي المصري(94 - 175هـ / 713 - 791 م)، ولد في قلقشندة وتفقه بالحجاز[4]، وكان أحد مؤسسي المدرسة التاريخية المصرية، فقد ساهم بمؤَلف في التاريخ المصري[5]، كان أحد مصادر الكندي في كتابه « ولاة مصر وقضاتها». وقد نقل عن الليث كثير من المؤرخين اللاحقين، من أمثال ابن عبد الحكم، والمقريزي، وابن تغري بردي، والسيوطي[6]. ولا أستبعد أن يكون أحد مصادر الإمام الليث في كتابه المشار إليه، شيخه الذي سمع منه أحداث الفتح الإسلامي لمصر؛ خالد بن أبي عمران التجيبي. إذًا، ساهم التجيبيون في مرويات الإمام الليث بن سعد ؛ والذي صار أحد أركان المدرسة التاريخية المصرية . وإن كانت مروياته لا تخلو من الحكايات الخرافية الشعبية، التي أعطاها نوعًا من الاعتراف التاريخي بها، كما يقول الدكتور شاكر مصطفى[7].

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 3، ص 39.

(2) الأنساب، جـ 2، ص 185.

(3) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ 2، ص 87، د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص156.

(4) ابن حجر: سيرة وفضائل الإمام الليث بن سعد، ص 23.

(5) ابن النديم: الفهرست، ص 199.

(6) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ 2، ص88.

(7) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص157.

أولًا: القصاصون والقصص:

كان القصص يمثل أقدم ألوان النشاط العلمي في المسجد الجامع بمدينة الفسطاط، وكان يقوم في البداية على ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم السابقة، ثم ما لبث أن أصبح يمثل مصدرًا من مصادر التاريخ، حيث كان يتصدى له في البداية بعض العلماء الثقات، الذين أضفوا علية نوعًا من أنواع الثقة عند عوام الناس، وكان من أشهرهم : سُليم بن عتر التُجِيبي المصري (المتوفى في عام: 75هـ/ 694 م)، قال السيوطي: «قاضي مصر وناسكها وكان يسمى الناسك لكثرة فضله وشدة عبادته .... وهو أول من قص بمصر سنة ثلاثين»[1] . فإذا تذكرنا أن مصر فُتِحت سنة (20هـ / 641 م) فإن هذا الخبر يعني أن القصص قد ظهر على لسان أحد الفقهاء في الدين بعد عشر سنوات فقط من الفتح[2]. مما يدل على سرعة تسربه الثقافي. ويبدو أن هذا النوع التاريخي وجد هوى في نفوس الناس فتلقفوه وشاع فيما بينهم، حتى عُرف به بعض التابعين والمحدثين، من أمثال:

عقبة بن مسلم التُجيبي (المتوفى في عام: 120هـ/ 738 م)[3]، اشتغل في بداية حياته العلمية بعلم الحديث، فسمع عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وغيرهما. سمع منه أئمة أهل العلم، من أمثال: حيوة بن شريح، وعبد الله بن لهيعة، وحرملة بن عمران[4]، وغيرهما. كان عقبة» مصريًا تابعيًا ثقةً»[5]. روى له أصحاب السُّنَّن[6]، وعندما أصبح إمامًا لجامع عمرو ابن العاص؛ جلس فيه يقص على الناس عقب الصلاة[7] فانتفع الناس بعلمه.

ومنهم: مُخيس بن ظبيان التجيبي، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخبارًا تتعلق بفتح مصر. ووصلتنا مروياته التاريخية عن طريق أشهر تلامذته يزيد بن أبي حبيب[8]، كما سبقت الإشارة.

---

(1) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 295، أحمد أمين: ظُهر الإسلام، جـ1، ص86.

(2) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص 146

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ 6، ص 437، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 7، ص 222.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 7، ص 425.

(5) ابن حبان: الثقات، جـ5، ص 228، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 6، ص 316.

(6) البخاري في كتابيه: الأدب المفرد، وخلق أفعال العباد، والترمذي، والنسائي، وأبي داود. الذهبي: الكاشف، جـ2، ص 30، العيني: مغاني الأخيار، جـ 3، ص 382.

(7) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 88، د. شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص 146.

(8) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 63، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 13.

هكذا، يتضح لنا أن التجيبيين قد ساهموا في هذا النوع من أنواع الثقافة التاريخية للمدرسة المصرية، وكان لهم دور في إثراء الحركة التاريخية في مصر الإسلامية.

ثانيًا: المرويات التاريخية للمؤرخين التجيبيين:

وإلى جانب هذا التراث المفقود للمؤرخين التجيبيين، وصلتنا بعض النُّتَّف من المرويات التاريخية لبعض المشتغلين بعلم التاريخ، ومن أبرزهم:

1 - أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التُجِيبي (283ـ350 هـ/ 897 - 961م): ولد في الفسطاط، والراجح أنه تلقى العلم في مصر إذ ليس لدينا ما يشير إلى أنه رحل إلى غيرها من البلاد[1]، وهو فقيه عارف بأحوال الناس وسير الملوك، بل يعد بحق شيخ مؤرخي مصر قبل الدولة الفاطمية. درس الحديث على يد الإمام النسائي(215 - 303 هـ/ 830 - 915 م)، والأخبار على يد أسامة بن أحمد التجيبي(المتوفى في عام: 307هـ/ 919م). ألف الكندي عديدًا من كتب التاريخ كانت مصدرًا للمؤرخين الذين جاءوا من بعده، ومنها: كتاب « الخطط» ؛ والذي أشار إليه المقريزي حين قال: « أن أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه هو أبو عمر محمد بن يوسف الكندي»[2]، وحذا حذو الكندي في هذا الكتاب، كثير من المؤرخين المصريين ؛ كابن زولاق، والقضاعي، وابن دقماق، والمقريزي، والأوحدي، والسيوطي[3]. ومن أهم مؤلفات الكندي - كذلك - كتاب « القضاة»، والذي نسج على منواله ابن زولاق، وابن حجر العسقلاني[4]. هذا بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأخرى، ومنها: كتاب ولاة مصر، وكتاب مسجد أهل الراية، وكتاب الخندق والتراويح، وكتاب الجند العربي، وكتاب الموالي. كما كان له كتابان في سيرة رجلين، هما: أخبار السري بن الحكم، ومروان بن الجعدي[5]. إذًا، ساهم الكندي بوضوح في تطور المدرسة التاريخية المصرية بمؤلفاته العديدة في كافة مجالاتها، وكان مصدرًا هامًا لكثير من المؤرخين الذين نقلوا عنه، كالمقريزي[6]، وابن

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 7، ص489، د. سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين، ص 327.

(2) الخطط، جـ 1، ص 4.

(3) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ 2، ص 186.

(4) أحمد أمين : ظُهر الإسلام، جـ 1، ص 166.

(5) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، جـ 3، ص 82، د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، جـ 2، ص 240 - 241 . وحول التحليل التاريخي لهذه المؤلفات، انظر: د. صفي علي: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص 530 وما بعدها .

(6) الخطط، جـ2، ص453.

خلكان[1]، وابن العديم[2]، وغيرهم.

2 - خالد بن أبي عمران التجيبي: الذي اشتغل في بداية حياته بعلم الحديث، فخرج في رحلة طويلة سمع فيها من أساطين أهل العلم في زمانه - خاصة آل عمر بن الخطاب - ، فسمع عبد الله بن عمر، وسالم ابنه، ونافع مولاه. كما روى عن عروة بن الزبير، وحنش الصنعاني، والقاسم بن محمد، وعكرمة مولى ابن عباس[3]، وغيرهم. وهي قائمة كبيرة ولاشك، فكل واحد من هؤلاء الأعلام يمثل مدرسة علمية قائمة بذاتها، وتدل - في نفس الوقت - على مدى سعة علم خالد، واجتهاده فيمن يأخذ عنه هذا العلم. عاد خالد إلى الفسطاط وقد جمع علم هؤلاء الأعلام الكبار الثقات، المشهورين بالرواية في علم الحديث والتاريخ. فكان من الطبيعي أن يلتف طلاب العلم حوله للأخذ عنه، والسماع منه، خاصة وقد انفرد بالرواية عن آل الخطاب. فسمع منه كثير من الطلاب ؛ الذين صاروا أعلام بعد ذلك، من أمثال : يحيى بن سعيد الأنصاري، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وعبد القاهر بن عبد الله [4]، وقائمة كبيرة يطول الحديث بذكرهم.

هكذا، أصبح خالد التجيبي علمًا من أعلام المدرسة المصرية في علم الحديث والتاريخ، فأثنى عليه علماء الجرح والتعديل، بقولهم: «ثبت، ثقة»[5].

وبالرغم من كل هذه الشهرة التي حققها الإمام خالد في مصر، إلا أنه عنَّ له[6] السفر إلى إفريقية[7] لينشر علمه في ربوع تلك البلاد ؛ التي كانت في حاجة شديدة إليه، فالتف الناس حوله، ينهلون من خُلقه قبل علمه. وبعد فترة قليلة ولى منصب القضاء، فحمدت سيرته، وأثنى عليه الناس، حتى صار يلقب بـ»فقيه إفريقية، ومفتي مصر والمغرب»[8].

---

(1) وفيات الأعيان، جـ3، ص 130.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ2، ص352، جـ 3، ص211.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 2، ص 427، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 736.

(4) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ3، ص 96، وكتابه: تبصير المنتبه، جـ1، ص 489.

(5) العجلي: معرفة الثقات، ص 28، العيني: مغاني الأخيار، جـ 1، ص 261.

(6) عَنَّ لَهُ الأمرُ: عَرَض، ظهر، خَطَر في بالِه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جـ2، ص 632، أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ2، ص 1565.

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 228، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 100.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 121، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 465، وكتابه: العبر، جـ 1، ص 31.

ونظرًا لهذه المكانة التي وصل إليها فقد روى له أصحاب السُّنَن[1]. وبعد رحلة طويلة من العطاء، والعيش في رحاب العلم، رحل الإمام سنة(125هـ / 742م) وقيل: سنة(129هـ / 746م) ودفن بإفريقية[2] التي صارت سكنًا ومستقرًا له في آخر عمره.

ومما يجب علينا ذكره، الإشارة إلي الجانب التاريخي في حياة الإمام خالد بن أبي عمران التجيبي، والمتمثلة في المرويات التاريخية التي حفظتها لنا بعض المصادر التاريخية، والتي يمكن تقسيمها كالتالي:

أولًا: فيما يتعلق بحضارات الشعوب القديمة، فقد وصلنا خبر واحد عن قصة مدينة إرم ذات العماد[3]، وصلتنا عن طريق ابن لهيعة، عن خالد التجيبي عن وهب بن منبه[4].

ثانيًا: الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية - وهي أكبرها - ومعظمها يدور حول ميلاد النبي(ﷺ)، وبعثته[5]، وتفاصيل فتح خيبر، وتقسيم الغنائم[6]، والدعاء المأثور عنه(ﷺ) في ختام المجلس[7]، وتاريخ وفاته ..... إلخ.

ثالثًا: الروايات المتعلقة بعصر الخلفاء الراشدين، ومن عاصرهم من الصحابة. ومنها تفاصيل معركة « ذات الصواري» [8]، وأخبار عبدالله بن عمر وكيفية حجه لبيت

---

(1) صحيح مسلم(8 / 270) رقم(2979)، سنن أبي داود(9 / 186) رقم(2908) (9 / 187) رقم(2909)(9 / 424) رقم(3074) (11 / 334) رقم(3720)، سنن الترمذي(5 / 44) رقم(1176)(11 / 407) رقم(3424) (11 / 407) رقم(3424)، سنن النسائي(5 / 154) رقم(1327)(14 / 133) رقم(4497)(14 / 134) رقم(4498)، مسند أحمد بن حنبل، تعليق: شعيب الأرنؤوط في (17) موضعًا.

(2) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 95.

(3) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، جـ2، ص 22.

(4) لمزيد من التفاصيل، انظر: د. عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص 115.

(5) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ3، ص 281، ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ1، ص 101، 193، جـ2، ص 274، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ2، ص 114،43، 455، ابن الجوزي: المنتظم، جـ1، ص 425، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ2، ص 458، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ2، ص 319.

(6) الأصفهاني: تاريخ أصفهان، جـ4، ص 90، ابن الأثير: أسد الغابة، جـ2، ص 397، القاسم بن سلام: الأموال، ص 141.

(7) ابن قتيبة: عيون الأخبار، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م، جـ1، ص 240، الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصبهان، جـ4، ص 388.

(8) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ3، ص 340.

الله الحرام[1]، وعبد الله بن الزبير[2]، وعتبة بن غزوان السلمي، وجهاده مع النبي (ﷺ)[3]، وعبدالله بن سلام[4].

رابعًا: أما فيما يتعلق بأخبار الدولة الأموية، فلم يَذْكر إلا خبرًا واحدًا، ونصه: « عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حذيفة بن اليمان، قال: يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكًا من بني أمية، قيل له: خلفاء، قال: لا بل ملوك»[1].

صفوة القول، أن خالد بن أبي عمران قد اشتغل إلى جانب علم الحديث بعلم التاريخ الإسلامي، وأصبح علمًا من أعلام المدرسة المصرية في هذا المجال، وأن السيرة النبوية قد شغلت الجزء الأكبر من مروياته التاريخية. ولا غرابة في ذلك فهو تلميذ عروة بن الزبير[5] ؛ المؤسس الحقيقي لمدرسة المغازي والسير. وقد وصلتنا معظم هذه الأخبار عن طريق أشهر تلامذته ابن لهيعة، والذي يعد من عماد المدرسة التاريخية المصرية لمن جاء بعده، كالمقريزي والسيوطي وابن تغري بردي، وغيرهم.

3 - سويد بن قيس التجيبي المصري: روى عن معاوية بن حديج - كما سبقت الإشارة ـ، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص[6]، وغيرهم. روى عنه : يزيد بن أبي حبيب[7]، وغيره. وثقه النسائي، وابن حبان[8]، وغيرهما.

وقد حفظت لنا كتب السُّنَّة[9] كثيرًا من المرويات الحديثية الخاصة بسويد. كما

---

(1) الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر، 1414هـ - 1994م، جـ1، ص 276، 277، 402.

(2) يحيى بن معين: تاريخ يحيى بن معين، جـ1، ص 43، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ2، ص 275، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ8، ص 369.

(3) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ 3، ص 69.

(4) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد، بيروت، دار الفكر، ب - ت، جـ 4، ص 1181.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ6، ص 280.

(5) لمزيد من التفاصيل انظر - على سبيل المثال - أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ2، ص 321 - 322، د. عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص 155 - 162.

(6) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 4، ص 245، وكتابه: تقريب التهذيب، جـ1، ص 405، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 85.

(7) البخاري: التاريخ الكبير، جـ4، ص 143، ابن حجر: لسان الميزان، جـ 3، ص 209.

(8) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ 2، ص 253، ابن حبان : الثقات، جـ 4، ص322، الرازي: الجرح والتعديل، جـ 4، ص 236.

(9) سنن أبي داود(1 / 444) رقم 311(3 / 207) رقم863(9 / 170) رقم2898، سنن الترمذي(5 / 125) رقم1226، سنن النسائي(1 / 480) رقم 292(3 / 43) رقم658(11 / 334) رقم3523(14 / 157) رقم4515، سنن ابن ماجه(2 / 165) رقم533 (2 / 300) رقم630 (6 / 470) رقم2211(10 / 433) رقم3569، سنن الدارمي(4 / 194) رقم1427(8 / 126) رقم2640 .

وردت إلينا – أيضا – مقتطفات من مروياته التاريخية من طريق أشهر تلامذته يزيد بن أبي حبيب، وهي كالتالي:

أخبار تتعلق بعمرو بن العاص، ومعظمها يدور حول روايته لحديث النبي[1](ﷺ)، ودعائه له[2]. وخبرٌ يتعلق بعبد الله بن عمر؛ الذي رد الأموال التي أرسلها إليه الوالي عبدالعزيز بن مروان[3]. وخبرٌ ثالثٌ خاص بالصفة الخِلْقية للخليفة أبي بكر الصديق ؛ من أنه كان مخضوب الرأس واللحية[4]. والخبر الأخير، يدور حول سؤال معاوية بن أبي سفيان إلى أخته أم حبيبة عن حال النبي(ﷺ) في بيته[5].

هذه – إذًا – أهم المرويات التي وردت إلينا في المصادر التاريخية من طريق سويد بن قيس التجيبي. ويظهر أن معظمها يدور حول عمرو بن العاص. ولعل هذا أمر طبيعي لأنه أصبح أبرز الشخصيات التي احتلت مركز الصدارة بعد إتمام الفتح الإسلامي لمصر.

وعلى كل، أستطيع القول: أن سويد التجيبي قد ساعد على نقل كثير من الروايات التاريخية عن طريق يزيد بن أبي حبيب، والتي رواها عنه أشهر أعلام المدرسة التاريخية المصرية، من أمثال: عبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد.

4 – ومن أشهر التجيبيين الذين جمعوا بين الفقه والتاريخ، الإمام حرملة بن عمران التجيبي (166ـ243هـ/ 783ـ858 م): وقد سبق الحديث عن الجانب الفقهي في حياته، والذي يهمنا هنا الجانب التاريخي، أو بمعنى آخر المرويات التاريخية التي ذكرتها المصادر التاريخية عنه، ويمكن تقسيمها كالتالي:

أولاً: فيما يتعلق بأخبار الأنبياء السابقين، فقد حدد مكان قبور بعض الأنبياء، مثل: قبر إسماعيل ؛ الموجود بين الركن والبيت. وقبر نبي الله هود؛ الموجود تحت جبل من جبال بلاد اليمن[6].

ثانيًا: فيما يتعلق بحياة النبي(ﷺ)، فقد أورد لنا نصًا هامًا يتعلق بحجة الوداع،

---

(1) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 297.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ7، ص 499، الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 295.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ9، ص 71، السخاوي: التحفة اللطيفة، جـ1، ص 446.

(4) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ3، ص 307.

(5) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ3، ص 346.

(6) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ1، ص 52، ابن الجوزي: المنتظم، جـ7، ص 67.

وما ساقه النبي (ﷺ) من الهدي، وأمره لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالذبح نيابة عنه[1].

ثالثًا: عصر الخلفاء الراشدين، وهو يشغل معظم مرويات حرملة، وخاصة الجزء المتعلق بأخبار مصر. فقد حفظ لنا نصًا ثمينًا يدور حول محاولات عمرو بن العاص رضي الله عنه فتح حصن بابليون، واللقاء الذي تم بين المقوقس وعمرو فوق جبل المقطم[2]. والأحداث المتعلقة بفتح الإسكندرية[3]، ووفاة عمرو بن العاص في مصر، وكيفية دفنه، وكم ترك من ميراث لذريته من بعده[4]. كما ذكر سبب خروج الصحابي أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه من مصر[5]. وخبرًا حول مقتل الخليفة عثمان بن عفان[6] رضي الله عنه، والخبر الأخير حول معركة صفين[7].

رابعًا: عصر الدولة الأموية، حيث أورد لنا خبرًا متعلقًا بخلافة معاوية بن أبي سفيان[8] رضي الله عنه، وخبرًا يتعلق بولاية عبد العزيز بن مروان على مصر[9]، وولاية محمد بن أبي حذيفة على مصر[10]، وخبر حول مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي[11].

هذه أهم المرويات التاريخية التي ذكرتها المصادر من طريق حرملة بن عمران. وأول ما نلحظ فيها، أن معظمها يدور حول أخبار مصر بداية من مقدمات الفتح الإسلامي، وحتى ولاية محمد بن أبي حذيفة. وأظن أن هذا أمر طبيعي، فمن المعروف أن حرملة - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - عاش ومات بالفسطاط، ولم يرحل عنها إلى أي بلد إسلامي آخر، فكانت معظم مروياته التاريخية تدور حول مصر.

ومما تجدر الإشارة إليه أن حرملة من أوائل المؤرخين الذين اعتمدوا على مشاهدة

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبير،، جـ 7، ص 431.

(2) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ1، ص 281، المقريزي: الخطط، جـ 3، ص 212.

(3) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م، ص 107.

(4) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ 7، ص 494، الكندي: ولاة مصر، ص 10.

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ 3، ص 117.

(6) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ 3، ص 424.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 6، ص 274.

(8) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ4، ص 246ـ 247.

(9) الكندي: ولاة مصر، ص 14، الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ1، ص 327.

(10) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 293.

(11) ابن الجوزي: المنتظم، جـ2، ص 332.

الأماكن الأثرية في تدوين الحدث، ولم يكتف بالرواية الشفهية، حتى قال عن نفسه: «رأيتُ أنا قبر عمرو بن العاص فيه(جبل المقطم)، وفيه قبر أبي بصرة الغِفْاري، وعقبة بن عامر»رضي الله عنهما[1].

صفوة القول، أن حرملة بن عمران إلى جانب اشتغاله بعلم الفقه كان يشتغل أيضًا بعلم التاريخ، وكان يعتمد بشكل كبير على مشاهدة الأماكن التي وقعت فيها الأحداث. وقد حفظت لنا المصادر التاريخية كثير من مروياته، وإن لم تصلنا بصورة مباشرة عنه، ولكنها وصلتنا عن طريق بعض تلامذته كابن لهيعة، والليث بن سعد. وكم كنت أود العثور على مُؤَلف تاريخي يحمل اسم حرملة - وذلك على غرار مؤلفاته الفقهية في المذهب الشافعي - كي نقف على طريقته في التأليف وفي تدوين الأحداث.

5 - محمد بن رمح بن مهاجر التجيبي (المتوفى في عام: 242هـ/ 857م): من الرواة والمؤرخين الذين كانوا من أصحاب الحِلْق في المسجد الجامع [عمرو بن العاص]، قال عنه ابن يونس: «إنه كان من أعلم الناس بأخبار بلدنا (يعني مصر)»[2]. وذلك فضلًا عن شهرته آنذاك في علم الحديث. ولا غرو فهو تلميذ الليث بن سعد، وابن لهيعة[3]. وهكذا جمع محمد بن رمح بين رواية الحديث ورواية الأخبار، وتحري الدقة فيهما. قال ياقوت: «كان يسكن محلة التجيب بمصر وكان من أثبات المصريين ومتقنيهم»[4].

6 - إسرائيل بن عباد التجيبي: كما ظهر لون جديد من ألوان المرويات التاريخية ؛ وهي أخبار الفتن والملاحم. ومن أشهر من اشتغل بهذا النوع من المرويات؛ إسرائيل بن عباد التجيبي، والتي رواها عنه تلميذه ابن لهيعة[5].

7 - عبد الرحمن بن عمر التجيبي، المعروف بابن النحاس(323 - 416 هـ/ 935 - 1025 م): من التجيبيين الذين اشتغلوا بعلم التاريخ - وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن فقهاء المالكية - والآن نتحدث عن الجانب التاريخي في حياته.

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ3، ص 212.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ18، ص 434، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ22، ص101، السمعاني: الأنساب، جـ1، ص448، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 445.

(3) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 327، أبو سديرة : الحركة العلمية في مسجد عمرو بن العاص، ص116.

(4) معجم البلدان، جـ1، ص403.

(5) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 1، ص 238، السمعاني: الأنساب، جـ 2، ص185 . ولم أعثر على ترجمة وافية له فيها تحت يدي من مصادر.

جمع ابن النحاس بين علوم الحديث والفقه والتاريخ . وكان أشهر شيوخه الذين سمع منهم ؛ المؤرخ المصري الحجة في التاريخ المصري ؛ العلامة ابن يونس الصدفي(المتوفى في عام:347هـ/ 958م). ومعظم مروياته التاريخية تدور حول الفتح الإسلامي لمصر، والأحداث التي أعقبت هذا الفتح. كما سمع من عبدالله بن ورد (المتوفى في عام:351هـ/ 962م)، قال الذهبي: «سمع منه السيرة»[1].

ذاعت شهرة ابن النحاس بين علماء عصره، حتى هم الخطيب البغدادي بالرحلة إليه في مصر للأخذ عنه، فلم يقضِ[2]. وإن فاته الأخذ عن ابن النحاس فقد روى عن تلميذه محمد بن علي الصوري، واقتبس منه في كتابه» تاريخ بغداد» في (12) موضعًا[3]. صرَّح الصوري في بعضها بأنه سمعها من عبد الرحمن بن عمر التجيبي المصري. وتتناول هذه المقتطفات أحاديث نبوية، ومكانة بعض العلماء، وقد أسندها التجيبي إلى عدد من شيوخه[4]. وإلى جانب الخطيب البغدادي، فقد روى عنه الإمام الذهبي[5]، والإمام السبكي[6]، وابن العديم[7].

هكذا كان ابن النحاس؛ محدثًا، فقيهًا، مؤرخًا، مهتمًا بأخبار مصر وأحوالها. ولا غرابة فقد أحبها وعاش في ربوعها، ولم يرحل عنها إلى أي قطر آخر، سوى مكة لأداء مناسك الحج.

ولكن مما يؤسف له أن ابن النحاس لم يترك لنا مُصَنَّفًا في التاريخ، وذلك على غرار مُصَنَّفاته في الحديث. ولعله قد اكتفى ببث علومه بين طلابه الذين رحلوا للأخذ عنه، والسماع منه. ومع ذلك، فأستطيع القول: أن ابن النحاس التجيبي قد ساهم – وإن كانت مساهمة متواضعة – في إثراء الحركة التاريخية في مصر الإسلامية، حتى روى عنه أكابر المؤرخين المسلمين ؛ من أمثال : الخطيب البغدادي، والذهبي، وغيرهما.

---

(1) سير أعلام النبلاء، جـ 33، ص304.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 28، ص 403.

(3) د. أكرم العُمري: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، السعودية: دار طيبة، 1985م، ص 295.

(4) انظر على سبيل المثال: جـ 1، ص 312 – 320، جـ2، ص 148 – 388، جـ3، ص 4 – 249 – 283.

(5) ((تذكرة الحفاظ، جـ 3، ص 117، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ 5، ص 149.

(6) طبقات الشافعية الكبرى، جـ1، ص47ـ 57 – 129 – 171.

(7) بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ 2، ص 278، جـ 3، ص 384 – 385 – 386.

ختام القول: أن التجيبيين قد ساهموا بشكل ملاحظ في تطور علم التاريخ الإسلامي في مصر بجميع فروعه؛ من القصص، والمغازي والسير، والفتن والملاحم .....إلخ . وقد كانوا نواة لكثير من الأخبار التي جمعها المؤرخون الذين جاءوا من بعدهم كالمقريزي، وابن تغري بردي، والسيوطي، وغيرهم. وإن كان من أبرزهم على الإطلاق العلامة الكندي. والذي كان له دور فاعل ومؤثر في تطور حركة التأليف في المدرسة المصرية التاريخية، فكان - بحق - رائدًا في هذا المجال.

المبحث الثالث:
جهود المؤرخين المعافريين
في مصر الإسلامية

أستطيع أن أميز بين ثلاثة أنواع من الروايات التاريخية، التي ظهرت خلال تلك المرحلة، وهي: التاريخ السياسي، وفن القصص، وفن السير. ولا يعني ذلك انفصال المادة العلمية بين الأقسام الثلاثة انفصالاً تامًا كما هو معروف حاليًا. ولكنه يعد بداية لهذا النوع من الكتابات التاريخية التي ظهرت فيما بعد.

هذا، وقد اشتغل المؤرخون المعافريون بهذه الألوان الثلاثة من الكتابة التاريخية. وكان أقدم هذه الألوان في الظهور، هو فن القصص.

أولًا: القصاصون والقصص:

استحدث القصص في صدر الإسلام، وصورة هذا القصص أن يجلس القاص في مسجد، وحوله الناس، فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصًا عن الأمم الأخرى وأساطير ونحو ذلك، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب.

قال الليث بن سعد: هما قصصان؛ قصص العامة وقصص الخاصة. فأما قصص العامة، فهو: الذي يجتمع إليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم، فذك مكروه لمن فعله ولمن سمعه. وأما قصص الخاصة، فهو: الذي جعله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حين ولى رجلاً على القصص، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله ، وحمده ومجَّده، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل بيته ولحشمه ولجنوده، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة[1].

---

(1) ابن حجر: رفع الإصر، ص 167.

ولقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملاً رسميًا، يُعَهد به إلى رجال رسميين، يُعطون عليه أجرًا. ومع هؤلاء القصاصين الذين يقصون على العامة لا العلماء، والذين يروون الأخبار بهدف العبرة والعظة وليس الحقيقة، كان من الصعب فصل التاريخ عن القصة الخرافية والخوارق والملاحم والتنبؤ. ومع تواضع هذه المنابع وقلة قيمتها التاريخية فإن أهم عنصر تاريخي فيها وهو روايات فتح مصر، قد حُفِظ ضمنها[1].

ومن أشهر من اشتغل بهذا اللون من ألوان الكتابة التاريخية من المعافريين:

1. مُوْسَى بنِ وَرْدَانَ المعافري(المتوفى عام: 117هـ/ 735م): أبو عمر المصري القاص، مولى عبد الله ابن سعد بن أبى سرح، مدنى الأصل هاجر إلى مصر وسكنها[2]. روى عن: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبى وقاص، وأبى الدرداء، وأبى سعيد الخدري، وأبى هريرةﷺ، كما روى عن سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، وكعب بن عجرة، وكعب الأحبار، وغيرهم[3]. روى عنه: إبراهيم بن محمد بن أبى عطاء، والحسن بن ثوبان، وحيوة بن شريح، وابنه سعيد بن موسى بن وردان، وعبد الله بن لهيعة، والليث ابن سعد، وآخرون[4]. قال أحمد: «كان يقص بمصر، وهو صالح»[5]. وقال العجلي: «مصري تابعي ثقة»[6]. وقال أبو حاتم: «ليس به بأس»[7]. وقال أبو داود: «ثقة»[8]. قال الدارقطني: «لا بأس به»[9]. روى له البخاري في الأدب المفرد، والنسائي في عمل اليوم والليلة، والباقون سوى مسلم[10].

حفظت لنا المصادر التاريخية رواية واحدة له تتعلق بفتح الإسكندرية، وهي: «حدث شيخ[مجهول] من دمشق، عن موسى بن وردان، قال: خرج نفير إلى الإسكندرية،

---

(1) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص147.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص484، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 88.

(3) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جـ2، ص395، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5، ص 107.

(4) البخاري: التاريخ الكبير، جـ7، ص 297، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ10، ص335.

(5) يحيى بن معين: تاريخ يحيى بن معين، جـ2، ص 338.

(6) العجلى: معرفة الثقات، جـ2، ص 63.

(7) الرازي: الجرح والتعديل، جـ11، ص166.

(8) ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، سوريا، دار الوعي، 1396هـ - 1973م، ص239، الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ4، ص 226.

(9) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ1، ص154، المسلمي: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني، جـ2، ص340.

(10) (ص 383) حديث رقم(612)،النسائي: عمل اليوم والليلة:(ص 352) حديث رقم(508)، كما روى عنه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في[ثلاثة عشر] موضعًا.

فقال [عبد الله بن سعد بن أبي سرح] لإصحابه: هذا يوم الإسكندرية. قال: لا، إنما يوم الإسكندرية إذا رأيت أهل مصر قد خافوا من مسير النوبة إليهم، ورأيت أهل الفسطاط قد ضربوا عليهم الخندق، وجعلوا حرسًا فيما بينهم وبين أرض النوبة. قال موسى بن وردان: وذلك أن صاحب الروم يكتب إلى صاحب النوبة وهو على النصرانية يستفزه، فيعده ذلك ويواعده وقتًا، فيعجل الروم بالخروج إلى الإسكندرية، ويبطئ النوبة عن الخروج، فإذا كان ذلك سار المسلمون إلى الإسكندرية، فيقاتلون بها، فينصرهم الله، ثم يرجعون، ويخرج عليهم النوبة»[1].

ومن الجدير بالذكر، أن موسي كان يعمل بالتجارة، وكانت له دار واسعة بالفسطاط يُخَزِن فيها الفلفل. ذكر المقريزي أن أسامة بن زيد التنوخيّ صاحب خراج مصر، ابتاع من موسى بن وردان فلفلاً بعشرين ألف دينار، كان كتب فيها الوليد بن عبد الملك [48 – 96 هـ/ 668 – 715 م] ليهديه إلى صاحب الروم، فخزّنه فيها، فشكا موسى إلى عمر بن عبد العزيز[61 – 101 هـ/ 781 – 720] حين ولى الخلافة، فأمر أن تُدفع إليه، ثم صارت بعد ذلك دار للشرطة، ثم دارًا للصرف[2].

2. حيي بن هانئ بن ناضر، أبو قُبْيل المعافري المصري(المتوفى عام:128هـ / 746م): نشأ باليمن، وكان صغيرًا يوم مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه [35هـ/ 656م]، ثم قدم إلى مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[3]، وشارك في غزو جزيرة رودس مع جنادة بن أبى أمية، والمغرب مع حسان بن النعمان[4]، ثم استقر بمصر. سمع مجموعة كبيرة من أعلام الصحابة؛ منهم: أبو عثمان الأصبحي، نزيل مصر[5]. والسائب الغِفْاري، صحابي نزل مصر وعاش فيها[6]. وعبيد بن مخمر المعافري، يكنى أبا أمية؛ قال ابن يونس: «له صحبة وشهد فتح مصر»[7]. ومسلمة بن مُخَلد الأنصاري الخزرجي[8]، وغيرهم. ومَن يُمعن النظر في قائمة شيوخ أبي قُبْيل نجدها قد ضمت كثير من الصحابة الذي شاركوا في

---

(1) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ8، ص477.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ2، ص373.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 252 وجـ5، 333، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ8، ص324.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5، ص 214، الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ4، ص340.

(5) ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ3، ص213، ابن حجر: الإصابة، جـ3، ص376، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 82.

(6) ابن حجر: الإصابة، جـ1، ص 417.

(7) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ2، ص 235.

(8) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ 3، ص 92، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 52.

فتح مصر، وكانوا المصدر الأول له في رواية هذه الأحداث.

هذا، وقد حظى أبو قُبْيل بثقة العلماء، قال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة: «ثقة»[1]. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث»[2]، وقال السيوطي: «وكان له علم بالملاحم والفتن»[3]. توفى بالبرلس[4]. روى له البخاري في أفعال العباد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وكان شجاعًا دينًا متواضعًا، يخرج إلى السوق يلي شراء حاجته بنفسه[5].

تتلمذ أبو قبُيْل على يد عبدالله بن عمرو بن العاص، وانفرد بروايات الملاحم والفتن حتى صار رأس المدرسة المصرية في هذا النوع من الكتابة التاريخية، واستمرت مدرسته في مصر - كما يقول الدكتور شاكر مصطفى - من بعده أكثر من قرنين[6]. والمرويات التي نقلها ابن عبد الحكم عنه قد تكون مأخوذة من كتابه المفقود المسمى» فتوح مصر»[7].

3. عَبْد الرَّحْمَنِ بن سَالِمِ بن أبي سَالِمِ الجَيْشَانِيّ المعافري(المتوفى عام: 143هـ / 760م): واسم أبي سالم: سفيانُ بن هانئ بن جبر بن عمرو[8]، قال ابن يونس: روى عن أبيه. روى عنه: الليث بن سعد، وابن لَهِيعة. و ولي القضاء والقصص معًا[9]، وكانت ولايته من جهة حوثرة بن سهيل الباهلي[المتوفى عام:132هـ / 750 م] أمير مصر في المحرم سنة ثمانٍ وعشرين ومائة[745م][10].

قال أبو عُمر الكِنْدي: «لما ملك بنو العباس مصر أَقَره صالح بن علي العباسي[(96 - 151 هـ/ 714 - 768 م]، وأجازه فاستمر إلى أن خرج صالح من مصر في شعبان سنة ثلاث وثلاثين[ومائة] [653 م]، و ولي مصر مكانه أبو عون عبد الملك بن يزيد، فرأى في ديوان الجند خلَلاً، فقيل له: إن عبد الرحمن بن سالم مِنْ أعلم الناس بأمور الديوان، فعزله

---

(1) العجلي: معرفة الثقات، جـ1، ص 28، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 178.

(2) الجرح والتعديل، جـ3، ص 275، د. فتحي عبد الفتاح: تاريخ ابن يونس الصدفي، جـ1، ص 144.

(3) حُسْن المحاضرة، جـ1، ص298.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5، ص 214، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ4، ص 340.

(5) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص 293.

(6) التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص147.

(7) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، الصفحات : (173،158،139،127،102،101،82،74،33،32،1... إلخ).

(8) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 145، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ9، ص204.

(9) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص91، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 260.

(10) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 302.

عن القضاء وجعل إليه الديوان، وأعاد القاضي خير بن نُعيم الحضرمي [المتوفى عام: 137 هـ/ 754 م] في مستهل رمضان. وكانت مدته في القضاء خمس سنين وسبعة أشهر»[1].

ثانيًا: فن السير:

هذا هو النوع الثاني من أنواع الكتابة التاريخية، ويقوم على رواية حوادث حصلت لصاحب السيرة لإبراز شخصيته، أو ناحية من نواحي شخصيته. فسيرة الشخص هنا ليست ترجمة تامة لحياته منذ ولادته إلى وفاته، بل هي رواية شيء من أفعاله أو أقواله أو عن علاقته بمعاصريه دون ترتيب زمني، ولكنها كافية لأن تعطينا صورة صادقة عن هذا الشخص، ولذلك ففن السير يعتبر فرعًا من علم التاريخ[2].

ولقد استأثرت سيرة الرسول ﷺ ومغازيه باهتمام المؤرخين منذ صدر الإسلام. فكانت الكتب التاريخية الأولى تبحث في سيرة النبي ﷺ، وتجمع أخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وأخبار غزوات النبي ﷺ والذين اشتركوا فيها.

ومن أقدم مؤلفي السيرة النبوية، محمد بن إسحاق(المتوفى عام: 151هـ/ 768م): صاحب المغازي والسير، والذي وفد على مصر، وروى فيها سيرته[3]. وأشهر من روى عنه سيرته من المعافريين:

1. زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْبَكَّائِيُّ الْعَامِرِيُّ المعافري(المتوفى عام: 183هـ / 799م): أبو محمد. صاحبَ رواية السيرة النبوية عن ابن إسحاق، وهو أتقن من روى عنه السيرة. كما روى أيضًا عن: حصين بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وعبد الملك بن عمير، ومنصور بن المعتمر، والأعمش، وعاصم الأحوال، وغيرهم[4]. روى عنه: أحمد بن حنبل، وعبد الملك بن هشام السدوسي، وزياد بن أيوب، وعمرو بن علي الصيرفي، والحسن بن عرفة، وآخرون[5].

أختلف العلماء في الحكم على زياد البكائي بين موثق ومجرح. قال الإمام أحمد:

---

(1) الكندي: ولاة مصر، ص 26، وكيع بن الجراح: أخبار القضاة، جـ1، ص 331.

(2) د. هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص 180.

(3) يوسف هوروڤتس : المغازي الأولى ومؤلفوها، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010م، ص 76 وما بعدها.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص162، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 5.

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 360، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 177.

«ليس به بأس»[1]. وقال عبد الله بن إدريس: «ما أحد في ابن إسحاق أثبت من زياد البكائي، لأنه أملى عليه السيرة مرتين»[2]. وقال يحيى بن معين: «ثقة في ابن إسحاق، وأما في غيره فلا»[3]. وقال صالح جزرة: «هو في نفسه ضعيف، لكنه من أثبت الناس في هذا الكتاب[يعني المغازي]، وذاك أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق»[4]. وقال علي بن المديني: «لا أدري عن زياد بن عبد الله شيئًا»[5].

ومن الجدير بالذكر، أن زياد البكائي قدم بغداد فالتف طلاب العلم حوله لأخذ السيرة عنه[6]. غير أنه لم يمكث بها طويلًا ثم عاد إلى الكوفة وظل بها حتى توفي.

صفوة القول، أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، وأنه كان ثقة في روايته للسيرة النبوية؛ التي أخذها عن شيخه محمد بن إسحاق، وأن الطعون التي وجهت إليه كانت في باب الحديث وليس في باب السيرة. ومع ذلك فقد حفظت لنا كتب الحديث مجموعة من مروياته الحديثية[7].

2. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(المتوفى عام: 213 هـ/ 828 م): لم تذكر المصادر التاريخية المتوفرة لدينا تاريخ مولد ابن هشام على وجه الدقة، وإن أكد لنا صاحب « الأعلام» أنه ولد بالبصرة ونشأ فيها[8]، ثم قدم مصر، وحدث بها، وتوفي فيها[9]. وقد اختلفت الروايات التاريخية أيضًا في سنة وفاته، ففريق يقول: كانت وفاته سنة[213 هـ/ 828م][10]، وهذا هو الرأي الراجح، وفريق آخر يقول: إن وفاته كانت سنة [218هـ/ 833م][11].

نشأ ابن هشام – إذن – بالبصرة، وأخذ العلم بداية عن علمائها آنذاك، ثم ارتحل

(1) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 204.

(2) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص 537.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ1، ص 382، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 321.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ4، ص81.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 5، ابن حجر: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، جـ1، ص 401.

(6) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ4، ص 81، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص162.

(7) الدارقطني: السنن:(3 / 44) حديث رقم(951)، (5 / 114) حديث رقم(1904)، أحمد بن حنبل: المسند:(13 / 244) حديث رقم(15169)، (22 / 256) حديث رقم(21890)،(27 / 97) حديث رقم(26414).

(8) الزركلي: الأعلام، جـ4، ص166.

(9) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ6، ص 261.

(10) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 10، ص308.

(11) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ – 1997م، جـ1،ص 168.

إلى مصر ليكمل علومه هناك، ومن هنا حصر الرواة حياة ابن هشام في هذين البلدين. والواقع أن ابن هشام تنقل في بلدان كثيرة فلم تكن حياته محصورة كذلك، وخاصة في عصر كان العلم فيه يُؤخذ سماعًا من العلماء، وكانت الرحلات العلمية ديدن العلماء.

كان ابن هشام عالمًا بالأنساب واللغة وأخبار العرب[1]، كما كان إمامًا في النحو واللغة العربية، وهذا مما حكاه الإمام الذهبي عنه[2]. ومن الجدير بالذكر، أنه حين قدم مصر التقى بالإمام الشافعي وتناشدا الأشعار كثيرًا [3]. وهذا من غرائب ابن هشام، لأنه عندما كان ينقل عن ابن إسحاق الشعر، وكان بعضه ظاهر الفساد، فكان لا يستطيع أن يقطع فيه برأي، ويقول: «هكذا حدثنا أهل العلم بالشعر». أضف إلى ذلك أن ابن هشام لما هذب سيرة ابن إسحاق خفف كثيرًا من أشعارها[4].

قال المُزَني[إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل(175 - 264 هـ/ 791 - 878 م)]: قدم علينا الشافعي وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب «المغازي»، وكان علامة أهل مصر بالعربية والشعر، فقيل له في المسير إلى الشافعي، فتثاقل، ثم ذهب إليه. فقال: ما ظننت أن الله يخلق مثل الشافعي»[5]. ويقول عنه ابن خلكان: « وهو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها، وشرحها السهيلي، وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام»[6].

ولابن هشام العديد من الآثار في كثير من الفنون، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر[7]:

1 - « السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق.

2 - « القصائد الحميرية» في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية.

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، جـ3، ص 313، السيوطي: بغية الوعاة، جـ2، ص115.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ15، ص 281، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ10، ص 428.

(3) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص531.

(4) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص165 .

(5) العيني: مغاني الأخيار، جـ3، ص 298.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ3، ص177.

(7) كحالة: معجم المؤلفين، جـ6، ص 192، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تركيا، وكالة المعارف، 1955م، جـ1، ص 330، يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، العراق، منشورات مكتبة آية الله العظمى، 1928م، جـ1، ص 276.

3 - «التيجان لمعرفة ملوك الزمان» رواها عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه[1].

4 - «شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب».

إلى غير ذلك من الكتب الأخرى في فنون متنوعة من أبواب العلم.

أما عن كِتاب السيرة النبوية وهي موضوع حديثنا، فإنني أستطيع القول: إن ابن هشام قد لخص ونقح السيرة النبوية لابن إسحاق، حتى طغت شهرته على شهرة المؤلف الأصلي، وقد شغل كتابه فكر المسلمين على مدى عقود طويلة حتى عصرنا الحالي.

وعن منهج ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق، فيقول عن نفسه: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومَنْ ولدَ رسول الله ﷺ مِن ولدِه، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببًا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارًا ذكرها لم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يَشْنُع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكرُه، وبعضٌ لم يقرّ لنا البَكّائيُّ بروايته، ومستقصٍ - إن شاء الله تعالى - ما سِوىَ ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به»[2].

وعلى ذلك، فإن ابن هشام قد استبعد من كتاب ابن إسحاق تاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، وغير هذا من ولد إسماعيل، ممن ليسوا في العمود النبوي، كما حذف

---

(1) طُبع في حيدر آباد، سنة 1347هـ/ 1928م.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ1، ص 1. وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات، منها: 1 - في سنة (1859 م/ 1276هـ) بعناية وستنفلد في ثلاثة أجزاء. 2 - في ليبسيك سنة (1900م/ 1318هـ) في ثلاثة أجزاء. 3 - في المطبعة الخيرية بمصر سنة (1329هـ/ 1911م)، في ثلاثة أجزاء، وعليها تعليقات وجيزة للشيخ محمد الطهطاوي. 4 - في بولاق سنة (1295هـ/ 1810م) في جزئين. 5 - في مصر [بدون تاريخ]، نشر مكتبة الجمهورية، بعناية الشيخ محمد خليل هراس، في أربع مجلدات. 6 - في مصر نشر دار إحياء التراث، بتحقيق الأستاذين مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، في أربع مجلدات. 7ـ في بيروت نشر دار الكتاب العربي، بتحقيق د. عبد السلام تدمري في أربع مجلدات. 8 - في الأردن سنة(1409هـ/ 1988م) نشر مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، بتحقيق الدكتور همام بن عبد الرحيم سعيد، والأستاذ محمد بن عبد الله أبو صعيليك. 9 - في مصر سنة (1416هـ/ 1995م) نشر دار الحديث، بتحقيق جمال ثابت، ومحمد محمود، وسيد إبراهيم، في مجلدين.

من الأخبار ما يسوء، ومن الشعر ما لم يثبت لديه، ثم استقصى وزاد بها يملك من علم، ويسترشد من فكرة، فجاءت السيرة على ما بين أيدينا معروفة به، منسوبة إليه، حتى يكاد الناس ينسون معه ابن إسحاق المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب.

ومع كل هذا المجهود الضخم الذي بذله ابن هشام في كتابه، فإنه لم يسلم من النقد، يقول الدكتور حسين مؤنس : «... ومن سوء الحظ أنه [ابن هشام] عندما تناول سيرة ابن إسحاق وأعاد كتابتها تصرف فيها على هواه، فشطب، وأضاف، واختصر، وأتانا بسيرة أخرى، وهذا أمر يؤسف له حقًا ... إما ابن هشام فقد روى بحسب مزاجه وما رأى، وهذه نقطة ضعف كبيرة.... والحقيقة هي أن سيرة ابن هشام - كما صنعها من سيرة ابن إسحاق - تحتاج ممن يستعملها إلى التأني والتفكير؛ لأننا لا نطمئن إلى ما يرويه علينا، وسيرة رسول الله ﷺ أعز علينا من أن نعتمد في أصولها على ما كتبه رجل كان يتصرف على هواه»[1].

وأرى أن في هذا القول مغالاة من فضيلة الدكتور حسين مؤنس - رحمه الله تعالى - وتحاملاً شديدًا على ابن هشام، خاصة وأنا الأخير كان صادقًا مع قرائه فوضح لهم المنهج الذي سوف يسير عليه في كتابه. يضاف إلى ذلك، أن ابن هشام قد حاول في كتابه تجنب الطعون التي وجهت إلى ابن إسحاق نفسه[2]، وذلك كي تسلم السيرة النبوية من القدح الذي قد يوجه إليها عن طريق ابن إسحاق. وأخيرًا، إن علماء الأمة سلفًا وخلفًا قد تلقوا هذا العمل بالقبول والثناء عليه.

ومما يثبت صحة ما ذهبتُ إليه، أن كِتاب السيرة النبوية لابن هشام قد شغل الفكر الإسلامي منذ تأليفه حتى الآن. فلم يخلو عصر من العصور إلا وقد كتبَ أحد العلماء كتابًا حوله إما بشرح أو بتهذيب[3].

صفوة القول، أن المؤرخين المعافريين هم الرواة الحقيقيون للسيرة النبوية، فقد حفظوها لنا من الضياع، وحملوا لوائها لأجيال طويلة بدأ من زياد البكائي، وانتهاءً بابن هشام، وكل من أتى بعدهم فهم عيال عليهم، فلم يقدم لنا أحدٌ بعدهم أي جديدٍ في مجال تدوين السيرة النبوية.

---

(1) د. حسين مؤنس: تنقية أصول التاريخ الإسلامي، القاهرة، دار الرشاد،2005م، ص 25 - 27.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ1، ص 102، د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، القاهرة، دار السلام للطباعة، 1428هـ - 2007م، ص 32.

(3) حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ1، ص1012.

ثالثًا: التاريخ السياسي:

أما النوع الثالث من أنواع الكتابة التاريخية، فهو ما نستطيع أن نطلق عليه « التاريخ السياسي»، وإن كان علم التاريخ خلال هذه المرحلة لا يخلو من خيال وأساطير في وصف عجائب مصر وأخبار أهلها في عصور ما قبل الفتح الإسلامي لها. ولذلك يجد الناظر في المصادر العربية لتاريخ مصر، والتي تناولت ما قبل الفتح وما بعده؛ صنفين من الأخبار قد يمتزجان، ولكن يختلف أحدهما عن الأخر في الطبيعة والمنهج.

الأول: يدخل في باب العجائب والأساطير، ومعظمه حكايات عن أحوال مصر وأخبار ملوكها وأهلها في أزمنة ما قبل الفتح الإسلامي.

الثاني: أحداث ووقائع ومشاهدات، وأكثرها يتناول تاريخ مصر منذ دخول العرب الفاتحين[1].

وقد عالج المؤرخون المعافريون هذا اللون من ألوان الكتابة التاريخية، يأتي في مقدمتهم:

1. عَبْدُ اللهَّ بْنُ يَزِيدَ الْمَعَافِرِيّ، أبو عبد الرحمن الحُبْلى:(المتوفى عام: 100هـ / 718م): أحد التابعَين، مصري النشأة، عاصر وسمع جمع كبير من أصحاب النبي ﷺ، ومنهم: أبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، المؤسس الحقيقي للمدرسة المصرية التاريخية، وعقبة بن عمار الجهني رضي الله عنهم، و غيرهم[2].

شارك عبد الله في حركة الفتوحات الإسلامية، فشهد فتح بلاد الأندلس مع القائد موسى بن نصير[(19 – 97 هـ/ 640 – 715 م]، ثم سكن القيروان، وبنى بها دارًا ومسجدًا وكُتَّابًا في ناحية باب تونس. وقد قامت على يديه الحركة العلمية الأولى في هذه المدينة. كما كان لجهوده أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، وانتفع به كثير من أهل هذه البلاد في التفقه في الدين. وكان له طريقة خاصة في الوعظ، وذلك بضرب الأمثال التي تقرب المعاني إلى الأذهان وتضفي صورة مجسمة محسوسة لها، وكان لهذه الطريقة أثرها القوي في التأثير مما يؤدي إلى تحقيق الهدف الذي يسعى إليه[3].

---

(1) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص 176.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 6، ص 534، الزركلي: الأعلام، جـ4، ص 146.

(3) المقري: نفح الطيب، جـ3، ص 9، د. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار المنار، 1988م، ص 192.

إلى جانب هذه المقومات العلمية، حظى عبد الله المعافري بثقة المحدثين والمؤرخين. فقد وثقه إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين[1]، وقال ابن يونس: «كان رجلًا صالحًا فاضلاً»[2]، كما وثقه ابن حبان[3]، وروى له أصحاب السنن[4]. كل هذه المؤهلات العلمية جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من مختلف آفاق العالم الإسلامي للأخذ عنه، ومنهم: يزيد بن عمرو، وأبو هانئ الخولاني، وعامر بن يحيى المعافري، وغيرهم[5]. توفي رحمه الله تعالى بعد هذه الجهود العسكرية والعلمية بالقيروان، ودفن باب تونس[6].

وإذا كان أبو عبد الرحمن هذا من التابعين، فإنا ندخل معه في طبقة واسعة منهم، بعضهم عاصره وبعض من الجيل اللاحق. وقد شكلوا جمهورًا واسعًا من رواة التاريخ والمتحدثين به إلى الناس، بجانب الحديث النبوي. فأخبار السيرة و الفتح لم تكن لتنفصل في تلك الفترة، عن الاهتمامات الدينية إن لم تكن جزءًا منها[7]. وتتبع الأخبار يكشف لنا مجموعة من التابعين المعافريين الذين حملوا الرواية التاريخية، وكانوا جمهور التاريخ، ومن هؤلاء:

2. عامر بن يحيى، أبو خُنيس المعافري:(توفى قبل سنة: 120هـ/ 728م): أخذ عن جمع من الصحابة والتابعين، منهم: حنش الصنعاني، وأوس بن بشر المعافري[8]، وعبد الله بن عمر، وفَضالَة بين عُبَيْد، وأبي عبد الرحمن الحُبْلي، وغيرهم[9]. وعنه أخذ سادات التابعين، من أمثال: عمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وبكير بن الأشج، وعمرو بن الحارث، وأبو شجاع سعيد بن يزيد المصري، وآخرون[10]. وثقة أبو داود وغيره[11]، وروى له أصحاب السنن[12].

---

(1) البخاري: التاريخ الكبير، جـ5، ص 226، ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 548.

(2) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص150، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 290.

(3) الثقات، جـ7، ص 10.

(4) الطبراني: المعجم الأوسط:(11 / 39) حديث رقم(4979)، ابن حبان: الصحيح:(14 / 307) حديث رقم(3472)، ابن حجر: المطالب العالية:(10 / 68) حديث رقم(3522).

(5) العيني: مغاني الأخيار، جـ3، ص 176.

(6) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 78.

(7) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ2، ص15.

(8) ابن حجر: الإصابة، جـ1، ص 88.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص 390، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص268.

(10) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ1، ص 464، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 255.

(11) الرازي: الجرح والتعديل، جـ6، ص 329، جـ3، ص 291.

(12) صحيح مسلم:(8 / 272) حديث رقم(2981)، المعجم الكبير للطبراني:(13/ 252) حديث رقم(15209)،(20 / 122) حديث رقم(1490)، المعجم الأوسط للطبراني:(10 / 438) حديث رقم(4881)، (14 / 238) حديث رقم(6660)،(20 /

3. رَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ بن ماتع المُعَافِرِيِّ الإسكندراني(المتوفى عام:120هـ/ 728م):
روى عن بشر بن سعيد بن زبيد المعافري، وتبيع الحميري، وشفى بن ماتع الأصبح، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبى عبد الرحمن الحبلى، وعياض بن عقبة الفهري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، ومكحول الدمشقي، وغيرهم[1]. روى عنه: بكر بن مضر، وجعفر بن ربيعة، وحيوة بن شريح، وخُنيس بن عامر المعافري، وسعيد بن أبى أيوب، وسعيد بن أبى هلال، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، والليث بن سعد، والمفضل بن فضالة، وآخرون[2]. قال البخاري: «عنده مناكير»[3]. وقال النسائي: «ليس به بأس»[4]. وقال الدارقطني: «مصري صالح»[5]. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: «كان يخطئ كثيرًا»[6]. قال ابن يونس: «رأيت اسمه في ديوان المعافر بمصر في بني صَنَم، وفي حديثه مناكير»[7]. روى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأبو جعفر الطحاوي[8]. وله رواية تاريخية واحدة تتعلق بفتح جزيرة رُودِس، قال: كنا بـ» رُودِس»، فقتل رجل [قتله العدو]، وتوفي رجل. فَحُمِلا إلى قبريهما، فمال الناس إلى المقتول، فقال فَضالة بن عُبيد - صاحب النبي ﷺ: «والله، ما كنتُ أبالي من أي حُفْرَتَيْهِمَا بُعِثْتُ[9]، ثم تلا : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[10].

وإن لم تحفظ لنا المصادر التاريخية إلا القليل من مرويات هؤلاء الأعلام، ولكنها حفظت لنا كثير من مرويات تلامذتهم من أمثال الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة واللذين

---

208) حديث رقم(11416)، مسند أحمد بن حنبل:(3 / 116) حديث رقم (2414)، مشكل الآثار للطحاوي:(7 / 223) حديث رقم(2711)، (13 / 318) حديث رقم(5324)، (13 / 352) حديث رقم(5355).

(1) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص267.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ3، ص 221.

(3) البخاري: التاريخ الصغير، جـ1، ص 337، وكتابه: التاريخ الكبير، جـ3، ص 290.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص 477.

(5) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 203.

(6) جـ6، ص 301.

(7) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 559.

(8) سنن أبي داود:(8 / 389) حديث رقم(2716)، سنن الترمذي:(4 / 242) حديث رقم(994)، سنن النسائي:(6 / 434) حديث رقم(1857)، مشكل الآثار للطحاوي:(1 / 283) حديث رقم(236)، (1 / 284) حديث رقم(237)،(1 / 285) حديث رقم(238)،(2 / 462) حديث رقم(812)، (2 / 463) حديث رقم(813).

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ7، ص 360.

(10) سورة الحج: آيه 58 - 59.

كانا عماد المدرسة المصرية التاريخية.

4. واهب بن عبد الله المعافري، أبو عبد الله الكعبي المصري(المتوفى عام: 137هـ/ 754م): روى عن جمع من الصحابة، من أمثال: عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وابن عمر، وحسان بن كريب رضي الله عنهما، وغيرهم[1]. سمع منه كثير من أهل العلم، ومن أشهرهم: عبد الرحمن بن شريح، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وضمام بن إسماعيل، ورجاء ابن أبي عطاء المؤذن، وغيرهم[2]. كان واهب ثقة عند المحدثين[3]، عالي السند، وقد خرَّج له البخاري في الأدب المفرد[4]. قال ابن يونس: توفي ببرقة[5].

المرويات التاريخية :

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية روايات عديدة عن واهب المعافري معظمها من طريق تلميذه عبد الله بن لهيعة. أحد هذه الأخبار يتعلق بالصحابي مسلمة بن مخلد، والباقي يتعلق بنيل مصر، وهذه الروايات كالتالي:

أ - عن واهب بن عبد الله المعافري، قال: قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار على مسلمة بن مخلد « فألفاه نائمًا، فقال: أيقظوه، فقالوا: بل تنزل حتى يستيقظ، قال: لست فاعلًا، فأيقظوا مسلمة «، فخرج مسلمة، فقال: انزل، فقال: لا، حتى ترسل إلى عقبة بن عامر، فأرسل إليه، فأتاه، فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وجد مسلمًا على عورة فسترها فكأنما أحيا موءودةً من قبرها» ؟، قال عقبة: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[6].

ب - قال ابن لهيعة: حدثنا واهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بالمشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 8،ص559.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ6، ص147.

(3) ابن حبان: الثقات، جـ5، ص 489، وكتابه: مشاهير علماء الأمصار، ص 196.

(4) (ص121) حديث رقم(1119).

(5) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 271، ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 501.

(6) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 275، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 202؛ ونهاية الخبر: « فقال عقبة: أخبرنا أبو حماد، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. ولم يسم يحيى بن أيوب الرجل».

عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره [1].

ت – قال ابن لهيعة: حدثنا واهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[2] قال: «كانت الجنان بحافتي هذا النيل، من أوله إلى آخره في الشقين جميعا من أسوان إلى رشيد، وكان له سبعة خلج: خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى وخليج سخا، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، ويزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا»[3].

5. ضمام بن إسماعيل، أبو إسماعيل المعافري(97 – 185هـ/ 715 – 801 م): ولد بقرية أُشْمون من صعيد مصر[4]، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، وحُبب إليه علم الحديث، فسمع من أقطاب المحدثين في زمانه، من أمثال: أبي قُبيل حيي بن هانئ، وموسى بن وردان، وخير بن نُعيم، ويزيد بن أبي حبيب، وجماعة[5].

نشأ ضمام نشأة إسلامية صحيحة، فقد عُرف منذ شبابه بالعبادة والطاعة، ولزوم الصلاة في أول وقتها في المسجد، فأحبه شيخه أبو قُبيل المعافري حُبًا جمًا فزوجه بابنته، وقد كان زواجًا مباركًا رُزق ضمام منها الولد، وورث علم أبيها. ومن مناقبه أن فاتته الصلاة في جماعة، فألزم نفسه أن لا يخرج من المسجد – إلا لحاجة إنسان – حتى تخرج جنازته. فمات رحمه الله في المسجد[6].

هكذا كانت حياة ضمام علم وعمل، بل قل عمل بعلم، مما أكسبه ثقات العلماء عامة، وعلماء الجرح والتعديل خاصة، قال أبو حاتم: «كان صدوقًا متعبدًا، له حديث في كتاب الأدب للبخاري»[7]. وقال أحمد بن حنبل: «صالح الحديث»[8]. وقال ابن معين:

---

(1) السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ2، ص340.

(2) سورة الشعراء، آية 57 – 58.

(3) حُسْن المحاضرة، جـ2، ص 346.

(4) ياقوت: معجم البلدان، جـ1، ص133.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص 192، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص280.

(6) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص 300، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ5، ص 261.

(7) الجرح والتعديل، جـ6، ص 469.

(8) ابن حبان: الثقات، جـ6، ص 485.

«ضمام مثل أبي قُبَيل، لا بأس به»[1]. قال الذهبي: «ضمام صادق، حسن الحديث»[2]. وقال عبد الرحمن بن أبي الغُمْر: «كان ضمام لا يقدر أن يمشي[أي في هِرمه]، وإذا أراد هُدي بني رجلين حتى يقوم. فإذا اعتدل قائمًا لم يبال ما قام في طول صلاته»[3]. وقد روى له أصحاب السُنَّن[4].

كل هذه الصفات جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه، والانتفاع بسمته قبل علمه، فروى عنه: سعيد بن أبي مريم، وقتيبة بن سعيد، ونُعيم بن حماد، وسويد بن سعيد، ويحيى بن بكير، وأبو شريك يحيى بن يزيد المرادي[5]، ومُحمَّد بن أحمد بن ثامل الكندي[6][المتوفى عام:127هـ/ 744م]، ومرة بن عبد الواحد الكلاعي[7] [المتوفى عام: 230 هـ/ 844م] وآخرون. قال ابن يونس: مات بالإسكندرية[8].

المرويات التاريخية:

وكما حفظت لنا كتب السُّنة الصحيحة كثيرٌ من مرويات ضمام الحديثية، فقد حفظت لنا أيضًا مصادرنا التاريخية مجموعة لا بأس بها من مروياته التاريخية، والتي يمكن تقسيمها إلى خمسة مجموعات، وهي كالتالي:

1. أخبار الرسول ﷺ: «عن ضمام بن إسماعيل، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها ولقنوها موتاكم»[9].

---

(1) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، جـ5، ص 104.

(2) الذهبي: العبر في خبر مَنْ غبر، جـ1، ص 54.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ5، ص 334.

(4) الأدب المفرد للبخاري:(ص 383) حديث رقم(612)، المعجم الكبير للطبراني:(14 / 322) حديث حديث رقم(16292)، (17/ 343) حديث رقم(19744)، (19/ 113) حديث رقم(256)، المعجم الأوسط للطبراني:(1/ 228) حديث رقم(229)،(12/ 48) حديث رقم(5470)، (15 / 437) حديث رقم(7361) .

(5) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 211، العيني: مغاني الأخيار، جـ5، ص 478.

(6) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، جـ1، ص 156.

(7) ابن الجوزي: المنتظم، جـ3، ص 354.

(8) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 244.

(9) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ1، ص 499، ثم قال معلقًا على هذا الخبر: «ليس هذا الحديث من هذا الوجه في شيء من الكتب السُّنَّة». لذلك أوردته في الأخبار، الرافعي: التدوين في أخبار قزوين، جـ2، ص20، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ1، ص 30.

2. أخبار الصحابة:

أ - « قال ضمام بن إسماعيل: عن أبي قُبْيل[المعافري]، قال: عبد الله بن سلام: كفوا عن هذا الشيخ لا تقتلوه يعني عثمان[بن عفان] رضي الله عنه فإنما بقي من أجله اليسير، فأقسم بالله لئن قتلتموه، ليسلن الله تعالى سيفه ثم لا يغمده إلى يوم القيامة»[1].

ب - «قال ضمام بن إسماعيل المعافري: عن أبي شريح المعافري، قال: قلت: لابن عمر رضي الله عنه، أو قالوا له: ألا ترى ما يصنع هؤلاء القوم [الخوارج] عملوا بخلاف السُّنَّة، أفلا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. قال: بلى، قالوا: فإنما نخاف عليك ولكنا نقوم معك. قال: فقوموا على بركة الله، قالوا: إنا نخاف وكلنا نحمل السلاح، قال: أما هذا فلا»[2].

ت - « قال ضمام بن إسماعيل: سمعتُ أبا قُبْيل يذكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: تكون بالشام فتنة ترتفع فيها رشاها هو وأشرافها، ثم يكثر سفهاؤهم وسفلتهم فيها حتى يستعبدون رؤساءهم كما كانوا يستعبدونهم قبل ذلك»[3].

ث - « قال ضمام بن إسماعيل: عن أبي قُبْيل، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ما زلنا نسمع زُرْ غبًا تزدد حُبًا حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك»[4].

ج - « عن ضمام بن إسماعيل، عن أبي قُبْيل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان بالإسكندرية، فقيل: تراءت مراكب، ففزع الناس. فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: اسرجوا، ثم قال: من أي ناحية تراءت ؟ قالوا: من ناحية المنارة، فقال: حلوا إنما نخاف عليها من ناحية المغرب»[5].

3. أخبار الدولة الأموية:

أ - « عن ضمام بن إسماعيل، أنه روى عن أبي قُبْيل[المعافري]، أن معاوية [بن أبي سفيان][41 - 60هـ/ 661 - 680 م] صعد المنبر يوم جمعة، فقال في خطبته: أيها الناس إن المال مالنا، والفيء فيؤنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا، فلم يجبه أحد. فلما

---

(1) نُعيم بن حماد: كتاب الفتن، القاهرة، مكتبة التوحيد، 1412 هـ - 1991م، ص 92.

(2) نُعيم بن حماد: كتاب الفتن، ص 92 .

(3) نُعيم بن حماد: كتاب الفتن، ص 138.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ12، ص 193.

(5) نُعيم بن حماد: كتاب الفتن، ص 311.

كان في الجمعة الثانية، قال كذلك فلم يجبه أحد. فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك، فقام إليه رجل فقال: كلا يا معاوية، ألا إن المال مالنا، والفيء فيؤنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا. فنزل معاوية، وأرسل إلى الرجل، فأدخل عليه، فقال القوم: هلك الرجل، ثم فتح معاوية الأبواب، فدخل عليه الناس، فوجدوا الرجل معه على السرير[العرش]! فقال معاوية: أيها الناس إن هذا الرجل أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة »، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد شيئًا، فخشيت أن كون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد علي أحد شيئًا، فقلت في نفسي أنت من القوم، فتكلمت في الجمعة الثالثة، فقام إلي هذا الرجل، فرد علي فأحياني، أحياه الله، فرجوت أن يخرجني الله منهم. ثم أعطاه وأجازه»[1].

ب - «روى ضمام بن إسماعيل، عن أبي قُبْيل، أن عبد الملك بن مروان [65 - 86 هـ/ 685 - 705 م] جاءه مخبر يخبره أنه ولد له غلام، وإن أمه سمته هشامًا، فقال: هشمها الله في النار»[2].

ت - «روى ضمام بن إسماعيل، عن أبي قُبْيل: أن عمر بن عبد العزيز[99 - 101 هـ/ 717 - 720م] بكى وهو غلام صغير، فأرسلت إليه أمه، وقالت: ما يبكيك ؟ قال: ذكرتُ الموت، قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن[الكريم]، فبكت أمه حين بلغها ذلك»[3].

ث - «روى ضمام بن إسماعيل، عن عمارة بن غزية، قال: لما أولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة الغالية»[4].

ج - « قال ضمام[بن إسماعيل]: لما بلغ أبا قُبْيل[المعافري] موت هشام[بن عبد الملك][105 - 125 هـ/ 724 - 724م]، وضع يده على خده حزينًا وفرح الناس. فقيل له: قد تباشر الناس وأنت حزين. قال: أوشك أن يتمنوا حياته»[5].

(1) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ2، ص 101.

(2) نُعيم بن حماد: كتاب الفتن، ص 74.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5، ص 116، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ9، ص217.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، جـ1، ص 128.

(5) الكندي: ولاة مصر، ص105.

4. أخبار مصر:

أ – « قال ضمام[بن إسماعيل]: أن عمر بن عبد العزيز، قال: دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح، أوليه صلاتها! فقيل له: بها رجلان: معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وأيوب بن شرحبيل. قال: أي الرجلين أقصد؟ قالوا: أيوب. قال: فهذا أريد. فكتب إلى أيوب بن شرحبيل بولايته، وأمر البريد يكتم ذلك، وأن تكون موافاته يوم الجمعة. فلما قدم الرسول، ودفع إليه الكتاب، راح كما كان يروح، فركع قريبًا من المنبر، وابن رفاعة يومئذ أمير الجند. فلما أذّن المؤذّن صعد أيوب المنبر، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة، وانصرفوا. وأقبل ابن رفاعة رائحًا، وكان يروح ماشيًا، وأخوه بين يديه على شرطه. فلقي أخوه أوائل المنصرفين، فقال: مَهْ. فقيل له: صلىّ بالناس أيوب بن شرحبيل. فوقف حتى أدركه أخوه فأعلمه فقال: إنهم فيه، امضِ كما أنت. فدخل المسجد فصلى ثم مال إلى مجلس قيس. فلما صلى العصر دخل أيوب، فهنّأه ثم انصرف»[1].

ب – « قال ضمام بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي حبيب: ما أدركت من قضاة مصر أفقه من خير بن نُعيم»[2].

ت – « قال ضمام بن إسماعيل: لما كثرت المسائل على يزيد بن أبي حبيب لزم بيته»[3].

5. أخبار الملاحم والفتن:

« قال ضمام بن إسماعيل: عن أبي قُبْيل، قال: إني على الإسكندرية من أربعين مركبًا مسلمين وليسوا بمسلمين، تأتي على آخر الصيف، أخوف مني عليها من الروم. قال ابن أبي الخطاب: وحدثني ابن حَيْوة قال: لما ذكر ضمام هذه الأربعين مركبًا، وطال اعتناؤه بها وذكره إياها، قلت له: يا أبا إسماعيل، ما هذه الأربعون مركبًا في هذا الخلق، لو كانت نيرانًا تضطرم؟ فقال: اسكت، ويلك! منها وممن يكون فيها يكون خراب سكندرية[هكذا] وما حولها»[4].

وهكذا يتضح لنا تعدد المرويات التاريخية عند ضمام بن إسماعيل المعافري، حيث لم تقتصر روايته على نوع واحد، بل غطت مساحة كبيرة من أحداث التاريخ الإسلامي،

---

(1) الكندي: ولاة مصر، ص88.

(2) المزي: تهذيب الكمال جـ8، ص373.

(3) الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ1، ص130.

(4) الكندي: ولاة مصر، ص188ـ 189.

وقد جاء معظمها من طريق شيخه أبي قُبْيل المعافري، والتي وصلتنا عن طريق تلامذته المصريين. فهل نستطيع القول، أن الرواية التاريخية قد أخذت منحًا جديدًا علي يد ضمام المعافري؟!.

6. عَلِيُّ بنُ الحَسَنِ بنِ خَلَفِ بنِ قُدَيْدٍ، أَبُو القَاسِمِ المِصْرِيُّ(229ـ 312هـ/ 844 – 924 م): الإمام، المحدث، الثقة المسند. سمع محمد بن رمح، وحرملة بن يحيى، وطبقتهما[1]. حدث عنه: أبو سعيد بن يونس المؤرخ المصري، وأبو بكر بن المقرئ، وابن عدي، وخلق كثير من الرحالة، على قول الإمام الذهبي[2].

كان ابن قُدَيد من أعلام المدرسة المصرية التاريخية[3]، له مصنفٌ في « تاريخ مصر »[4] للأسف لم يصلنا، ولكن وصلت إلينا مقتطفات منه في بعض المصادر التاريخية الأخرى. توفى وله ثلاث وثمانون سنة[5]، ودفن بمقابر المعافر بجبل المقطم[6].

المرويات التاريخية:

تنوعت الروايات التاريخية عند ابن قُدَيْدٍ فمنها ما يتعلق بتاريخ مصر القديم، وبعضها يتعلق بدخول بعض القبائل العربية في الإسلام، والكثير منها يدور حول التاريخ المصري، بداية من الأخبار المتعلقة بنهر النيل، و الفتح الإسلامي لمصر على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأخبار بعض الولاة والقضاة المصريين، وأخيرًا أخبار تتعلق بعلم الرجال من حيث التعديل والتجريح. وهذه الروايات هي كالتالي:

1. تاريخ مصر القديم:

قال القاضي الجليل أبو عبد اللّه محمد بن سلامة القضاعي: «روي عليّ بن الحسن بن خلف بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن عليّ بن صخر التميميّ، قال: حدّثني رجل من عجم مصر من قرية من قراها تدعى قفط، وكان عالمًا بأمور مصر وأحوالها وطالبًا لكتبها القديمة ومعادنها، قال: وجدنا في كتبنا القديمة، قال: وأما الأهرام

---

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ3، ص 787، وكتابه: العبر في خبر مَن غبر، جـ1، ص 116.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ23، ص 439.

(3) الكندي: فضائل مصر المحروسة، ص5، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 122.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص 22.

(5) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ 2، ص 265.

(6) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص295.

فإن قومًا احتفروا قبرًا في دير أبي هرميس، فوجدوا فيه ميتًا في أكفانه، وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق، فرأوا كتابًا لا يعرفونه، وكان الكتاب بالقبطية الأولى، فطلبوا من يقرأه لهم، فلم يقدروا عليه، فقيل لهم: إن بدير القلمون من أرض الفيوم راهبًا يقرأه، فخرجوا إليه، وقد ظنوا أنه في الضيعة، فقرأه لهم »[1].

2. نهر النيل:

أ – « قال أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله [بن عبد الحكم]، قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: حدثنا الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة، قالا: حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي جنادة الكتاني أنه سمع كعبًا، يقول: النيل في الآخرة عسل، أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل، ودجلة في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله، وجيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله»[2].

ب – «قال أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة»[3].

ت – «قال أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا الليث[بن سعد]، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة، وصفها الله عز وجل في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة»[4].

3. دخول قبيلة الصداء في الإسلام:

« قال علي بن الحسن بن خلف، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم، حدثنا

(1) المقريزي: الخطط، جـ1، ص 146.

(2) ابن العديم: بغية الطلب، جـ1، ص 102.

(3) ابن العديم: بغية الطلب، جـ1، ص 105.

(4) ابن العديم: بغية الطلب، جـ1، ص 107.

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، حدثنا زياد بن نعيم، قال: سمعت زياد بن الحارث الصدائي، قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فأخبرت أنه قد بعث جيشًا إلى قومي فقلت يا رسول الله: اردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. قال: اذهب فردهم، قلت: يا رسول الله إن راحلتي قد كلت ولكن ابعث إليهم رجلاً. قال: فبعث إليهم رسول الله ﷺ رجلا وكتبتُ معه إليهم، فردهم. قال الصدائي: فقدم وفدهم بإسلامهم. فقال لي رسول الله ﷺ: يا أخا صداء أنك المطاع في قومك. قلت: بل الله هداهم للإسلام، قال رسول الله ﷺ: أفلا أؤمرك عليهم. قلت: بلى، فكتب لي كتابًا، قلت يا رسول الله: مر لي بشيء من صدقاتهم، فكتب لي كتابًا آخر بذلك»[1].

4. قدوم عمرو بن العاص لفتح مصر:

«قال علي بن الحسن بن خلف بن قديد: حدثني عبيد الله بن سعيد الأنصاري، عن أبيه قال: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان بفلسطين على ربع من أرباعها، فتقدم بأصحابه إلى مصر. فكتب إلى عمر رضي الله عنه فيه، وكان سار بغير إذن. فكتب إليه عمر بن الخطاب بكتاب أتاه، وهو أمام العريش. فحبس الكتاب ولم يقرأه، حتى بلغ العريش فقرأه، فإذا فيه: « من عمر بن الخطاب إلى العاص بن العاص، أما بعد: فإنه بلغني أنك سرت ومن معك إلى مصر، وبها جموع الروم، وإنما معك نفر يسير. ولعمري لو كان ثكل أمك ما تقدمت! فإذا جاءك كتابي هذا، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع «. فقال عمرو: « الحمد لله، أية أرض هذه؟ « قالوا: « من مصر». فتقدم إلى الفرما، وبها جموع الروم، فقاتلهم فهزمهم[2].

5. ولاية أحمد ابن المدبر على مصر:

قال ابن قديد: توجه ابن المدبر وكان بتنيس إلى الفرما في هدم أبواب من حجارة شرقي الحصن احتاج أن يعمل منها جيرًا. فلما قلع منها حجرًا أو حجرين خرج إليه أهل الفرما بالسلاح فمنعوه من قلعها، وقالوا هذه الأبواب التي قال الله عز وجل فيها على لسان يعقوب:﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3].

(1) البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ - 1984م، جـ1، ص 33.

(2) الكندي: ولاة مصر، ص 30 - 31، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص5.

(3) الكندي: فضائل مصر المحروسة، ص8، والآية من سورة يوسف: 67.

6. قضاة مصر:

أ – « قال أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي المصري: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: كان أول قاض استقضى بمصر في الإسلام كما ذكر سعيد بن عفير: قيس بن أبي العاص السهمي[المتوفى عام: 23 هـ / 644 م]، فمات، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يستقضى كعب بن يسار بن ضبة العبسي»[1].

ب – قضاء غوث بن سليمان الحضرمي[المتوفى عام: 168 هـ/ 784 م]:

«قال علي بن الحسن بن خلف، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الحكم، عن حماد بن منصور بن أبي رجاء، قال: قدمتنا امرأة من الريف وغوث قاضٍ في محفة، فوافت غوث بن سليمان عند السراجين رائحًا إلى المسجد؛ فشكت إليه أمرها وأخبرته بحاجتها، فنزل عن دابته في حوانيت السراجين ولم يبلغ المسجد، وكتب لها بحاجتها، وركب إلى المسجد فانصرفت المرأة وهي تقول: أصابت والله أمك حين سمتك غوثا، أنت غوث عند اسمك»[2].

7. علم الرجال[الجرح والتعديل]:

أ – يونس بن عبد الأعلى الصدفي[204 – 249هـ/ 817ـ863 م]: « قال أبو سعيد بن يونس، قال لي علي بن الحسن بن خلف بن قديد: كان يونس[بن عبد الأعلى] جدك يحفظ، وكان أحمد بن عمرو لا يحفظ، وكان ثقةً ثبتًا صالحًا»[3].

ب – إبراهيم بن سعد الزهري[المتوفى عام: 184هـ/ 800م]: «قال علي بن الحسن بن خلف بن قديد، أبو القاسم – بمصر – ، حدثنا عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير، عن أبيه، قال: قدم إبراهيم بن سعد الزهري العراق سنة أربع وثمانين ومائة[800م] فأكرمه[هارون] الرشيد وأظهر بره، وسئل عن الغناء، فأفتي بتحليله[4].

ت – عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر القوصي[المتوفى عام: 245هـ/ 859م]:»عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد بن المنكدر المديني القوصي، سكن قوص فنسب إليها. ذكره أبو سعيد بن يونس، في « تاريخ مصر «، وقال: آخر من حدثنا عنه بمصر علي بن

---

(1) وكيع بن الجراح: أخبار القضاة، جـ1، ص 327.

(2) وكيع بن الجراح: أخبار القضاة، جـ1، ص 333.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 244، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ12، ص 62.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ3، ص 26، النويري: نهاية الأرب، جـ4، ص215.

الحسن بن خلف بن قديد. قال: فقال لي ابن قديد كان سماعي من عبيد الله المنكدري بقوص، في سنة خمس وأربعين ومائتين[859م]، ثم حج من عامه ذلك، فتوفي بمكة بعد الحج، في ذي الحجة، سنة خمس وأربعين ومائتين[859م][1].

إلى جانب ما سبق فقد ذكرت لنا المصادر التاريخية، بعض أعلام المعافريين الذين اشتغلوا بالروايات التاريخية إلى جانب الحديث، ولكن لم تذكر لنا هذه المصادر تاريخ وفاتهم، وهم:

7. بَحِير بن ذاخرِ بن عمار، أبو علي المَعَافِرِيّ المصري: روى عن جمع من الصحابة من أمثال: عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، ومسلمة بن مخلد، وعبد العزيز بن مروان، وعبد الله بن عمروﷺ، وطائفة غيرهم[2]. اشتغل بَحير بعلم الحديث[3] فروى عنه: ابنه علي بن بحير، والأسود بن مالك الحميري، وعبد الله بن لهيعة، وغيرهم[4]. وثقه ابن حبان[5]، وجوده ابن ماكولا[6]، وابن يونس[7]، وغيرهما.

المرويات التاريخية:

أما عن المرويات التاريخية لبَحير بن ذاخر المعافري، فقد حفظت لنا مصادرنا التاريخية مجموعة لا بأس بها من مروياته كلها تدور حول تاريخ مصر، بداية من وصية الرسول ﷺ بقبط مصر خيرًا، وخُطب عمرو بن العاص ﷺ في أهل مصر، ورواية أخيرة تتعلق بفتح عقبة بن نافع لإفريقية، وتفاصيل هذه الروايات كالتالي:

1. وصية الرسول ﷺ بالقبط :

أ - «أخرج ابن عبد الحكم من طريق بحير بن ذاخر المعافري، عن عمرو بن العاص، عن عمر بن الخطابﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله سيفتح عليكم بعدي

(1) السمعاني: الأنساب، جـ4، ص 559.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ7، ص 326.

(3) الطحاوي: مشكل الآثار:(7 / 210) حديث رقم(2701)، القاسم بن سلام: الطهور:(ص 247) حديث رقم(217).

(4) المقريزي: المقفى الكبير، جـ1، ص 393.

(5) ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 81.

(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ3، ص 374.

(7) ابن يونس الصدفي: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 58.

مصر، فاستوصوا بقبطها خيرًا؛ فإن لكم منهم صهرًا وذمةً «[1].

ب – ولابن يونس – فقط – من طريق بحير بن ذاخر المعافري، عن عمرو بن العاص، حدثني عمر[بن الخطاب]ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم منكم صهرًا وذمة، الوصية بأقباط مصر»[2].

2. خطب عمرو بن العاص في أهل مصر:

أ – « عن بحير بن ذاخر المعافري، قال: رُحت أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة،» تهجيرًا»، وذلك آخر الشتاء» أظنه بعد حمم النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط، يزجرون الناس، فذعرت، فقلت: يا أبتِ، مَنْ هؤلاء؟ قال: يا بني هؤلاء الشرط، فأقام المؤذنون الصلاة»، فقام عمرو بن العاص ﷺ على المنبر، « فرأيت رجلًا ربعة قصد القامة وافر الهامة، أدعج أبلج، عليه ثياب موشية، كأن به العقيان، تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة»، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ووعظ الناس، وأمرهم ونهاهم، ثم قال: يا معشر الناس إنه قد نزلت الجوزاء ....[3]» قال حفظت ذلك عنه. فقال والدي: يا بني إنه يُجرئ الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما جرأهم على الريف والدعة»[4].

ب – « عن بحير بن ذاخر المعافري: أنه سمع عمرو بن العاص ﷺ في خطبته يوم الجمعة، يقول: «يا معشر الناس إياكم وخلالا أربعا، فإنهن يدعون إلى النصب بعد الراحة، وإلى الضيق بعد السعة، وإلى المذلة بعد العزة: إياك وكثرة العيال، وإخفاض الحال، والتضييع للمال، والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال»[5].

3. فتح إفريقية:

«ومن طريق بحير بن ذاخر، قال: كنت عند عبد الله بن عمرو[10 ق هـ – 73

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص3، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 12.

(2) السخاوي: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405 هـ – 1985م، ص 205.

(3) انظر نص الخطبة في السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 55.

(4) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 140 – 142، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 29.

(5) الطحاوي: بيان مشكل الآثار، جـ8، ص 50.

هـ = 613 - 692 م]، فدخل عليه عقبة بن نافع[1 ق ه - 63 ه/ 621 - 683 م]، فقال: ما أقدمك فإني كنت أعلم أنك تحب الإمارة. فقال: إن يزيد بن معاوية[25 - 64 ه/ 645 - 683 م] عقد لي على جيش إلى إفريقية. فقال: إياك أن تكون لعبة لأهل مصر؛ فإني لم أزل أسمع أنه سيخرج رجل من قريش في هذا الوجه فيهلك. قال: فقدم فقتل هو وأصحابه وذلك سنة ثلاث وستين[682م] قتلهم البرابرة»[1].

8. حَوْشَبِ بْنِ سَيْف، أبو هريرة السكسكي المعافري: روى عن جمع من أصحاب النبي ﷺ منهم: فضالة بن عبيد، ومعاوية بن أبي سفيان، ومالك بن يخامر رضي الله عنهم، وغيرهم[2]. روى عنه: صفوان بن عمرو، وشداد بن أفلح، وغيرهما[3]. وثقه كثير من أهل العلم[4]، وحفظت لنا كتب السُّنَّة بعض مروياته الحديثية[5].

كما حفظت لنا المصادر التاريخية رواية تاريخية عنه ترجع إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان[41 - 60 هـ/ 661 - 680م] رضي الله عنه، وهي كالتالي: روى ابن عساكر في تاريخه عن حوشب بن سيف السكسكي قال: غزا الناس في زمان معاوية[بن أبي سفيان] رضي الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فَغَلَّ رجل من المسلمين مائة دينار رومية. فلما قفل الجيش نَدم وأتى الأميرَ، فأبى أن يقبلها منه، وقال: قد تفرق الناس ولن أقبلها منك، حتى تأتي الله بها يوم القيامةَ فجعل الرجل يستقرئ الصحابة، فيقولون له مثل ذلك، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه، فأبى عليه. فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع، فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي، فقال له: ما يبكيك؟ فذكر له أمره، فقال أمطيعُني أنت؟ فقال: نعم، فقال: اذهب إلى معاوية فقل له: اقبل مني خُمسك، فادفع إليه عشرين دينارًا، وانظر الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم، ففعل الرجل، فقال معاوية رضي الله عنه: لأن أكون أفتيتُه بها أحب إلي من كل شيء أملكه، أحسن الرجل»[6].

---

(1) ابن حجر: الإصابة، جـ2، ص 353.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ6، ص341، الزبيدي: تاج العروس، جـ2، ص 282.

(3) البخاري: التاريخ الكبير، جـ3، ص 100، السمعاني: الأنساب، جـ3، ص 268.

(4) الرازي: الجرح والتعديل، جـ3، ص 280، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 184، العجلي: معرفة الثقات، جـ1، ص 28.

(5) الطبراني: مسند الشاميين:(3 / 355) حديث رقم(972)،(3 / 357) حديث رقم(973)، (3 / 358) حديث رقم(974)، ابن المبارك: الجهاد:(ص 43) حديث رقم(42)، أحمد بن حنبل: العلل:(3 / 307) حديث رقم(5363).

(6) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ9، ص 401، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ4، ص 208.

9.عباد بن عبد الله، أبو خيرة المعافري المصري: يروي عن أصبغ بن عبد العزيز بن مروان[المتوفى عام: 86 هـ / 705 م] روى عنه أبو شريح عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني. حفظت لنا المصادر التاريخية رواية له عن مدى حب الخليفة عمر بن عبد العزيز لمصر عامة، وإلى مدينة الإسكندرية خاصة. ولا غرابة، فمن المعروف أن عمر بن عبد العزيز تربى في أرض مصر، أثناء ولاية أبيه عليها. ومصر كما قال عنها الرحالة والمؤرخون: إن كل مَن وطئت أقدامه تراب أرضها، فإنه يحن إليها». وعلى كل حال، قال عباد بن عبد الله المعافري: «كنت أصبغ الخيل للأصبغ بن عبد العزيز، فكنت ربما خرجت إلى الشام إلى سليمان بن عبد الملك[96ـ99هـ / 715ـ717م]، فلما ولي عمر بن عبد العزيز[99ـ 101هـ/ 717ـ720م] أرسل إليَّ المختار منها، فأمرني أن آتي بها إليه. فلما جئته قال يا أبا خيرة: أين تسكن اليوم؟ قلت: الفسطاط. قال: أين أنت من الإسكندرية؟! فلولا ما أنا فيه لأحببت أن يكون منزلي بها حتى يكون قبري بين الميناءين»[1].

10. يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْمَعَافِرِيُّ: بدأ حياته محدثًا فروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي عبدالرحمن الحبلي المعافري، وشفي بن ماتع، وأبي سلمة بن عبدالرحمن، وعقبة بن عامر، وغيرهم[2]. روى عنه عمرو بن الحارث، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، وغيرهم[3]. حظى يزيد بثقة المحدثين، فروى له الترمذي، وابن ماجه، والطبراني[4]. قال أبو حاتم: «لا بأس به»[5]، ووثقه ابن حجر[6].

المرويات التاريخية:

تعددت الروايات التاريخية عن يزيد بن عمرو المعافري، ويمكن تقسيم هذه الروايات إلى أربعة مجموعات، فمنها ما يتعلق بالإسرائيليات، وبعضها يتعلق بحياة الرسول ﷺ ومعظمها يتعلق بثورة المصريين ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأخيرًا ما يتعلق

(1) ابن ماكولا: الإكمال، جـ2، ص31، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ26، ص234 – 235.

(2) ابن حجر: تعجيل المنفعة، جـ1، ص 551، العيني: مغاني الأخيار، جـ5، ص 276.

(3) المزي: تهذيب الكمال، جـ32، ص 214، السيوطي: حُسْن المحاضرة، جـ1، ص 271.

(4) سنن الترمذي:(9 / 41) حديث رقم(2425)، سنن ابن ماجه:(2 / 43) حديث رقم(440)، المعجم الكبير للطبراني:(1 / 52) حديث رقم(122)، (15 / 239) حديث رقم(17113)، (15 / 263) حديث رقم(17175)، (16 / 173) حديث رقم(18235)، (16 / 183) حديث رقم(18259)، (20 / 145) حديث رقم(1533)، المعجم الأوسط للطبراني:(1 / 317) حديث رقم(318)، (4 / 465) حديث رقم(2006).

(5) الرازي: الجرح والتعديل، جـ13، ص 281.

(6) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ2، ص 329.

بالملاحم والفتن. وقد جاءتنا من طريق تلميذه عبد الله بن لهيعة، وهذه الروايات كالتالي:

1. الإسرائيليات:

أ - « قال ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن عمرو المعافري، عن ابن حجيرة، قال: استظل سبعون نفسًا من قوم موسى تحت قحف رجل من العمالقة». قال الإمام الذهبي معلقًا على هذه الرواية: «هذا من الإسرائيليات، والقدرة صالحة، ولو استظل بذلك القحف أربعة لكان عظيمًا»[1].

ب - « روى عبد اللهّ بن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافريّ، عن ابن بجرة، قال: استظل سبعون رجلاً من قوم موسى، في قحف رجل من العماليق»[2].

ت - « قال ابن لهيعة: حدثني يزيد بن عمرو المعافري، أن أبا سلمى القتباني أخبره عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن ثلاثة نفر من بني إسرائيل خرجوا يرتادون فأصابهم المطر فأووا تحت صخرة فجرت الصخرة فأطبقت عليهم، فنظر بعضهم إلى بعض فقال: إنه لا ينجيكم من هذا إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بأفضل عمل عمله........... »[3].

2. سيرة الرسول(ﷺ):

أ - «عن ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي ثور الفهمي، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتي بثوب من ثياب معافر، فقال أبو سفيان: لعن الله هذا الثوب، ولعن من عمله! فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنهم، فإنهم مني وأنا منهم»[4].

ب - «قال ابن لهيعة، حدثني يزيد بن عمرو المعافري، قال: سمعت أبا عبد الرحمن الحبلي، يقول: سمعت المستور بن شداد رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المسجد يدلك بخنصره بين أصابع رجليه»[5].

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ8، ص 31.

(2) المقريزي: الخطط، جـ1، ص 200.

(3) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ2، ص291 - 292، وقد ورد هذا الحديث بصيغة أخرى في صحيح البخاري(4/ 172) حديث رقم(3465) من طريق نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما. وحول روايات هذا الحديث، انظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ14، ص 12، حديث رقم(6505).

(4) ابن الأثير، أُسْد الغابة، جـ3، ص 149، والحديث رواه أحمد بن حنبل: المسند:(38 / 160) حديث رقم(17970)، الطبراني: المعجم الكبير:(16 / 173) حديث رقم(18235). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(5) الرافعي: التدوين في أخبار قزوين، جـ1، ص 438. والحديث رواه البيهقي:السنن الكبرى: (1 / 77)، القاسم بن سلام: الطهور:(1 / 398) حديث رقم(345)، الألباني: صفة الصلاة:(ص 49).

3. ثورة المصريين ضد عثمان بن عفان ﵁:

أ – « قال ابن لهيعة، حدثني يزيد بن عمرو المعافري، أنه سمع أبا ثور التميمي، قال: قدمت على عثمان بن عفان ﵁ فبينما أنا عنده خرجت فإذا أنا بوفد أهل مصر، فرجعت إلى عثمان بن عفان﵁ فقلت: أرى وفد أهل مصر قد رجعوا، خمسين عليهم ابن عديس، قال: وكيف رأيتهم ؟ قلت: رأيت قومًا في وجوههم الشر. قال: فطلع ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس وصلى لأهل المدينة الجمعة، وقال في خطبته: ألا إن ابن مسعود حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن عثمان بن عفان كذا وكذا، وتكلم بكلمة أكره ذكرها، فدخلت على عثمان ﵁ وهو محصور فحدثته أن ابن عديس صلى بهم. فسألني ماذا قال لهم ؟ فأخبرته، فقال: كذب والله ابن عديس ما سمعها من ابن مسعود، ولا سمعها ابن مسعود من رسول الله ﷺ قط، ولقد اختبأت عند ربي عشرًا، فلولا ما ذكر ما ذكرت، إني لرابع أربعة في الإسلام، وجهزت جيش العسرة، ولقد أئتمنني رسول الله ﷺ على ابنته، ثم توفيت فأنكحني الأخرى، والله ما زنيت، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تعنيت، ولا تمنيت، ولا مسست بيميني فرجي مذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا مرت بي جمعة إلا وأنا أعتق رقبة مذ أسلمت، إلا أن لا أجد في تلك الجمعة، ثم أعتق لتلك الجمعة بعد»[1].

ب – « قال ابن لهيعة، حدثني يزيد بن عمرو المعافري قال: حدثني رجل منا، قال: كان الذي قتل عثمان ﵁، فقال تبيع: إن ذراعي هذا يأتيان يوم القيامة، مشتعلين نارًا»[2].

4. الملاحم والفتن:

أ – «قال ابن لهيعة: حدثني يزيد بن عمرو المعافري، عن تدوم الحميري، سمع تبيع بن عامر، يقول: السفاح يعيش أربعين سنة، اسمه في التوراة طائر السماء»[3].

ب – « قال ابن لهيعة: حدثني يزيد بن عمرو المعافري، عن شيخ من أهل المدينة،

---

(1) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، جـ4، ص 1156، مسند البزار:(1 / 97) حديث رقم(448).

(2) ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، جـ4، ص 1309.

(3) نُعيم بن حماد: الفتن، ص 66، عقب ابن كثير على هذا الكلام بقوله: «وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل، ونشر القسط، وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي، ويكون أول ظهور بيعته بمكة، ثم تكون أنصاره من خراسان، كما وقع قديمًا للسفاح، والله تعالى أعلم». البداية والنهاية، جـ6، ص 278.

عن أبي هريرة ﵁عن النبي ﷺ قال:(كأني أنظر إلى أُصَيْلِعَ[1] أُفَيْدِع[2]أُفَيْحِج[3]على ظهر الكعبة يضربها بالكَرْزَنة[4]»[5].

وختامًا: لم أعثر على أحد من أبناء قبيلة غافق قد اشتغل بعلم التاريخ، لذا فقد اقتصر الحديث على جهود المؤرخين الصدفيين والتيجيبيين والمعافريين فقط.

(1) أُصَيْلِعَ هو تصغيرُ الَأَصْلَع الذي انحسَرَ الشعرُ عن رأْسِه. ابن منظور: لسان العرب، جـ8، ص 204.

(2) أُفَيْدِعُ تصغير أَفْدَعَ، والَأَفْدَعُ: الظليم لانحراف أَصابعه صفة غالبة، وكلُّ ظَلِيمٍ أَفْدَعُ،لَأنَّ في أَصابعه اعوجاجًا. ابن منظور: لسان العرب، جـ8، ص 246.

(3) التفحج: التفريج بين الرجلين، وفحج في مشيته: تدانى صدور قدميه وتباعد عقباه. ابن منظور: لسان العرب، جـ12، ص 340.

(4) الكزرن والكرزين: فأس كبير. ابن منظور: لسان العرب، جـ13، ص 358.

(5) نُعيم بن حماد: الفتن، ص 408. الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسند:(7 / 81) رقم(7053)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «بعضه مرفوع صحيح، وبعضه يروى موقوفًا ومرفوعًا، والموقوف أصح».

الفصل السابع :
القضاء والشرطة في مصر الإسلامية.

- التمهيد :
- أولًا: القضاة في مصر الإسلامية.
- ثانيًا: أسرة قضائية
- ثالثًا: رجال الشرطة في مصر الإسلامية.



التمهيد :

القضاء هو الفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتداعي، وقطعًا للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسُّنَّة .

وهو من أهم الوظائف التابعة للخلافة . يقول ابن خلدون : « فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى. أما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات»[1].

ولست هنا بصدد الحديث عن شروط القاضي، وكيفية تعيينه وعزله، فذلك مذكور في كتب النظم الإسلامية. والذي يهمني في هذا التمهيد الموجز أن نوضح أن نظام القضاء في مصر نشأ بسيطًا ثم أخذ يتطور بمرور الزمن، وكان القاضي يستمد أحكامه القضائية من مصادر الشريعة الإسلامية ونعني بها ؛ القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والإجماع، والاجتهاد، والقياس .

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال القضاة كانت تمتد إلى الإشراف على ديون الأحباس، والمقصود بها الأوقاف، الذي عرف منذ سنة [118 هـ/ 736 م] ويعد القاضي تَوْبة بن نمر الحضرمي في خلافة هشام بن عبد الملك [105 - 125 هـ/ 724 - 743 م] أول قاضٍ بمصر يضع يده على الأحباس بعد أن كانت بأيدي أهلها وبأيدي أوصيائهم . فلما تولى تَوْبة قال : « ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظًا لها من الضياع والتوارث »[2]. فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديوانًا عظيمًا، فذلك أول إنشاء لديوان الأوقاف بمصر[3].

---

(1) المقدمة، جـ2، ص 603 - 604 .

(2) الكندي : أخبار قضاة مصر، ص 57، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م،جـ1، ص 345.

(3) د. علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، الخانجي،، 1415هـ - 1994م، ص 51 .

يضاف إلى ذلك، أن سلطة القاضي اتسعت حتى كان ينظر في حقوق المسلمين العامة، وفي مصالح الطرقات والأبنية، وقد تضاف إليه الشرطة، والمظالم، والحسبة .

أولًا: القضاة:

يرجع أول ظهور حقيقي للتجيبيين - دون غيرها من القبائل الأخرى موضوع الدراسة - في مجال القضاء إلى قيام الدولة الأموية، وبالتحديد في خلافة معاوية بن أبي سفيان [41 - 60 هـ/ 661 - 680 م]، الذي عيَّن سُليم بن عُتر التجيبي(المتوفى في عام: 75هـ/ 694 م) على قضاء مصر؛ وجمع له بين القضاء والقصص[1]. فكان أول من دون أحكام القضاء، إذ لم تكن الأحكام تدون في أول الأمر، بمعنى أنها كانت تصدر شفهيًا فربما تعذر على أحد الرجوع إلى الحكم، والتثبت منه. حتى أصدر هذا القاضي أول سجل قضائي في مصر، ومن وقتها صار تقليدًا لمن جاء بعده من القضاة[2]. كما كان أول من قضى في الجنايات[الجروح][3]. وبذلك خطا سُليم خطوات جديدة في أعمال القضاء.

هذا، ولم يقتصر منصب القضاء على فقهاء المذهب الحنفي فقط، بل شغل هذا المنصب فقيه مالكي تجيبي؛ هو: إسحاق بن الفرات(135هـ - 204هـ/ 753_ 820 م)، أول فقيه مالكي يلي هذا المنصب. وقد سبق الحديث عن علمه وفقه، وأُضيف هنا، أنه كان بارعًا في الاجتهاد، واستنباط الأحكام الشرعية من مظانها، مما أهله لتولي هذا المنصب في مصر.

وعلى الرغم من اعتناق إسحاق للمذهب المالكي، إلا إنه لم يكن يتقيد في أحكامه، وفتاواه بمذهبه فقط، بل كان يتخير من جميع المذاهب الفقهية[4]. مما جعل الإمام الشافعي يثني عليه بقوله: «ما رأيت بمصر أحدًا أعلم باختلاف الناس من إسحاق بن الفرات»[5]. بل كان الشافعي وراء ترشيحه لهذا المنصب، وقال في حيثيات هذا الترشيح: «إنه يتخير، وهو عالم باختلاف مضى»[6]. وهذه شهادة لها ثقلها خاصة وهي صادرة من الإمام الشافعي؛ وتثبت في نفس الوقت مدى التسامح الذي كان يتميز بها فقهاء المسلمين. وقال

(1) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 94.
(2) الكندي : أخبار قضاة مصر، ص 20 .
(3) ابن حجر: رفع الإصر، ص 79، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ5، ص 107.
(4) ابن حجر: لسان الميزان، جـ3، ص 193.
(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 503، الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ3، ص 171.
(6) ابن حجر: رفع الإصر، ص 35.

– عنه – الفقيه الشافعي أحمد بن يحيى الوزير: «كان إسحاق يتخير في الأحكام»[1]. وهو أول قاضٍ اتخذ للشهود ديوانًا وكتب أسماءهم فيه، وكانت ولايته من قِبل الخليفة هارون الرشيد(149 – 193 ه / 766 – 809 م) في سنة بضع وثمانين ومائة[2].

ثانيًا: أسرة قضائية[3]:

ومن أشهر الأُسر التي عملت بسلك القضاء لعقود طويلة أسرة الصحابي معاوية بن حديج التجيبي (المتوفى في عام:52 هـ / 672 م)؛ الذي سبقت الإشارة إلية كثيرًا. والذي يهمنا هنا هو الجانب القضائي لهذه الأسرة العريقة.

كان عبد الرحمن أكبر أبناء الصحابي معاوية بن حديج، فتربى على عينه، فحفظ القرآن الكريم صغيرًا، وسمع الحديث من أئمة عصره، من أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي بصرة الغِفْاري[4] رضي الله عنهم، وغيرهم. ثم تعلم عبد الرحمن علم الفقه، فنبغ فيه كما نبغ في علم الحديث، وروى عن الإمام يزيد بن أبي حبيب[5]. وثقه ابن حبان[6]. وروى له البخاري في كتابه « الأدب المفرد» [7]، و الدارقطني في السنن[8].

هكذا أصبح عبد الرحمن علمًا من أعلام المدرسة المصرية بما جمع من العلوم الدينية، وصار مؤهلاً لتولي أي منصب شرعي في الدولة الإسلامية. وقد اتته الفرصة عندما عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(26 – 86 ه/ 646 – 705 م) إلى أخيه عبد العزيز بن مروان(85 ه / 704 م) بولاية مصر، وعندما استقر هناك، لم يجد أفقه ولا أورع من عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبي فولاه الشرطة أولاً، ثم فوض إليه القضاء[9]، وذلك سنة (86هـ/ 705م). وبذلك يكون عبد الرحمن أول من جمع بين المنصبين في مصر، كما يقول المقريزي[10].

---

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ 1، ص 215.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 1، ص 419.

(3) لمزيد من التفاصيل، انظر: آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ1، ص353.

(4) الأنساب، جـ3، ص 272، الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ6، ص 111.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ6، ص 416، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ 1، ص 95.

(6) الثقات، جـ5، ص 104.

(7) ص 262، حديث رقم (499).

(8) جـ 6، ص 451، حديث رقم(2705).

(9) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، جـ5، ص 231.

(10) المقفى الكبير، جـ 4، ص 101.

هذا، وقد خطا عبد الرحمن بالقضاء خطوات جديدة، فكان أول من نظر في ميراث الأيتام، وجعل على كل قبيلة عريف[1] يسجل ما أنفق من هذه الأموال، حفاظًا عليها من النهب والضياع. وكتب كتابًا بذلك، وأشهد عليه ثقات الناس[2].

استمر عبد الرحمن في منصبي الشرطة والقضاء، حتى ولي إمارة مصر عبدالله بن عبدالملك ابن مروان(59 - بعد 90 ه / 679 - بعد 709 م) فقام بعزل جميع الولاة والعمال الذين عملوا مع عمه، ولمّا لم يجد مقالاً في عبدالرحمن، عزله و ولاه ثغر الإسكندرية[3].

وهكذا يتضح لنا أن عزل عبد الرحمن، لم يكن طعنًا في عدالته أو أحكامه، ولكنه للخلاف السياسي فقط. وعلى كل، فقط ظل عبد الرحمن مرابطًا في هذا الثغر حتى توفي سنة (95هـ/ 714م)[4].

ومما يجب ذكره، أن عبدالرحمن قد رُزِق بأربعة من الأبناء، كان لهم ولذريتهم أكبر الأثر في مسيرة القضاء المصري، وهم: نُعيم، وعبد الواحد، وعبد الله، ومحمد.

أما الأول: فهو: نُعيم بن عبد الرحمن، روى الحديث عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر. روى عنه داود بن أبي هند، وغيره. كان ثقة[5]. وقد شارك في فتوح بلاد المغرب والأندلس[6]. مات يوم عرفة سنة(103هـ/ 721م).

الثاني: عبد الواحد بن عبد الرحمن، تعلم الحديث والفقه، وبرع فيهما . فولاه عبدالله بن عبد الملك بن مروان الشرطة والقضاء خلفًا لأبيه[7]. والجدير بالذكر، أن عبد الواحد قد شغل هذا المنصب عامًا واحدًا (89 - 90هـ/ 770 - 708م)، حيث عزله الوالي الجديد قرة بن شريك (ت96 ه/ 714 م). عاد عبد الواحد إلى التحديث والفقه حتى توفي سنة (113هـ/ 731م)[8].

---

(1) العَرِيف: هُوَ القَيِّم بأُمور الْقَبِيلَةِ أَو الْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ يَلِي أُمورهم ويَتَعَرَّفُ الأَميرُ مِنْهُ أَحوالَهُم. ابن منظور: لسان العرب، جـ9، ص 238. الزبيدي: تاج العروس، جـ24، ص 145.

(2) ابن حجر: رفع الإصر، ص116.

(3) الكندي: ولاة مصر، ص 17.

(4) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 195، الزركلي: الأعلام، جـ3، ص 338.

(5) البخاري: التاريخ الكبير، جـ8، ص 97، ابن حبان : الثقات، جـ5، ص 477، الرازي: الجرح والتعديل، جـ8، ص 461.

(6) الحُميدي: جذوة المقتبس، ص 128.

(7) ابن حجر: رفع الإصر، ص126.

(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 85.

الثالث: عبد الله بن عبد الرحمن، وكان قريبًا من العباسيين، فولاه الخليفة أبي جعفر المنصور (95 – 158 ه/ 714 – 775 م) حكم مصر سنة(152هـ/ 769م). ولما لم يثق عبدالله في أحدٍ من رجاله ؛ ونظرًا للظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية، فقد تولى بنفسة منصب رئيس الشرطة، ولبس السواد شعار العباسيين، وأحكم سيطرته على البلاد[1]. وقد استمر في منصبه حتى توفي سنة (155هـ/ 772م)، وبذلك تكون ولايته على مصر ما يقرب من ثلاث سنوات[2].

ومن الجدير بالذكر، أن عبدالله أنجب ولدًا أسماه « محمدًا»، عرف بـ»زنين». لم يشتغل بالسياسة، وفرغ نفسه لعلم الحديث. مات صغيرًا في سنة (221هـ/ 835م)[3].

الرابع: محمد بن عبد الرحمن، ولي حكم مصر من قِبْل الخليفة أبي جعفر المنصور، عقب وفاة أخية عبد الله . نجح محمد في إقامة العدل بين الرعية، فحمدت سيرته، وأرسل القائد يزيد بن حاتم (المتوفى في عام: 170 ه/ 787 م) لاستكمال الفتوحات الإسلامية في إفريقية[4]. غير أن مدة حكمه لم تدم طويلًا فقد توفي في نفس العام، وبذلك تكون مدة ولايته ثمانية أشهر ونصف تقريبًا، كما يقول صاحب النجوم الزاهرة[5].

أنجب محمد ولدًا أسماه « عبد العزيز»، اشتغل بعلم الحديث، فروى عن أبيه، توفي سنة (204هـ/ 819 م)[6]. كذلك أنجب عبد العزيز ولدًا أسماه» محمدًا»، سمع من أبيه، وتوفي سنة(241هـ/ 855 م)[7].

ومن الجدير بالذكر، أن محمدًا أنجب ولدًا هو الآخر فأسماه « عبد الواحد»، روى عن أبيه، وعن جده. روى عنه أحمد بن محمد بن رشدين، وغيره. توفي سنة(209هـ/ 824م)[8].

أما آخر هذه الأسرة فهو: عمر بن عبد الواحد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، حدث بالقليل، وتوفي سنة (322هـ/ 943م)[9].

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 485.
(2) المقريزي: المقفى الكبير، جـ4، ص 419، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ1، ص 143.
(3) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 5، ص 98، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ1، ص 452.
(4) المقريزي: المقفى الكبير، جـ 6، ص 52، الزركلي: الأعلام، جـ 6، ص 189.
(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ1، ص 145، وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 604.
(6) ابن ماكولا: الإكمال، جـ1، ص 195.
(7) المقريزي: المقفى الكبير، جـ6، ص 88.
(8) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 328.
(9) ابن ماكولا: الإكمال، جـ 2، ص 397.

صفوة القول، أن أُسرة معاوية بن حديج، كانت أسرة مصرية عريقة، اشتغلت بالسياسة والقضاء والشرطة والتعليم، وقد ساهمت بدور بارز ومؤثر في مجرى الحياة السياسية والتعليمية في مصر الإسلامية، وتركوا بصمات واضحة في تاريخها ومسيرتها الحضارية، وخاصة في مجال القضاء.

ثالثًا: رجال الشرطة:

أما عن الشرطة ؛ فهم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة، أو الوالي في حفظ الأمن، والقبض على الجناة والمفسدين، والضرب على أيدي المريبين والمذنبين، وتأديبهم والمحافظة على سلامة الناس، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم. فهي من الوظائف الهامة للدولة.

وكانت من توابع القضاة، حيث كان الغرض منها تنفيذ أحكام القضاة، أو فرض العقوبات مثل: ثبوت الجرائم، وإقامة التعزير، والتأدب في حق من لم ينته عن الجريمة، ومساعدة القاضي في إثبات الذنب على مرتكبه، كما كان صاحبها يتولى إقامة الحدود[1].

وبمرور الوقت انفصلت الشرطة عن القضاء وأصبحت وظيفة مستقلة. وقد عدها ابن خلدون من أهم وظائف الدولة[2]. وفي مصر كانت الشرطة تنقسم إلى قسمين: الشرطة السفلى ومقرها مدينة الفسطاط، والشرطة العليا ومقرها مدينة العسكر[3]. وكان رجال الشرطة يحملون - عادة - آلة من السلاح تعلق في أوساطهم.

وممن ولي منصب الشرطة من التجيبيين، قيس بن الأشعث التجيبي، كان رئيس الشرطة بالفسطاط[4]، وتوفي سنة(124هـ/ 741م).

ومنهم: عبد العزيز بن سويد التجيبي، قال السمعاني: «كان على شرط مصر، وكان شريفًا»[5]، توفي سنة (204هـ/ 819م).

---

(1) د. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 135 - 136.

(2) المقدمة، جـ 2، ص 653.

(3) المقريزي: الخطط، جـ 1، ص 383.

(4) السمعاني: الأنساب، جـ2، ص 24.

(5) الأنساب، جـ1، ص 186.

الفصل الثامن:
علم الفلك في مصر الإسلامية

- التمهيد:
- علي بن عبد الرحمن الصدفي.
- البندول(رقاص الساعة).
- علم الرياضيات.
- شعر علي الصدفي.
- مُصَنَّفات علي الصدفي.
- وفاة علي الصدفي.



التمهيد:

كان علم الفلك قديمًا يعرف بعلم الهيئة، وقد أخذ أسماء عديدة في مصادرنا التاريخية، منها: علم النجوم، وصناعة النجوم، وعلم الأفلاك، وعلم التنجيم، وصناعة التنجيم .....إلخ. والمقصود به: علم النجوم التعليمي الذي يُبحث فيه عن الأجرام السماوية وعن الأرض[1].

كانت معرفة عرب الجاهلية بالفلك بسيطة، تعتمد على مجرد النظر إلى السماء ومتابعة حركات النجوم والكواكب لمعرفة أحوال الرياح ومواقيت سقوط الأمطار، وفي تحديد المواسم والأعياد، وفي تحديد مواعيد رحلاتهم التجارية[2].

وعندما جاء الإسلام، أمر الإنسان أن يتأمل في هذا الكون الفسيح، وأن ينظر ويفكر ليأخذ العبرة والعظة من عظيم خلق الله تعالى. وجاءت آيات القرآن الكريم لتحث المسلمين على ذلك، ومنها قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم النُّجُوم لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَات لِقَوْم يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال أيضًا:﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْم هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[4]، وقال:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[5].

كل هذه الآيات وغيرها تلفت نظر القارئ المسلم إلى أن يمعن النظر في هذا الكون، وترد - في نفس الوقت - على من يتهم الإسلام بعدم النظر في علم الفلك، أو

---

(1) الفارابي: رسائل الفارابي، رسالة النكت فيما يصح و مالا يصح في أحكام النجوم، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص 144.

(2) د. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2012م، ص 69.

(3) سورة الأنعام: آية 97.

(4) سورة النحل: آية 16.

(5) سورة يونس: آيات 5 - 6.

مَنْ يقول بحرمة مَنْ يتعلم هذا العلم.

جاء الإسلام إذًا، فأصبحت حاجة المسلمين ماسة لعلم الفلك؛ لأنه عن طريقه نستطيع تحديد أوقات الصلاة التي تختلف بحسب الموقع من يوم إلى آخر، ومعرفة ميل الشمس، وأحوال الشفق، وتحديد اتجاه المسلمين إلى الكعبة في صلواتهم، وصلاة الكسوف والخسوف، وتحديد أوائل الشهور العربية، وخاصة شهر رمضان لما له من مكانة عظيمة عند المسلمين[1].

كل هذه المسائل وغيرها حملت المسلمين على البحث في علم الفلك، فاخترعوا حسابات وطرقًا بديعة لم يسبقهم إليها أحد من الحضارات السابقة، كاليونان، أو الهنود، أو الفرس.

بدأت دراسة علم الفلك في عصر الدولة الأموية بداية متواضعة، فلم نعثر على نظرية علمية رصينة خلال هذه الفترة، وإن كان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية(ت 90 هـ/ 708 م) أول من أمر بترجمة كتاب» عرض مفتاح النجوم» لهرمس الحكيم، وكان ذلك في أواخر الدولة الأموية[2].

وما أن استقر الخليفة أبو جعفر المنصور(136 - 158 هـ/ 753 - 774 م) في مدينة بغداد إلا وأظهر اهتمامًا ملحوظًا بعلم الفلك، حيث أمر محمد بن إبراهيم الفزاري (ت 180 هـ/ 796 م) بترجمة كتاب» السند هند « إلى اللغة العربية، وذلك في سنة (156هـ / 773م) والذي عُرف فيم بعد باسم « زيج الفزاري» . هذا، ولم يقتصر دور الفزاري على مجرد الترجمة فقط، بل إنه أجرى فيه تعديلات وإضافات جوهرية، حيث قام بتحويل حساب التوقيت الهندي إلى سني العرب، بمعنى أنه استخدم حساب السنين القمرية المستخدمة عند المسلمين[3].

هؤلاء ألفوا في علم الفلك، وعملوا أزياجًا وأرصادًا جليلة، أدت إلى تقدم وتصحيح كثير من النظريات السالفة عليهم، حتى استطاعوا تحديد طول الدرجة الأرضية عن طريق رصد موضع الشمس، وتوصلوا إلى تحديد درجة الطول بستة وخمسين ميلاً عربيًا وثلثي

(1) د. زين العابدين متولي زين العابدين: الفلك عند العرب والمسلمين، الطبعة الأولى، جـ1، مصر، الهيئة العامة للكتاب، 1997م، ص 33.

(2) د. عبد الحليم عويس : الحضارة الإسلامية، إبداع الماضي وآفاق المستقبل، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2013م، ص 189.

(3) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، الطبعة الثانية، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982م، ص 113.

ميل، وهي نتيجة على قدر كبير من الدقة، إذا إنها لا تزيد عن طول الدرجة الحقيقية في هذا المكان إلا بنحو (2777) قدمًا[1].

هكذا، أستطيع القول: أن المسلمين في القرون الأولى من الإسلام قد امتلكوا ناصية الفكر، فأبدعوا إيما إبداع، وظهرت عبقريتهم بوضوح وجلاء في ميدان علم الفلك.

علي بن عبد الرحمن الصدفي:

ظهر من الصدفيين – دون غيرهم من القبائل العربية موضوع الدراسة – عبقري في علم الفلك، كانت له جهود رائعة وغير مسبوقة في تطور هذا العلم . إنه علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي[2]، المشهور بابن يونس الفلكي[338 – 399هـ/ 950 – 1099م]، سليل بيت اشتهر بالعلم . فأبوه: عبد الرحمن بن يونس، مؤرخ مصر، وأحد علمائها المشهورين . أما جده: يونس بن عبد الأعلى، فهو صاحب الإمام الشافعي، والفقيه والمحدث المشهور.

أما عليٌ فقد اشتغل في بداية حياته بعلم الحديث، فقد روى عن محمد بن علي بن أبي الحديد . وروى عنه: الفضل بن صالح الروذباري، إلا إن المحدثين قد ضعفوا روايته، لأنه كان يعمل بالتنجيم[3].

على كل حال، لم يشتغل علي برواية الحديث كجده، أو علم التاريخ كأبيه، بل اختار لنفسه علمًا جديدًا، اشتهر به بين الصدفيين خاصة، والمصريين عامة، إنه علم الفلك. ومما ساعد على نبوغه في هذا العلم، هو ظهوره في ظل الدولة الفاطمية ؛ التي كانت تهتم بعلم الفلك اهتمامًا ملحوظًا. بل أخذت تنافس الخلافة العباسية في بناء المراصد الفلكية[4]. وكان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي(341 – 365هـ/ 952 – 975 م) أول من أظهر اهتمامًا بهذا العلم، فقد رويت عنه كثير من الأقوال في علم النجوم[5].

---

(1) د. أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى – العلوم العقلية ـ، الطبعة الثانية، مصر، دار الفكر العربي،1997م، ص 69.

(2) القفطي: إخبار العلماء، ص 232، الصفدي : الوافي بالوفيات، جـ 21، ص 148، الزركلي: الأعلام، جـ 3، ص 294.

(3) السمعاني: الأنساب، جـ 3، ص 530، الذهبي: تاريخ الإسلام،جـ 27، ص476، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 11، ص 392.

(4) يرجع بناء أول مرصد في الإسلام إلى عصر الخليفة المأمون العباسي(198 – 218هـ/ 813 – 833م) الذي بناه في بغداد بالقرب من باب الشماسية وعهد بإدارته إلى سند بن علي، ويحيى بن منصور. وفي سنة(214هـ/ 821م) ابتنى مرصدًا آخر في جبل قاسيون، ثم ابتنى أولاد بني شاكر مرصدًا في بغداد، وأخر في سامراء. سيغرد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، الطبعة الثامنة، دولة لبنان، دار الجيل، 1993م، ص120.

(5) د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر التاريخ السياسي، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة الحرية الحديثة،1985م، ص344.

أما الخليفة العزيز بالله الفاطمي(365ـ 386هـ/ 975 - 996 م) فقد أخذ خطوة إيجابية في ذلك، حيث أمر ببناء مرصدًا فوق جبل المقطم، أتمه ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله(386 - 411هـ/ 996 - 1020 م) لذا فقد عُرف « بالمرصد الحاكمي»[1].

آمن الفاطميون إذن بعبقرية علي الصدفي في علم الفلك، فأقاموا له مرصدًا على جبل المقطم، وجهزوه بأفضل آلات وأدوات الرصد. لذا فقد نجح عليٌّ في رصد كسوف الشمس وخسوف القمر في مصر سنة (368ه/ 978م) فكانا أول كسوفين سُجلا بدقة علمية، واستفيد منها في تحديد تزايد حركة القمر، وتصحيح ميل دائرة البروج، وزاوية اختلاف النظر للشمس، كما وفق إلى وضع فصل شرح فيه ماهية النجوم . ولا يخفى علينا أن بحوثه الفلكية قد اتسمت بالطابع الديني[2].

البندول(رقاص الساعة):

لم تقتصر جهود علي بن عبد الرحمن الصدفي على بناء المرصد الحاكمي، ورصد حركة النجوم فقط، بل ينسب إليه اختراع البندول(الرقاص) الذي يُحتاج له في معرفة الفترات الزمنية، كما كان يستعمل في الساعات الدقاقة.

إذًا، ليس صحيحًا ما يدعيه بعض علماء الغرب من نسبة البندول إلى العالم الإيطالي جاليليو (1564 - 1642م)، فإن العالِم المصري علي الصدفي قد اهتدى إلى هذا الاختراع قبله بستة قرون على الأقل.

ولكن - والحق يقال - يجب ألا ننسى أن جاليليو استفاد من تجارب علي الصدفي، وأجرى بنفسه عدة تجارب حتى استطاع بواسطتها التوسع في هذا الموضوع، أعني أنه طور قوانين البندول وأثبت أن مدة الذبذبة في الرقاص تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التثاقل، ثم وضع هذه النظرية في صيغة رياضية ساعدت على توسيع استعمال الرقاص[3].

---

(1) رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر، ص 217.

(2) د. محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2010م، ص 117.

(3) د. عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الأولى، دولة لبنان،[لم تذكر دار الطبع]، 1970م ص 486، د. طوقان : تراث العرب العلمي، ص 142.

علم الرياضيات:

لم ينفصل علم حساب المثلثات تمامًا عن علم الفلك، ولكنه كان في طريقه إلى الاستقلال. وقد برع علي بن عبد الرحمن الصدفي في هذا العلم وأجاد فيه، وفاقت بحوثه فيه بحوث كثير من الرياضيين، وقد حل مسائل صعبة في المثلثات الكروية، واستعان في حلها بالمسقط العمودي للكرة السماوية على كل من المستوى الأفقي ومستوى الزوال. واخترع قوانين ومعادلات، كان لها قيمة كبرى قبل اكتشاف « اللوغاريتمات» التي يمكن بواسطتها تحويل عمليات الضرب إلى عمليات جمع. وبهذا يكون قد سهل حل كثير من المسائل الطويلة المعقدة.

هذا، وقد ادعى بعض علماء الغرب أن جان نابيير (1550 - 1617م) هو مخترع علم « اللوغاريتمات»، ولكن الحق يجب أن ينسب لصاحبه، وهو العالم المسلم علي بن عبد الرحمن الصدفي الذي ابتكر الفكرة قبل نابيير بسبعة قرون على الأقل[1].

صفوة القول، أنه لولا المسلمون لَمَّا كان علم حساب المثلثات على ما هو عليه الآن، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم، ثم استقل عن علم الفلك بعد ذلك. وأن بحوث العالِم المصري علي بن عبد الرحمن الصدفي قد مهدت الطريق لعلماء الغرب حتى تطور هذا العلم. يقول المستشرق «سيديو»: «إن ابن يونس(الفلكي) هو أول من فكر في حساب الأقواس الثانوية التي تصبح الدساتير بها بسيطة فتغني عن الجذور المربعة التي تجعل المناهج صعبة، وظلت هذه الحيل الحسابية التي أضحت أمرًا عاديًا في أيامنًا مجهولة في أوربا ولم يعثر على أمثلة منه إلا بعد ستمائة سنة»[2]. وفي النهاية، لا يخفى علينا ما لهذا العلم من أثر في تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية.

شعره:

امتاز علي بن عبد الرحمن الصدفي بأنه قد جمع بين فروع العلم المختلفة من العلوم الرياضية والفلكية بل والأدبية أيضًا، حتى فاق في ذلك أقرانه. ومن لطيف شعره في الغزل:

---

(1) سويتر sutter: دائرة المعارف الإسلامية: مادة» ابن يونس الصدفي»، ترجمة: أحمد الشنتناوي، وآخرين، الطبعة الأولى، جـ1، القاهرة، دار الشعب،[بدون - تاريخ]، ص 304.

(2) د. محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص 117.

أُحمّل نشرَ الريح عند هبوبه رسالةَ مشتاقٍ لوجه حبيبهِ
بنفسيَ من تحيا النفوس بقربه ومن طابتِ الدنيا به وبطيبه
وجَدَّدَ وجدي طارق منه في الكرَى سرَى مَوهنًا في خِفْيَةٍ من رقيبه
لَعمري لقد عَطَّلتُ كأسيَ لبعدَه وغيّبتُها عني لطولِ مَغيبه[1].

عقب الصفدي على هذه الأبيات بقوله: «شعر جيد»[2]. كما أورد القيرواني كثيرًا من أشعاره، ثم قال: «وكان له في الشعر مذهب حسن، وطبع صحيح»[3].

هكذا، يتضح لنا أن علي بن عبد الرحمن الصدفي قد تفوق في الشعر كما تفوق في العلوم الفلكية والرياضية.

مُصَنَّفاته:

صنف علي بن عبد الرحمن الصدفي كثير من المؤلفات، وهي في مجموعها تدل على عقلية علمية قادرة على الابتكار والتصنيف، ومن أهم هذه المؤلفات:

1. كتاب : «الزيج[4] الكبير الحاكمي»، بدأ علي تأليف هذا الكتاب في عام (380هـ / 990 م)، وأرد من تأليفه أن يتحقق من صحة أرصاد الذين تقدموه وأقوالهم في الثوابت الفلكية ويكمل ما فاتهم. قال عنه القفطي: «وكان قصده فيه تحرير زيج جامع كبير يدل على أن صاحبه كان أعلم الناس بالحساب»[5]، وقال ابن خلكان: «هو زيج كبير رأيته في أربع مجلدات بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره، ولم أرَ في الأزياج على كثرتها أطول منه»[6].

---

(1) ابن العماد : شذرات الذهب، جـ4، ص 522.

(2) الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ 21، ص 148.

(3) القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، الطبعة الأولى، جـ2، مصر، الهيئة العامة القصور الثقافة،2013م، ص 613.

(4) الزيج : عرف عبد الرحمن بن خلدون (الأزياج) بأنها: «من فروع علم الهيئة، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك . ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية..... ويضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المستعملين» . المقدمة، جـ 3، ص 1019. إذًا، هي :»عبارة عن كتب سجلت فيها حسابات وأعمال الرصد الذي يقوم بها الفلكيون» لمزيد من التفاصيل انظر: سيغرد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 137.

(5) إخبار العلماء، ص 232 .

(6) وفيات الأعيان، جـ 3، ص 429.

والجدير بالذكر، أن هذا الزيج ظل يعتمد عليه أهل مصر لفترة طويلة. وبتعبير المستشرق جوستاف لوبون : «وضع ابن يونس في القاهرة زيجه الحاكمي المشهور، فأنسى كل زيج قبله في العالم»[1].

ومن المؤسف حقًا، أن هذا المُصَنَّف لم يصل إلينا كاملاً، فهناك أجزاء منه في مكتبات أوربا ؛ ليدن، وأكسفورد، وباريس، والأسكوريا ل، وبرلين، والقاهرة[2].

ووصلت إلينا بعض نتف منه في كتابات بعض المستشرقين، أمثال : نللينو وكراتشكوفسكي[3]، وقد نشر وترجم المستشرق الفرنسي كوسان بعضًا من هذا الكتاب[4].

ونظرة سريعة لهذا الكتاب نجده يحتوي على:

أ - جداول لضبط الوقت فيما يتعلق بارتفاع الشمس.

ب - « عن زاوية السمت للشمس.

ت - « « مواقيت الصلاة.

ث - الطريقة التي اتبعها بعض فلكي الخليفة المأمون في قياس محيط الكرة الأرضية.

ج - انحراف دائرة البروج، ومقاييس ظل الأرض والجداول المتصلة بذلك.

ح - الحديث عن الإشعاع من النجوم.

وبعد هذا العرض الموجز جدًا لكتاب زيج علي بن عبد الرحمن الصدفي، نعود إلى ذكر باقي مؤلفاته، وهي[5]:

2. كتاب: «بلوغ الأمنية فيما يتعلق بطلوع الشعرى اليمانية».

3. « : «الغيب».

---

(1) حضارة العرب، الطبعة الأولى، مصر، الهيئة المصرية للكتاب،2000م، ص 461.

(2) توجد منه نسخة في دار المخطوطات المصرية بالقاهرة تحمل أرقام :(138 - 909 - 22519) ميقات طلعت.

(3) علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى، ص 186، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ1، ص 111.

(4) طُبع بعنوان : «كتاب الزيج الكبير الحاكمي »، باريس، المطبعة الجمهورية، 1804م.

(5) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، جـ4، ص 225، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، جـ1، ص 684، الزركلي: الأعلام، جـ 3، ص 294.

4. « : «السمت».

5. رسالة في طريق استخراج خطي القسطاس.

6. كتاب : «غاية الانتفاع في معرفة الدوائر والسمت من قبل الارتفاع»[1].

7. « : «حبق حل الشمس والقمر محاول التعديل المعلم»[2].

8. « : « الداير وفضل الداير»[3].

وفاة علي بن عبد الرحمن الصدفي:

بعد حياة مليئة بالعطاء، رحل العالِم الكبير ابن يونس الفلكي صباح يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال سنة(399هـ / الثالث من مايو 1009م).

وأخيرًا، فقد أجمع المؤرخون في تاريخ العلوم على أن ابن يونس الصدفي يعتبر أعظم فلكي في الإسلام أتى بعد البتاني[4]، وأنه استطاع أن يضيف إضافات رائعة، وغير مسبوقة، كان لها أكبر الأثر في تطور علم الفلك.

(1) دار المخطوطات المصرية بالقاهرة، تحت رقم (1109) ميقات.

(2) « « « « « « (1108) « .

(3) « « « « « « (354) رياضيات تيمور.

(4) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 212، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثالثة، جـ1، لبنان، دار الشرق، 1992م، ص 158، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ2، ص 75، الزركلي: الأعلام، جـ6، ص 68.

الخاتمة وأهم نتائج البحث:

هذه خاتمة أحاول أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي:

1. أثبت البحث أن قبيلة الصدف إحدى القبائل العربية التي صحبت القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر. ثم خرجت من الفسطاط وانتشرت في الريف المصري وصاهرت المصريين، مما أدى إلى ظهور الشعب المصري العربي الذي امتزجت فيه دماء المصريين بدماء القبائل العربية، مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في مصر.

2. خلُصت الدراسة إلى أن قبيلة الصدف قد ساهمت بشكل فاعل ومؤثر في ازدهار الحياة الثقافية في مصر، ويأتي في مقدمتها العلوم الدينية؛ كالحديث والفقه، وقراءة القرآن الكريم. وقد نبغ كثير من أبناء قبيلة الصدف في هذه العلوم وطوروا فيها.

3. عالج البحث بالتفصيل دور الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي في بعث وتنشيط الحركة العلمية في مصر. فقد كانت له آراء علمية قيمة، جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من شتى أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، مما كان له أكبر الأثر في تقدم و ازدهار الحركة العلمية في مدينة الفسطاط.

4. أثبت البحث أن علماء الصدف كانوا قليلي التأليف، فلم أعثر على مُصَنَّف واحد لعالِم منهم. بداية من الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي، و انتهاءً بالإمام بكري محمد عاشور الصدفي. - ولعلهم قد اكتفوا بتعليم الناس، وهي مهمة شاقة لا تقل عن دور التأليف والتصنيف. - وذلك - بالطبع - إذا استثنينا بعض مُصنَّفات المؤرخ المصري عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، وحتى هذه فُقدت فلم تصل إلينا. وكل ما وصل إلينا من تراث هذه العائلة العريقة هي بعض مؤلفات العالِم الفلكي علي بن عبد الرحمن الصدفي، وهي ما زالت مخطوطة تحتاج إلى منَ يزيل عنها غبار السنين، ويخرجها لنا في صورة كتبٍ محققةٍ تحقيقًا علميًا صحيحًا.

5. أظهر البحث أن قبائل الصدف وتجيب والمعافر وغافق؛ ظلت تحيا في مصر منذ

اللحظات الأولى للفتح الإسلامي لها حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهذا ما تشهد به شخصياتهم من جهة، وشواهد قبورهم من جهة أخرى. وإذا كانت هذه القبائل قد لعبت أدوارًا حربية كان لها أثرها في مصير مصر، فإن الطابع الذي غلب على أبنائها هو الطابع الديني والعلمي.

6. أثبت البحث أن الصدفيين والتجيبيين والمعافريين والغافقيين قد أحبوا مصر حبًا جمًا، فكانوا كثيري الثناء عليها، والافتخار بها. ولم نقرأ أن أحدهم هاجر إلى بلد آخر، ولو كانت بلاد اليمن موطنهم الأصلي، ومسقط رأسهم. بل الغريب أن معظمهم لم يرحلوا إلى خارج مصر ولو لطلب العلم. وفي هذا أكبر دليل على حبهم لهذا الوطن، وإيمانهم العميق بالدور الحضاري الذي كان يقوم به تجاه عالمه الإسلامي، لذلك فقط فضلوا الإقامة فيه، والسماع ممن يأتي إليه.

7. أثبت البحث أن قبائل الصدف وتجيب والمعافر وغافق قبائل عربية عريقة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وأن أصولهم ترجع إلى بلاد اليمن الواقعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، والتي هاجرت من حضرموت مع موجة الهجرات التي أعقبت انهيار سد مأرب الشهير. وبعد ظهور الإسلام كانت هذه القبائل من أوائل القبائل التي وفدت على النبي(ﷺ) في العام التاسع للهجرة وهو المعروف بعام الوفود، فأسلمت وحسن إسلامها.

8. أثبت البحث أن مَن دخل مصر من قبيلة تجيب كان لهم دورٌ كبيرٌ في حركة الفتوحات الإسلامية، فقد شاركت بقوة وفاعلية في فتح مصر، وخاصة في حصار حصن بابليون، وفي فتح الفيوم والإسكندرية. ثم استقرت بالفسطاط وكانت لها خِطة شهيرة بها، وطابت لهم الحياة في ظلالها، فاتخذوها سكنًا ومقرًا لهم؛ بل إن بصماتهم الحضارية ما زالت ماثلة للعيان مثل مسجد عمرو بن العاص، وجب عميرة، وغيرها.

9. عالج البحث بالتفصيل الدور الإيجابي الذي قام به العلماء التجيبيون في إثراء الحياة العلمية في مصر الإسلامية. فكان منهم القراءُ، والمفسرون، والمحدثون، والفقهاء، والمؤرخون. وكانت لهم بصماتهم الواضحة في كل هذه المجالات.

10. عالج البحث بالتفصيل دور الإمام حرملة بن عمران التجيبي في بعث وتنشيط الحركة العلمية في مصر. فقد كانت له آراء علمية قيمة، جعلت طلاب العلم يرحلون إليه

من شتى أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، مما كان له أكبر الأثر في تقدم وازدهار الحركة العلمية في مدينة الفسطاط.

11. من الأمور التي تستحق الإشادة بها ؛ ظاهرة الأُسر العلمية، أعني تلك التي اشتغلت بعلم الحديث، والفقه، والقضاء، لفترة طويلة. وقد عمل بعضهم بهذه العلوم قراءة، وفهمًا، وحفظًا، وتعليمًا، ما يقرب من ثلاثة قرون كاملة. ولاشك أن هذا مجهود ضخم يحسب لهم، ويكتب في ميزان حسناتهم، ويميزهم عن باقي القبائل الأخرى، ويثبت مدى مساهماتهم العلمية في مصر الإسلامية لعقود طويلة.

12. أثبت البحث أن علماء تجيب كانوا قليلي التأليف، ولعلهم قد اكتفوا بتعليم الناس، وهي مهمة شاقة لا تقل عن دور التأليف والتصنيف. وذلك - بالطبع - إذا استثنينا بعض مُصَنَّفات حرملة بن عمران في الفقه الشافعي، وهي ما زالت مخطوطة تحتاج إلى منَ يزيل عنها غبار السنين، ويخرجها لنا في صورة كتبٍ محققةٍ تحقيقًا علميًا صحيحًا، كي ينتفع بها طلاب العلم.

13. أن قبيلة تجيب قد ساهمت في جميع مجالات الأدب المصري الإسلامي؛ من: شعرٍ، ونثرٍ، وخطابةٍ، وعلمِ لغةٍ، ونحوٍ. وكان لهم دورٌ بارزٌ في هذا المجال. غير أنه - مما يؤسف له - أنني لم أعثر على ديوان شعر، أو نموذج نثري لأحدهم، حتى نقف به على طريقتهم في التعبير عن أنفسهم، وفي اختيارهم للألفاظ، ونعقد مقارنة بينهم وبين شعراء وخطباء عصرهم.

14. أن التجيبيين قد ساهموا بشكل ملحوظ في تطور علم التاريخ الإسلامي في مصر بجميع فروعه؛ من القصص، والمغازي والسير، والفتن والملاحم .....إلخ . وقد كانوا نواة لكثير من الأخبار التي جمعها المؤرخون الذين جاءوا من بعدهم كالمقريزي، وابن تغري بردي، والسيوطي، وغيرهم. وكان أبرزهم على الإطلاق العلامة الكندي، والذي كان له دور فاعل ومؤثر في تطور حركة التأليف في المدرسة التاريخية المصرية، فكان - بحق - رائدًا في هذا المجال.

15. ساهمت - أيضًا - قبيلة تجيب في الجانب الإداري في مصر المتمثل في تولي القضاء والشرطة، حيث ظهر فيهم أُسر تولت القضاء والشرطة على مدى عقود.

16. أثبت البحث أن قبيلة المعافر شاركت في عملية الفتح الإسلامي لمصر، ونظرًا

لضخامة حجم القبيلة، فقد كانت أماكن ارتباعها متناثرة في محافظات سوهاج في الوجه القبلي، والإسكندرية، وكفر الشيخ، والمنوفية بالوجه البحري، وكان لهم دور هام في نشر الإسلام واللغة العربية بين سكان مصر، كما كان لهم دور بارز في المساهمة ببعض المنشآت الحضارية؛ والأماكن الأثرية في مصر الإسلامية، التي ما زال بعضها ماثلة إلى العيان حتى الآن.

17. أن المعافريين كان لهم دورٌ كبيرٌ في إثراء علم القراءات في مصر، فقد أسهمت قبيلة المعافر بأربعة من القراء الكبار، ويكفيهم شرفًا أن أول مَنْ أقرأ القرآن الكريم بمصر كان منهم. ولكن دورهم في علم التفسير كان ضئيلًا.

18. أثبت البحث كثرة عدد المحدثين المعافريين في مصر، فقد وصل عددهم إلى ما يقرب من [خمسة وثمانين] محدثًا. وهو عدد يفوق باقي المحدثين في القبائل العربية الأخرى التي استقرت بمصر، كما يتفوق على عددهم في سائر العلوم الشرعية الأخرى . وفي هذا دلالة كبرى على ولع المعافريين بعلم الحديث، وكانوا يتصفون بالصدق والأمانة في رواية للحديث، بل إن معظمهم قد يحمل على لقب» الثقة«.

19. أثبت البحث أن المرأة المعافرية كانت لها إسهامات كبيرة في رواية الحديث. فهذه أم القاسم بنت حيويل، تروي الحديث عن أبيها، وتشارك قومها في نشر هذا العلم الشريف بين المصريين.

20. خلُصت الدراسة إلى أن مدينة الإسكندرية كانت - إلى جانب الفسطاط - مقر للمعافريين. ومن ثم فقد قامت الحركة العلمية في هذه المدينة على عاتقهم. فكثيرًا ما نقرأ من ألقاب المعافريين لقب» الإسكندري« أو » الإسكندراني«، مما يعكس لنا مدى استقرار وكثرة المعافريين في هذه المدينة.

21. أثبت البحث قوة العلاقات الثقافية بين المعافريين والأندلسيين. فهذا مسجد يقام في حي المعافر بالفسطاط يحمل اسم » الأندلس«. وهذا لقب» الأندلسي« كان يحمله كثير من أبناء المعافر الذين رحلوا من مصر لنشر علمهم في غرب العالم الإسلامي، مع أن الكثير منهم مصري المولد والنشأة.

22. أن عدد الفقهاء المعافريين قد وصل - خلال فترة البحث - إلى أربعة عشر فقيهًا، وهي نسبة ليست بالقليلة، مقارنة بباقي العلوم الإسلامية الأخرى. من هؤلاء تسعة علماء نالوا حظًا لا بأس به من الشهرة، وخمسة لم تمدنا المصادر التاريخية، وكتب

طبقات المالكية بمعلومات وافية عنهم.

23. أن معظم الفقهاء المعافريين قد اتخذوا من مدينة الإسكندرية مقرًا لهم، ومن ثم فإنني أستطيع القول: إن الحركة الفقهية قد قامت في هذه المدينة على أكتافهم، وعن طريقهم انتقل الفقه المالكي إلى البلاد المجاورة وخاصة بلاد المغرب والأندلس.

24. أن الفقه المالكي كان هو المذهب السائد بين الفقهاء المعافريين، ولم ينافسه في ذلك أي مذهب فقهي أخر. إلا أن الفقهاء المعافريين كانوا قليل التصنيف، فلم تذكر لنا كتب التراجم والطبقات سوى أسماء مؤلفات الإمام أشهب بن عبد العزيز، وللأسف لم تصلنا هي الأخرى.

25. أن كثير من الفقهاء المعافريين قد ولوا منصب القضاء، وخاصة في مدينة الإسكندرية والأندلس، وفي هذا دلالة كبرى على ثقة الحكام في علمهم وعدلهم وأماناتهم، لذا فقد أسندوا إليهم هذا المنصب الهام.

26. أن قبيلة المعافر قد ساهمت بشكل ملحوظ في إثراء الحركة التاريخية في مصر الإسلامية، سواء من حيث تنوع الكتابة التاريخية بفنونها الثلاث؛ فن القصص، فن السير، والتاريخ السياسي. أو من حيث الكم. فقد ظهر ما يقرب من خمسة عشر مؤرخًا، ثلاثة في فن القصص، واثنان في فن السير، وعشرة في التاريخ السياسي.

27. أن المؤرخين المعافريين قد تركوا بصماتهم الواضحة ليس على صفحات تاريخ مصر الإسلامية فقط، بل على صفحات التاريخ الإسلامي عامة. ويكفيهم فخرًا حفظهم للسيرة النبوية من الضياع ؛ أعنى بها سيرة ابن هشام، والتي ما زالت المصدر الرئيس في دراسة سيرة الرسول ﷺ، وعلى الرغم من النقد الموجه إليها، فإنه نقد لا يستقيم مع المنطق، فضلاً عن المنهج العلمي الصحيح.

28. أن المؤرخين المعافريين كان لهم منحًا خاصًا بهم في التأليف، لم يسبقهم إليه أحد، بل قلدهم فيه الكثيرون. ومن أمثلة ذلك : كتاب « فتوح مصر» لأبي قُبْيل المعافري[المتوفى عام: 128هـ/ 746م]، فقد ألف – بعده بأكثر من قرن من الزمان – ابن عبد الحكم [المتوفى عام:257هـ / 871م] كتابه الشهير « فتوح مصر»، وذلك على غرار الكتاب السابق. وكتاب» تاريخ مصر» لابن قُدِيد [المتوفى عام: 312هـ/ 904م]، وهو من أقدم الكتب التي تحمل هذا الاسم. وجاء المؤرخون من بعده فنحوا منحاه في الكتاب

المذكور. ومما يؤسف له أننا فقدنا هذه المُصنَّفات الهامة، مع ما فقدنا من تراثنا الفكري والحضاري. وكم كنتُ أودُ العثور عليها للوقوف على مناهج هؤلاء المؤرخين في تدوينهم للتاريخ. ولكن إن كنا نأسف على فقِد هذا التراث، فإننا نسعد بوصل كتابِّي « السيرة النبوية» و كتاب» التيجان لمعرفة ملوك الزمان» لابن هشام المعافري بين أيدي الباحثين. مما ساهم في سد ثغرة هامة في تاريخنا الإسلامي.

29. أن معظم المؤرخين المعافريين قد بدأوا حياتهم محدثين، ثم انتهى بهم المطاف مؤرخين. وبناء عليه؛ فإن هؤلاء المؤرخين قد حظوا بثقة علماء الجرح والتعديل، وإن كان من نقد وجه إلى أحدهم، فإنه كان في مجال رواية الحديث وليس في مجال الرواية التاريخية. يضاف إلى ذلك، أن اثنين من هؤلاء المؤرخين قد ولوا منصب القضاء إلى جانب اشتغالهم بعلم التاريخ. وفي هذا أكبر دليل على عِظْم هذا العلم.

30. إذا نظرنا إلى حركة المؤرخين المعافريين على مدى القرون الأربعة الأُول للهجرة النبوية - مذكرين أنه لم يدخل في حساباتنا مَنْ لم نعثر على تاريخ وفاته ـ، فإننا نجد القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، يأتي في المركز الأول، فقد ساهم بنحو تسعة مؤرخين، وهي أعلى نسبة وصلت إليها الحركة التاريخية مقارنة بأي بعلم آخر، وذلك باستثناء علم الحديث. تنخفض هذه النسبة انخفاضًا ملحوظًا لتصل في القرنين الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلى عالمٍ واحدٍ فقط في كل قرن. ابن هشام في القرن الثالث الهجري، وابن قُدِيد في القرن الرابع الهجري. فإذا تذكرنا أن هذين القرنين قد وصلت الحضارة الإسلامية فيهما إلى قمة النضج الفكري، والازدهار الثقافي. فهل أستطيع القول: إن السبق الحضاري في مجال الحركة التاريخية كان للمعافريين؟! وهل أستطيع القول أيضًا: إن الرواية التاريخية قد أخذت منحًا جديدًا علي يد هؤلاء المؤرخين المعافريين؟!. أزعم أن الجواب: نعم.

31. أثبت البحث أن قبيلة غافق كان لها دورٌ كبيرٌ في حركة الفتوحات الإسلامية، فقد شاركت بقوة وفاعلية في فتح مصر، ثم استقرت بالفسطاط وكانت لها خِطة شهيرة بها، وطابت لهم الحياة في ظلالها، فاتخذوها سكنًا ومقرًا لهم.

32. عالج البحث بالتفصيل الدور الإيجابي الذي قام به العلماء الغافقيين في إثراء الحياة العلمية في مصر الإسلامية. فكان منهم المُحَدِّثون، والفقهاء. وكانت لهم بصماتهم

الواضحة في كل هذه المجالات.

33. أثبت البحث أن علماء غافق كانوا قليلي التأليف، ولعلهم قد اكتفوا بتعليم الناس، وهي مهمة شاقة لا تقل عن دور التأليف والتصنيف. وذلك - بالطبع - إذا استثنينا بعض مُصَنَّفات عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي(المتوفى عام:381هـ/ 991م): المعروف بـ»أبي القاسم الجوهري» في الفقه المالكي، وهي ما زالت مخطوطة تحتاج إلى مَن يزيل عنها غبار السنين، ويخرجها لنا في صورة كتبٍ محققةٍ تحقيقًا علميًا صحيحًا، وما ذلك على الله بعزيز.



الملاحق



ملحق رقم(1)

كتاب النبي ﷺ لأهل المعافر

قدم على رسول الله ﷺ مالك بن مرارة الرّهاوي، رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم، وذلك في شهر رمضان سنة تسع من الهجرة عند مقدمه من تبوك، وهم : الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنّعمان قيل ذي رعين، ومعافر، وهمدان .

قال ابن إسحاق : وبعث إليه زرعة ذو يزنٍ مالك بن مرّة الرّهاويّ فكتب إليهم رسول الله ﷺ: « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال، وإلى النعمان قيل ذي رعينٍ ومعافر وهمدان - أما بعد ذلكم - فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو - أما بعد - فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به، وخبّر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأنّ الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله، وسهم النبيّ وصفيّه، وما كتب على المؤمنين من الصّدقة، من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، و إن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاةٌ، وأنّها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصّدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، ومن أدّى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين، فهو من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم وله ذمّة الله وذمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها، وعليه الجزية على كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، من قيمة المعافر أو عوضه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله ﷺ».[نقلا عن: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ2، ص588، ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ1، ص 356].

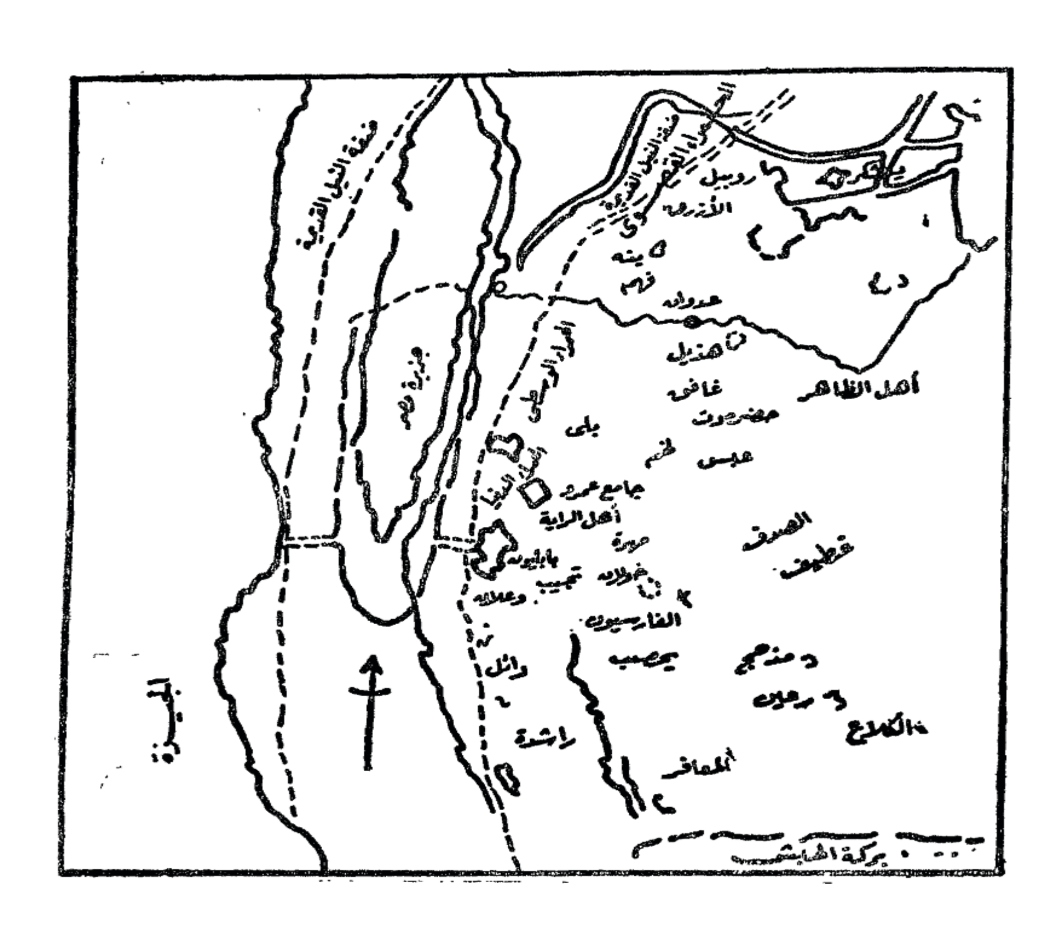
ملحق رقم(2)

كتابا النبي ﷺ إلى زرعة ذي يزن باليمن

الكتاب الأول، جاء فيه: «أما بعد: فإن رسول الله محمدًا النبيّ أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرًا : معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة ابن نمر، ومالك بن مرّة، وأصحابهم، وأن اجمعوا له ما عندكم من الصّدقة، والجزية من مخالفيكم، وأبلغوها رسلي، وأنّ أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلا راضيا».

الكتاب الثاني، جاء فيه: «أما بعد - فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مرّة الرّهاويّ قد حدّثني أنك أسلمت من أوّل حمير وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وآمرك بحمير خيرًا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسول الله ﷺ هو مولى غنيّكم وفقيركم، وأنّ الصّدقة لا تحل لمحمدٍ ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وأن مالكًا قد بلّغ الخبر، وحفظ الغيب وآمركم به خيرًا، وأنّي أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، وآمركم بهم خيرا، فإنهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته «.[نقلًا عن: ابن كثير: السيرة النبوية، جـ4، ص146، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ18، ص77].

ملحق رقم(3)
خطط الفسطاط سنة 21هـ



خريطة رقم (١)

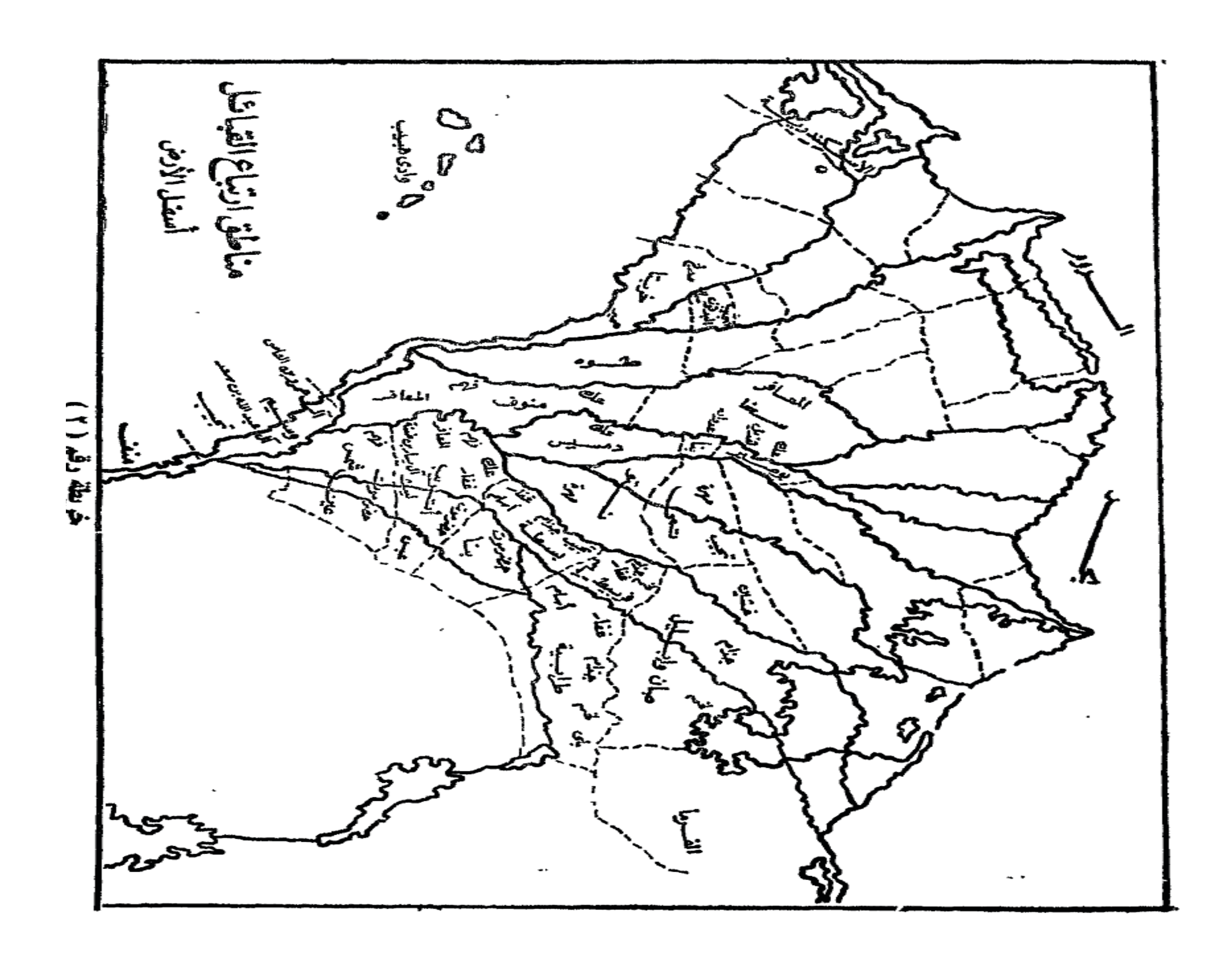
خطط الفسطاط سنة ٢١ هـ

من كتاب مصر فى فجر الاسلام ــ للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف

ملحق رقم (4)

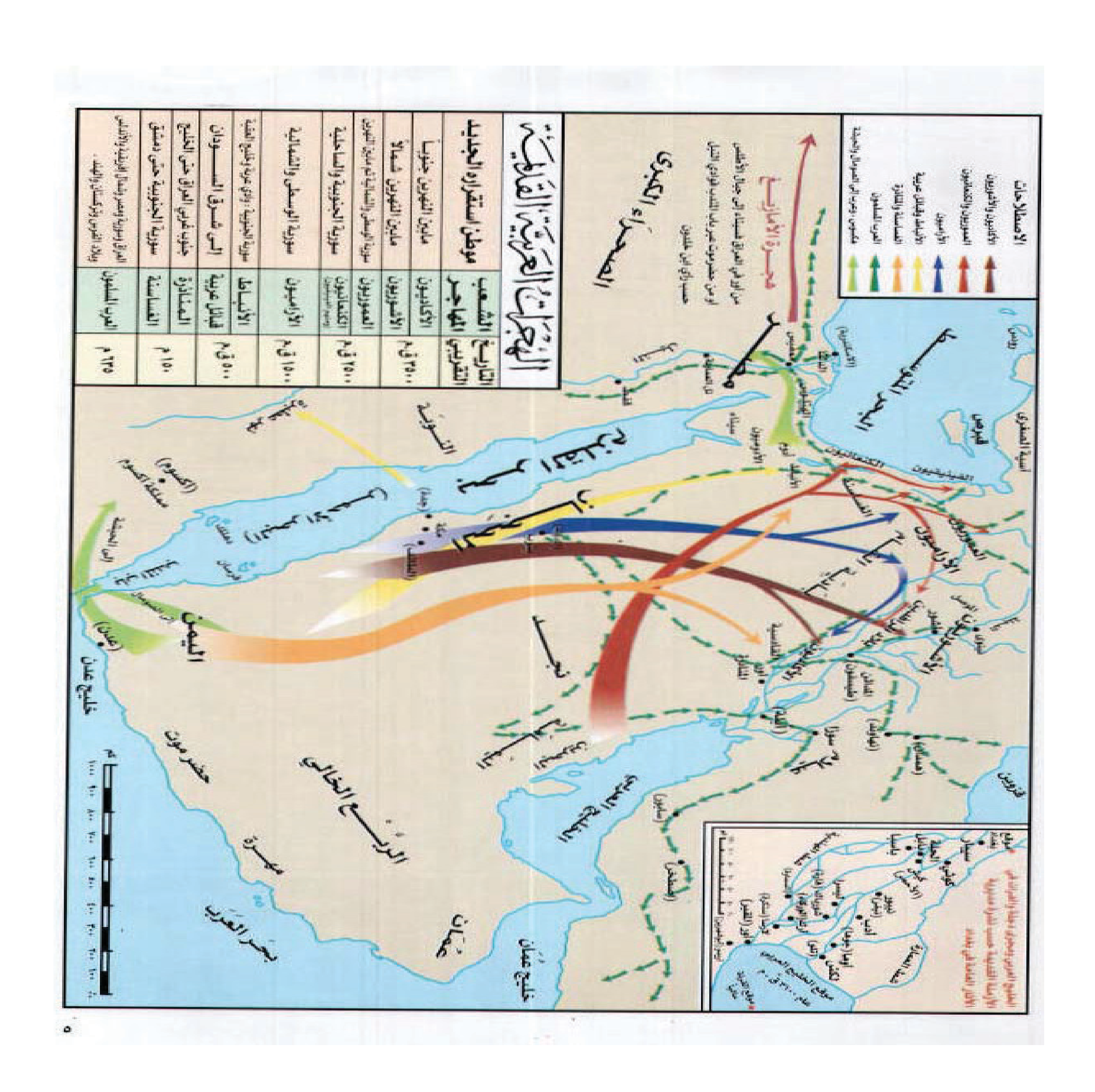
مناطق ارتباع القبائل العربية

في الوجه البحري بمصر



من كتاب دور القبائل العربية في مصر - للدكتور عبد الله خورشيد البري

ملحق رقم(5)



خريطة توضح الهجرات العربية القديمة
نقلًا عن كتاب: أطلس التاريخ العربي والإسلامي، للدكتور شوقي أبو خليل، ص 5.



قائمة المصادر والمراجع

- أولًا: المخطوطات العربية.
- ثانيًا: المصادر العربية.
- ثالثًا: المراجع العربية.
- رابعًا: المراجع الأجنبية المعربة.
- خامسًا: الرسائل العلمية والدوريات .



قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات العربية:

1. الصدفي:(علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى، ت399هـ/ 1009م): «الداير و فضل الداير» دار المخطوطات المصرية، القاهرة، تحت رقم (354)، رياضيات تيمور.

2. .... « حبق حل الشمس و القمر محاول التعديل المعلم» دار المخطوطات المصرية بالقاهرة تحت رقم (1108) ميقات .

3. .... « غاية الانتفاع في معرفة الدوائر و السمت من قبل الارتفاع» دار المخطوطات المصرية، القاهرة، تحت رقم(1109)، ميقات.

4. .... «زيج ابن يونس» دار المخطوطات المصرية، القاهرة، تحت أرقام(138 - 909 - 22519)، ميقات طلعت.

ثانيًا: المصادر العربية:

5. ابن الأثير:(أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ت 630هـ/ 1233م):الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

6. ابن تغري بردي:(أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت874هـ/ 1469م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2007م.

7. الأسنوي:(جمال الدين عبد الرحيم، ت 772هـ / 1331م): طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،1987م.

8. الأصبهاني: (أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت 430هـ/ 1038م): ذكر أخبار أصبهان، ط1، دار الكتاب الإسلامي، لبنان، (بدون - تاريخ).

9. البخاري:(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، ت256هـ/ 801م):التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، ط1، دار الفكر، سوريا، (بدون - تاريخ).

10. البلاذري:(أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، ت279هـ/ 817م): فتوح البلدان، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط1، دار اقرأ، لبنان، 1992م.

11. الجرجاني:(أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، ت 427هـ/ 1035م): تاريخ جرجان، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط3، عالم الكتب، لبنان،1981م.

12. ابن الجزري:(محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي، ت 833هـ/ 1429م):غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006م.

13. ابن الجوزي:(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت 597هـ/ 1200م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م.

14. ابن حبان):أبو حاتم محمد بن حاتم بن أحمد التميمي البستي، ت 354هـ/ 965م):الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط1، دار الفكر، سوريا، 1975م.

15. ابن حجر:) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت 853هـ/ 1449م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، لبنان،1991م.

16. ....: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1967م.

17. ....: تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، ط1، دار الرشيد، سوريا، 1985م.

18. ....: سيرة وفضائل الإمام الليث بن سعد، تحقيق: محمد زينهم، ط1، دار المعارف، مصر،2000م.

19. ....: لسان الميزان، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1986م.

20. ابن حزم):أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت 456هـ/ 1063م): جمهرة أنساب العرب، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

21. الحُميدي:(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت 488هـ / 1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م.

22. الخطيب البغدادي:(أبو بكر أحمد بن ثابت، ت 463هـ/ 1037م): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2001م.

23. ....:المتفق والمفترق، تحقيق ودراسة: محمد صادق الحامدي، ط1، دار القادري، لبنان، 1997م.

24. ابن خلكان:(أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت 681هـ/ 1383م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: مريم قاسم طويل، وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

25. الخوارزمي:(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، ت 387هـ/ 976م): مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2004م.

26. الدار قطني:(أبو الحسن علي بن عمرو البغدادي، ت 385هـ/ 995م): المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،[بدون - تاريخ].

27. الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت 748هـ/ 1348م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب الإسلامي، لبنان، 1993م.

28. ....: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

29. ....: سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1985م.

30. ....:العبر في خبر مَنْ غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، [بدون - تاريخ].

31. ....:الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، ط1، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، 1992م.

32. ....: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيار آلتي قولاج، ط1، استانبول، 1995م.

33. ....: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض، وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995م.

34. الرافعي:(عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، ت682هـ/ 1283م): التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،1987م.

35. ابن أبي حاتم الرازي: (عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ت 327هـ/ 938م): الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1952م.

36. السبكي:(تاج الدين بن علي ين عبد الكافي، ت 771هـ/ 1369م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، وآخر، ط2، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، 1992م.

37. السخاوي:(علي بن أحمد بن عمر بن خلف الحنفي، ت 902هـ/ 1497م): تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر،1986م.

38. ....: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، نشره روزنثال في كتابه: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1983م.

39. ابن سعد:(محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت 230هـ./ 782م):الطبقات الكبير، تحقيق: على محمد عمر، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002م.

40. السمعاني:(عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت 562هـ/ 1166م): الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م.

41. السيوطي:(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ/ 1505م): حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1988م.

42. ....: ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983م.

43. ....: طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، مصر،1976م.

44. الشيرازي:(أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف، ت476هـ/ 1083 م): طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، لبنان،1970م.

45. الصدفي: (علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى، ت399هـ / 1009م): الزيج الكبير الحاكمي، تحقيق: كوسان، ط1، المطبعة الجمهورية، باريس، 1804م.

46. الصفدي:(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت 764هـ / 1362م):الوافي بالوافيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين، ط1، دار إحياء التراث، لبنان، 2000م.

47. الطبري:(أبي جعفر محمد بن جرير، ت310هـ/ 838م): تاريخ الأمم والملوك، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

48. ابن عبد البر:(أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، ت463هـ/ 1071م):الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل،

لبنان، 1992م.

49. ابن عبد الحكم:(ت 257هـ/ 871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط1،الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 1999م.

50. ابن العديم :(كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت 660 هـ/ 1262م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، لبنان،[بدون – تاريخ].

51. ابن عذارى المراكشي: (ت نحو 695 هـ/ نحو 1295 م): البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان، وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، لبنان،1983م.

52. ابن عساكر:(علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ت 571هـ/ 1125م): تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: علي شيري، ط1، دار الفكر، لبنان، 1998م.

53. ابن العماد الحنبلي:(عبد الحي بن أحمد بن محمد، ت 1089هـ/ 1678م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرين، ط1، دار ابن كثير، سوريا، 1985م.

54. القاضي عياض:(أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت 544هـ / 1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

55. ابن فرحون(المالكي ت 799هـ/ 1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث للطبع والنشر، مصر، 1976م.

56. ابن الفرضي:(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، ت 403هـ/ 1012م): تاريخ علماء الأندلس، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م.

57. الفسوي:(أبي يوسف يعقوب بن سفيان، ت 347هـ/ 958م): المعرفة والتاريخ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ – 1981م.

58. ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت 276هـ/ 889م): المعارف، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م.

59. ابن القفطي: (أبو الحسن علي بن يوسف، ت 624هـ / 1227م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط1، مكتبة المثنى، العراق، 1919م.

60. القلقشندي: (أبو العباس أحمد، ت 821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، مصر، 2006م.

61. ....: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1980م.

62. القيرواني: (أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، ت413هـ/ 1022م): زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، الهيئة العامة القصور الثقافة، مصر، 2013م.

63. ابن كثير: (عماد الدين إسماعيل بن عمر، ت 776هـ/ 1364 م): البداية و النهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1988م.

64. ....: طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط1، دار المد الإسلامي، ليبيا، 2002م.

65. الكندي: (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، ت 350 هـ/ 961م): ولاة مصر، تحقيق: حسين نصار، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2005م.

66. ....: فضائل مصر المحروسة، تحقيق: على محمد عمر، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م.

67. ابن ماكولا: (علي بن هبة الله بن أبي نصر، ت 475هـ/ 1082م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1990م.

68. المقري :(أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت 1041هـ / 1631م): نفح

الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1968م.

69. المقريزي):تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت 845هـ / 1443م): المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1996م.

70. ....: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، مكتبة الآداب، مصر،1996م.

71. ابن منظور:(محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، ت 711هـ / 1311م): مختصر تاريخ دمشق، ط1، دار الفكر، سوريا، 1984م.

72. ابن النديم:)أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، ت 383هـ / 993م): الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، لبنان، 1997م.

73. النووي:(محيي الدين بن شرف الدين النووي، ت 676هـ/ 1277م):تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، [بدون – تاريخ].

74. النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت 733هـ/ 1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد محمد أمين، وآخرون، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، مصر، 1992م.

75. ابن هداية الله الحسيني:(أبو بكر بن هداية الله الحسيني، ت 1014هـ / 1605م): طبقات الشافعية، تحقيق: عادل نويهض، ط3، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1982م.

76. الهمداني:(أبي بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي، ت 584هـ / 1188م): عجالة المبتدي و فضالة المنتهى في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مصر، 1965م.

77. اليافعي:(عفيف الدين عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان، ت 768هـ / 1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل

منصور، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م.

78. ياقوت الحموي:(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ت 626هـ/ 1229م):إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1991م.

79. ....: معجم البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1997م.

80. ابن أبي يعلى الحنبلي:(أبو الحسن بن أبي يعلى محمد بن محمد، ت526هـ/ 1131م): طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط1، دار المعرفة، لبنان، [بدون - تاريخ].

ثالثًا: المراجع العربية:

81. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2002م.

82. ....: فجر الإسلام، ط9، النهضة المصرية، مصر،1964م.

83. .... : ظُهر الإسلام، ط4، النهضة المصرية، مصر، 1966م.

84. أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - العلوم العقلية، ط2، دار الفكر العربي، مصر،1997م.

85. أكرم ضياء العُمري: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط2، دار طيبة، السعودية،1985م.

86. جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ط1، دار الهلال، مصر،[بدون - تاريخ].

87. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، لبنان، 2001م.

88. حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان،[بدون - تاريخ].

89. الزركلي(خير الدين): الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، دار العلم للملايين، لبنان،1980م.

90. زين العابدين متولي زين العابدين: الفلك عند العرب والمسلمين، ط1، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1997م.

91. سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1982م.

92. السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1990م.

93. سيدة إسماعيل سيد كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1999م.

94. ....: مصر في عصر الإخشديين، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989م.

95. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ط3، دار العلم للملايين، لبنان،1983م.

96. صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000م.

97. عبد الحليم عويس: الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2013م.

98. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم و دور العلماء العرب في تقدمه، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2012م.

99. عبد الفتاح الحسيني الشيخ: تاريخ التشريع الإسلامي، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، 2004م.

100. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح: تاريخ ابن يونس الصدفي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2000م.

101. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م.

102. على عبدالله الدفاع : أثر علماء العرب والمسلمين في تطور علم الفلك، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1981م.

103. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان،[بدون - تاريخ].

104. عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ط1، لبنان، [لم تذكر دار الطبع]، 1970م.

105. قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2008م.

106. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996م.

107. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر،2010م.

108. محمد الخضر حسين: تاريخ التشريع الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م.

109. محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2010م.

110. محمد محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، المطبعة السلفية، مصر،1930م.

111. محمود مصطفى: الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر

الأيوبي، ط1، دار الكتاب العربي، مصر، 1967م.

112. ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، [بدون - تاريخ].

رابعًا: المراجع الأجنبية المعربة:

113. بتلر: ألفرد: فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد، ط2، مكتبة مدبولي، مصر، 1996م.

114. روزنثال: فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1983م.

115. سزكين: فؤاد: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي و آخرون، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية،1991م.

116. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، وآخرون، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،،1993م.

117. كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليانوفتش) : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1987م.

118. نللينو: كارولو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ط1، مكتبة المثنى، العراق،[بدون - تاريخ].

119. هونكه: زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وآخرون، ط8، دار الجيل، لبنان، 1993م.

120. هيل: دونالد: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، العدد (305)، الكويت، 2004م.

خامسًا: الرسائل العلمية و الدوريات:

121. رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأثرها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1976م.

122. سويتر sutter: مادة» ابن يونس الصدفي»، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي، وآخرون، دار الشعب، مصر،[بدون - تاريخ].

123. محمد السيد الوكيل: فتح الإسكندرية، مقال في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (25)، 1424هـ/ 2002م.

124. محمد جبر أبو سعده: بنو عبد الأعلى الصدفيون في مصر، مقال في حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد (الأول)، 1410هـ/ 1989.



فهرس المحتويات